ليزا بيفير

حاربي كامرأة

القوة الكامنة في كونكِ امرأة

Fight Like *a Girl*

LISA BEVERE

حاربي كامرأة

القوة الكامنة في كونكِ امرأة

ليزا بيفير

Originally published in USA under the title:
«Fight Like A Girl».
Copyright© 2008 **by Lisa Bevere**
This edition published by arrangement with FaithWords, New York, USA. All rights reserved.

حاربي كامرأة.
الترجمة : سوسنة فاروق
المطبعة : الطباعة المصرية ت: ٤٦١٠٠٥٨٩
الطبعة : العربية الأولى ٢٠١٠
حقوق الطبع محفوظة

Arabic Edition Copyright© 2010 by PTW, Translators and Publishers.
All rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means-electronic, mechanical, photocopy, recording or any other- except for brief quotations in printed reviews, without prior permission of the publisher.

P.T.W للترجمة والنشر
تليفاكس : ٢٦٦٧٨٩٨٠ـ ٢٦٦٧٨٩٨١ - (٢٠٢ +)

Prepare The Way
Translators & Publishers

E-mail: ptw@ptwegypt.com
www.ptwegypt.com

رقم الإيداع : ١٦٣٣١ / ٢٠١٠
ISBN: 978 - 977 - 443 - 091 - 6

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

إلى زوجي جون، الذي كان دائمًا يقدِّر حياتي ومشاعري. أشكرك لأجل تشجيعك لي على أن أطلب الحق ولا أكتفي أبدًا بأقل من ذلك. أحبك أكثر من أي وقت مضى. وأشكر الله أنك أنت الفارس في حياتي. إلى أبنائي الأربعة، أديسون وأوستن وأليك وآردن. إنكم تلهمونني أكثر مما تعلمون. كل واحد منكم هو عطية من السماء. ليت الكرامة تحيط بحياتكم. إلى حبيبتي فايكينج جاك، أنتِ والبنات الأخريات مثلكِ هن السبب الذي جعلني أكتب. ليتكِ تتقدمين أكثر فأكثر وتهزمين العدو في الأبواب. ديبي، لقد كنتِ مصدرًا دائمًا للدعم وواحدة من الأشخاص المفضلين لديَّ. إلى كل النساء الجميلات اللواتي يردن فقط أن يقمن بأمور النساء بشكل جيد، ليتنا نسترد بالكامل كل ما فقدناه.

إشادة بكتاب "حاربي كامرأة"

«لقد قدمت ليزا تحديًا قويًا لم يعد بإمكان الكنيسة أن تتجاهله. فقد آن الأوان للنساء أن تنهضن وتشغلن مكانهن بجانب الرجال لتحقيق مقاصد الملكوت ... نحتاج إلى أن نقدِّر هذه الاختلافات ونعتنقها بدلًا من أن نحاول أن نزيلها. هذا الكتاب سوف يساعد على تحرير النساء من الأعباء والمحدوديات الكثيرة التي أعاقتهن عن تحقيق إمكانياتهن المُعطاة لهن من الله. لم أستطع أن أترك هذا الكتاب قبل أن أنهيه».

ـــــ كريس كاين، مؤلفة ومديرة خدمات "إكويب آند إمباور"

«تريد ليزا بيفير أن تساعد النساء على أن تصلن إلى إمكانياتهن وقيمتهن ودورهن، وتكتشفن خطة الله لحياتهن. والرسالة التي تشارك بها في هذا الكتاب، هي رسالة الحرية والثقة، وسوف تساعد النساء من كل الأعمار أن يتخذن خطوات إيجابية نحو الاكتمال. فرحت وأنا أقرأ هذا الكتاب، وأدركت أن الوقت لم يمضِ أبدًا لكي أتعلم أن "أحارب كامرأة"».

ـــــ بيتي روبيسون، المقدمة المشاركة لبرنامج لايف توداي

«عبر صفحات هذا الكتاب نجد إجابة عميقة -بالرغم من بساطتها- على هذا السؤال: «أين البنات غير الخائفات المستعدات أن تحاربن كنساء؟» تدعو ليزا كل «دبورة» في العالم أن تقوم وتُنهض إمكانياتها وتقبل حق كلمة الله. كما تحث ليزا النساء أن يتخلين عن الأسلحة الجسدية ويتسلحن بالسيوف الروحية، ويستخدمنها كأدوات للتغيير. استعدي للتجديد الذي سيحدث في قلبكِ أثناء قراءتكِ لهذا الكتاب».

ـــــ نانسي ألكورن، رئيسة ومؤسِّسة خدمات "الرحمة" بأمريكا

«النساء جميلات، وقد قامت ليزا بعمل عظيم في رسم هذه الصورة! هذا الكتاب يجب أن نقرأه كلنا، نحن اللواتي نسير في رحلة تتميم المقاصد التي خُلِقنا لأجلها. إننا بنات الملك المحبوبات ولدينا دور هائل لنلعبه هنا على هذا الكوكب. تدعونا ليزا بأسلوبها المذهل أن نحب بشغف، وننمو في القوة،

ونتغلب على العوائق، ونتعرف على ما فينا من جمال. إنه كتاب قوي حقًا. لا تشتري كتابًا واحدًا فقط ... بل اشتري واحدًا أيضًا لصديقتكِ!»

ـــــ هولي واجنر، مؤلفة "فتيات العلي" و"عندما تنسكب هو يملك".

«يناقش هذا الكتاب القوة التي لدى المرأة للمحاربة وكسب المعارك الروحية في حياتها. أريد بفارغ الصبر أن تقرأ ابنتي هذا وتتعلم كيف خلقها الله بصورة فريدة لكي تحارب لأجل ما هو صحيح بالطريقة الصحيحة».

ـــــ ستيفن أرتربيرن، مقدم برنامج نيو لايف لايف
والمؤلف المشارك لكتاب "معركة كل رجل"

قفازات الملاكمة: اضربي عندما يقترب العدو.

محفظة النقود: استخدمي تأثيركِ بحكمة.

القلب: أنتِ حارسة للقلب.

السيف: استخدمي كلمة الله لإنعاش الحياة.

الصليب: يسوع هو حبيبكِ المطلق ومصدر الحياة.

الكعب الرفيع: العدو تحت قدميكِ.

المحتويات

الفصل الأول: أنتِ تحاربين كامرأة! ١١
الفصل الثاني: ماذا إذا لم أكن أحب النساء؟..... ٢١
الفصل الثالث: لكنني لستُ رَجُلًا ٣٣
الفصل الرابع: العثور على المركز ٤٥
الفصل الخامس: من هو الرجل؟ ٥٩
الفصل السادس: متى تَضرِب النساء؟ ٧٣
الفصل السابع: المُحارَبة بحكمة ٨٩
الفصل الثامن: الاستخدام الحسن للرضا والمجد ١٠٣
الفصل التاسع: ما هي قوة المحبة؟ ١١٣
الفصل العاشر: اثنان بقلب واحد ١٢٩
الفصل الحادي عشر: المحاربة لأجل الجمال ١٤٩
الفصل الثاني عشر: معيبة لكن أصيلة ١٦٣
الفصل الثالث عشر: المحاربة باستخدام الحليّ ١٧٩
الفصل الرابع عشر: المحاربة باستخدام التأثير ١٩١
الفصل الخامس عشر: قوة اللحظة ٢٠٥
الفصل السادس عشر: هناك من يراقبكِ! ٢١٧
الحواشي ٢٣١

الفصل الأول

أنتِ تحاربين كامرأة!

هذه طريقة النساء في المحاربة! بالطبع يُقصَد من هذه العبارة عادةً الإهانة. وسواء كانت موجَّهة من رجل إلى رجل، أو من امرأة إلى رجل، فلا يقصد بها المجاملة. كلا، بل تأتي كرد على لكمة خفيفة، أو خدش، أو حتى على ضربة غير مشروعة. ما الذي يجعلني إذًا أشجِّع على المحاربة مثل النساء؟ أولًا، هذه الإهانة الموجهة إلى الرجال أو الصبيان لا يجب دائمًا أن تعتبرها المرأة إهانة لها. فالنساء يجب أن يحاربن كنساء. لكن لسبب ما غريب، تريد معظم النساء أن يقال عنهن إنهن يحاربن مثل الرجال. هل يمكن أن يكون هذا لأن الفتيات اعتدن أن يحاربن بطرق غير مشروعة؟

قبل حتى أن نبدأ، لا أريدكِ أن تعتقدي أنني امرأة ناعمة تنادي بجلد الناس بشرائط وردية اللون. أنا لست كذلك. فأنا أحب ركوب الأمواج والتزلج والصيد (بهذا الترتيب). أنا أعيش مع خمسة رجال وأسافر في كل أنحاء العالم، في أغلب الأحيان بمفردي. أُصِبت من قبل بالسرطان، وأنا أم وزوجة، لكني كنت أولًا ابنة. أنا لا أدعو إلى أن نتظاهر بشيء أو ندعي شيئًا ليس فينا. لكنني أعتقد حقًا أننا يجب أن نتساءل: «لماذا تعد محاربة النساء إهانة؟» والأفضل من هذا أنني أريد من الفتيات والنساء عندما يسمعن أنهن يحاربن كفتيات أو نساء أن يعتبرن هذا مجاملة.

في الواقع، ربما نكون قد نسينا ما تبدو عليه المحاربة كنساء؛ فلمدة طويلة جدًا كنا نحاول أن نحارب مثل الرجال، وإذا لم يفلح هذا، كنا نقوم ببعض الضربات غير المشروعة أو حتى نمارس الغش! ومنا من اختبأن ببساطة من رياح الصراع الهائجة من حولنا وتخيلن أن هذا من سمات الأنوثة

والرقيّ. أخريات نسين أن ما يعتبر ضعفًا في جنس ما هو غالبًا قوة في الجنس الآخر. أعني، أليس من المفترض أن يعتبر الضرب الشديد مثل الرجال خطأ؟

يكتسب الصبيان احترام أقرانهم عندما يتعاركون مثل الصبيان؛ فهم يعتبرون شجعانًا وأقوياء عندما يحاربون لأجل ما هو مهم بالنسبة للذكور. وينالون الإعجاب لوقوفهم أمام الظالمين لحماية الأطفال الصغار، والحفاظ على كرامة اسم عائلتهم. عندما لا يقف الصبيان دفاعًا عمَّا هو صحيح، وقتها يتعرضون للسخرية وتبدأ ألقاب الاستهزاء تلحق بهم.

وما هو شكل المحاربة كامرأة إذا تمت بالصورة الصحيحة؟

فقد يسمع الصبي ألفاظ تهكم مثل «البنوتة!» أو «ابن أمه!» عندما لا يرقى لمستوى تصور أقرانه عن الرجل. وهذه المفاهيم لا تتغير مع تقدم السن، فالرجال الذين يحاربون ويتجاوبون مثل النساء، يُعتَبرون ضعفاء أو أُنثَويين. يجب على الرجال والصبيان أن يحاربوا بالقوة الفطرية المودعة بداخلهم. الرجال أقوى جسديًا، ولذلك فإن لهم اليد العليا في الأعمال البدنية. إن كان هذا صحيحًا، فما هي قوة المرأة؟ هناك موضوعات وصراعات مختلفة تثير غضب الرجل. فما الذي يضايق المرأة؟ وما هو شكل المحاربة كامرأة إذا تمت بالصورة الصحيحة؟

النساء والمعركة

قبل أن نتعمق ونجيب على هذا، ربما تتساءلين إن كان يجب أن تشترك النساء من الأساس في المحاربات أو الصراعات. وللإجابة على هذا، نحتاج إلى مراجعة الغرض أو السبب الأساسي وراء وجودنا. لم تُخلَق النساء في البداية للمعارك، بل للحياة والرعاية والعلاقات. وربما يكون هذا هو ما يجعلنا غالبًا لا نبلي بلاءً حسنًا في الصراعات. إذًا، هل من الخطأ بالنسبة للمرأة أن تحارب؟ لا، كما أنه ليس خطأ للرجل أن يحارب. لم يُخلَق أي منهما في البداية للدمار، بل خُلقا كلاهما للزيادة والترتيب والتنمية. وسوف يأتي اليوم الذي توضع فيه الأسلحة جانبًا حتى يمكن تتميم هذا الهدف. يقول الكتاب المقدس إن السيوف سوف تُصنَع مرة أخرى في صورة مناجل (انظري إشعياء ٢: ٤). عندها سوف يرجع كل من الرجال والنساء إلى وضعهم الأصلي وديناميكية علاقاتهم على الأرض. لكن الآن توجد مشكلة، ويوجد عدو، وتوجد معركة.

هــذه المســؤولية وهذا الامتياز المطلــق كانا لآدم وحواء. لقــد ائتُمِنا على الأرض وملئهــا. كانت لهمــا كل المصــادر اللازمة لتحقيق الزيــادة والترتيب حتى يمكن لكل كائن حي أن يزدهر. لكن مع سقوط الإنسان، تغير كل شيء. وتحولت الســيادة إلى سيطرة، والتضاعف إلى انقســام، وانحدر الترتيب إلى فوضــى. وأفســح الازدهار الطريــق أمام التــآكل، إذ كانت النباتات والأشــجار المثمرة تصارع الأشــواك والحسك. أصبحت البذار المحيية تقاتل للحصول على مكان في التربة التي تتشابك فيها الأعشاب الضارة والشجيرات الميتة. وحتى قبل أن يفرض هذا الهياج نفســه علــى الأرض، صارت آخر الخليقة هي الأولى في الصراع. وتهيأ المشهد للمعركة.

«وأضع عداوة بينك وبين المرأة». (تكوين ٣: ١٥)

لكــي نفهم معنــى ضخامة وثقل هذا الصــراع، يجــب أولًا أن نعرِّف كلمة عداوة. دائمًا ما اعتدت أن أستبدل كلمة عداوة بكلمة عدو أو بغضة. أعني أننا عادةً لا نستخدم كلمة عداوة في محادثاتنا اليومية. المشكلة في الكلمتين اللتين كنت أســتخدمهما هو أنه بالرغم من أنهما متشابهتان في المعنى، إلا أنهما ليســتا بالحدة الكافية. يعــرف قاموس أنجر للكتاب المقدس "Unger's Bible Dictionary" كلمة «عداوة» على أنها «بغضة متأصِّلة وعداء غير قابــل للتســوية».[1] أرجو ألا تخلطي بين «العداوة» وبيــن مصطلح «الخلافات غيــر القابلة للتســوية» والتــي اعتدنا أن نســمعها في إجــراءات الطلاق، بل إنهــا «عداءات غير قابلة للتســوية». يشــير هذا إلى بغضــة عميقة للغاية، والمُقــدَّر لها ليس أن توجــد دائمًا فقط، بل أيضًا أن تتعمــق وتمتد بلا نهاية. ولكي نفهم هذا بلغة حســابية، تخيلي نقطة واحدة يخرج منها شعاعان أو سهمان. أحدهما يتجه إلى الغرب والآخر إلى الشرق. الاثنان يسافران في هذين الاتجاهين المتضادين بدون احتمال أن يتقابلا على الإطلاق. هذان السهمان لا يعبران منحنى الكرة الأرضية، بل إنهما يسافران في الممرات الخَطِّية للزمن. هذا يعني أن قطبية العداءات الدائمة تتزايد مع مرور الزمن إذ يتسع الجانبان ويتضاعفان في الامتداد والعدد. وجيل بعد جيلٍ، يتعمق العداء.

العداوة كلمــة قوية، وقد وردت ثماني مرات فقط في الكتاب المقدس. بعد

ظهورها لأول مرة في سفر التكوين؛ فقد مدت العداوة يدها المظلمة لكي تحيط بنسل المرأة وتزعجه. ونرى تأثيرها يمتد حتى سفر الرؤيا.

«فغضب التِّنِّينُ على المرأة، وذهب ليصنع حربًا مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله، وعندهم شهادة يسوع المسيح». (رؤيا ١٢: ١٧)

من الذي يشن هذه الحرب التي لا تنتهي ضد حواء وبناتها وكل إنسان يمر من خلال الرحم؟ الحية، رئيس سلطان الهواء. هذه الحرب التي بدأت بحية مُخادِعة، أصبحت الآن تشمل التنين العظيم وكل أتباعه (انظري تكوين ٣: ١٥، يوحنا ٨: ٤٤). في الجنة، استطاعت الحية بمهارة أن تستخدم سلاح الخداع وتسرق السيادة على الأرض من الاثنين اللذين كانا واحدًا.

ولكي يفوز العدو، كان عليه أن يفرق لكي يسود، وقد حقق هذا من خلال كسب مساندة المرأة. ولكي يجعل آدم يخسر موقعه، كان بحاجة إلى ما هو أكثر من الخداع. استخدم إبليس قوة تأثير المرأة؛ فبدون تأثيرها، كان يحتمل ألا يخضع الإنسان لمشورة الحية. لقد استسلم آدم لصوت زوجته. راقبها وهي تأكل، وعندما بدا أنه لم يتغير شيء، مد يده وأخذ الثمرة منها.

«فأخَذَت من ثمرها وأكَلَت، وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل». (تكوين ٣: ٦)

في فجر الخليقة، أظن أن جمال حواء وقوة تأثيرها كانا شديدين للغاية ربما لدرجة عدم إمكانية مقاومتهما. كان العالم الكامل الذي فيه المرأة الكاملة يشتمل على خِصمٍ كامل. ألم يصدر التحذير لآدم أن يحترس ويبتعد عن الشجرة؟

لماذا استخدمت حواء المذهلة، أم كل حي، قدرتها لكي تجعل رجلها يغير رأيه، مما جلب عليهما الضرر؟ أعتقد أننا يمكن أن نقول إنها أجادت تقديم المشورة له. لكننا لا نكون حكماء حقًا عندما نتحرك خارج حكمة الله. ما الذي قدمه هذا المُجرِّب لكي يجعلهما مستعدين إلى هذه الدرجة من المخاطرة بالكثير؟

«فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهيَّة للنظر (لاكتساب الحكمة)». (تكوين ٣: ٦)

أنا على يقين أن الكثير من الأشجار في تلك الجنة كانت جيدة للأكل وبهجة للعيون. لكن الشجرة التي كانت لثمارها القدرة على إعلاء الفرد إلى مكانة الله كانت شيئًا آخر. ظنت حواء أنه كان هناك شيء أكثر مما أُعطي لها بالفعل. وأنا أتعجب من أن المرأة أرادت أن تتمسك بما لم يكن لها أن تمتلكه (المساواة مع الله) وفي هذه العملية خسرت شيئًا كانت تمتلكه بالفعل (القدرة على امتلاك الحكمة). بالإضافة إلى ذلك، فقد خاطبت الحية رغبة آدم وحواء أن يصيرا مثل الله خارج نطاق نفوذه وسلطانه. وسعى الرجل والمرأة كلاهما وراء الدور الذي لم يكن لهما أن يلعباه. وبعد عصور أتى يسوع، نسل المرأة، لكي يبطل حماقتهما.

«الذي إذ كان في صورة الله، لم يَحسِب خلسة أن يكون مُعادِلًا لله ...»
(فيلبي ٢: ٦)

لقد خُلقا على صورة الله، لكن لم يكونا مساويين لله. «صورة» شيء يتحدث عن الانعكاس، وليس التمثيل بصورته الكاملة. ومن خلال البلاغة الخادعة للحية، فقد جعلتهما يظنان أنهما سينالان شيئًا ما. بينما في الحقيقة كانا يخسران؛ فالحية لم تُنِر فهمهما، بل أظلمته. لكنهما ظنا أن هذه هي الحكمة. هذه الحية لم تكن تبحث عن اكتساب صداقتهما، بل أرادت أن تنتزع قوتهما فيتركا مكانهما. كثيرًا جدًا، عندما يتحدث الخداع، تجدين نفسكِ تنسين من أنتِ ومن الذي تتحالفين معه في الحقيقة.

خسارة القصد، خسارة الأماكن

أحيانًا، ما نخسر ما لدينا لأننا لا نستطيع أن نتذكر لماذا أُعطي لنا. نسي آدم وحواء قصدهما وخسرا مكانهما. كانا يعلمان أنهما قد خُلِقا للسيادة، لكنهما نسيا لماذا. وفي تشبثهما بما خسراه، بدأا يسيئان استخدام قواهما، واستخدما سيادتهما أحدهما ضد الآخر بدلًا من

أحيانًا، ما نخسر ما لدينا لأننا لا نستطيع أن نتذكر لماذا أُعطي لنا.

أن يستخدماها لصالح أحدهما الآخر. في الأساس، أنشأ سقوط الإنسان معركة الجنسين، وبهذا بدأ الصراع.

هل تعلمنا أي شيء في سنوات الألم هذه كلها؟ كم من الآباء والأمهات خسروا قلوب أولادهم لأنهم نسوا لماذا أنجبوا الأولاد؟ لم يكن السبب أبدًا هو السيطرة عليهم، بل توفير بيئة يمكنهم فيها أن يكبروا. كم من الأزواج والزوجات خسروا زيجاتهم لأنهم نسوا لماذا اجتمعوا معًا؟ إنهم يحاربون أحدهم ضد الآخر بدلًا من أن يُحارِبوا لأجل محبتهما. هل نتمسك ونصارع مع الآخرين للحصول على أدوارهم لأننا لم نعد نرى أدوارنا؟ كلنا نخسر عندما نأخذ من الآخرين ما لم يكن في سلطانهم أن يعطونا إياه. لماذا لا نرضى بأن نسلك في السلطان والمواقع المُودَعة لعنايتنا؟

إن موقع الرجل لا يمكن انتزاعه منه، كما أنه ليس له الحق في أن يتخلى عنه. ومكانة المرأة ليس للرجل أن يأخذها، وليس لها أن تفقدها. يجب أن يقف الاثنان معًا في أدوارهما المخصصة لكل منهما. ما أُعطي لنا لكي نحرسه يجب ألا نسلمه أبدًا لشخص آخر. لكن الرجل والمرأة تخليا عمَّا ائتُمِنا عليه لحمايته والوكالة عليه في جنة عدن. لقد صرفنا كل هذا الوقت في محاولة أن نجد طريقنا للعودة إلى عدن، جنة الله، حيث تزدهر خليقته مرةً أخرى. هذه الجنة الخصبة زالت منذ وقت بعيد، وإن كانت بذار الحقيقة والمبدأ باقية. إننا نشتاق إلى استرداد جنتنا المفقودة. كانت هذه الجنة نوعًا من الفردوس الجديد الذي سندركه في النهاية وظلًا له. لكن في الروح، ضمن لنا يسوع المسيح -نسل حواء- هذه النصرة.

«هو يسحق رأسكِ، وأنتِ تسحقين عقبه». (تكوين ٣: ١٥)

أين إذًا هذا الانقلاب؟ أين هو الدليل على هزيمة عدونا؟ متى سنرى الظلمة وهي تتقلص والقمع وهو ينفك؟ متى سيبدأ أولاد حواء في السير في النصرة التي حققها نسلها؟ أؤمن أننا سوف نبدأ في رؤية تحول عندما نكف عن إساءة استخدام قوتنا وسلطاننا. ماذا سيحدث إذا استخدمت النساء قوى البصيرة والنفوذ لديهن للشفاء والرعاية؟ ماذا لو استخدم الرجال قوى القدرة

لديهم للحق والعدل؟ ماذا لو حارب الرجال كرجال؟ وماذا لو نالت النساء حقًا القوة للمحاربة كنساء؟ كلنا سنكسب.

سوف يكسب الرجال الاحترام الذي خسروه، وسوف تستعيد النساء قوة المحبة. أنا أعلم أن ما فُقد يتم استرداده. وأن الطريقة التي تبدو عليها الأشياء تميل إلى الطريقة التي يجب أن تكون عليها. تعالي إلى موضع الحق معي. أيتها النساء، دعن هذه الكلمات تتحدث إليكن، ولتجدن أنفسكن مرة أخرى في انطلاق لتصبحن كل ما خلقكن الله لتصبحن عليه.

أن ما فُقد يتم استرداده.

«الرب يعطي كلمة. المُبشِّرات بها جند كثير: "ملوك جيوش يهربون يهربون، المُلازِمة البيت تَقسِم الغنائم"». (مزمور ٦٨: ١١-١٢)

إن الله يعلن النصرة، وقد آن الأوان للبنات أن تبشرن بفرح بالحق الخاص بما تم الفوز به. إن هذه الغلبة واسعة جدًا لا يمكن لصوت واحد أن يحتويها. نحتاج إلى أصوات الكثيرات اللواتي تتكلمن بصوت واحد. لقد انتشرت الكذبة إلى أبعد مدى، لكن الحق أقوى. إذا أعلنَّا الحق وحده، عندئذ سيهرب ملوك العدو وجيوشه. وفي أعقاب رحيلهم، سوف نستعيد الغِنَى والثروات التي فُقِدت منذ زمن طويل.

حرة بالتمام، لله بالتمام

«الحرية التي قد حررنا المسيح بها». (غلاطية ٥: ١)

الله مشغول بالحرية، إنها فكرة كبيرة جدًا بالنسبة له. إنه يريدكِ حرة تمامًا حتى يمكنكِ أن تكوني له بالتمام. على مر السنوات، أصبحت أؤمن أن الله في الواقع يستمتع بأن يضعنا في مواقع ومواقف لها القدرة على أن تتحدى مناطق العبودية في حياتنا. أعتقد أنه يستمتع بمشاهدة أولاده وهم يُدفَعون إلى مناطق خارجة عن مناطق راحتهم وسيطرتهم. ربما لا يختلف هذا -من وجهة نظره- عن رؤيتي لأولادي وهم ينقلبون ويرقصون بين الأمواج.

لابد لكِ أن تفهمي أنني كنت بطبيعتي إنسانة يغلب عليها الخوف، حتى فكرة كتابة كتاب يلمح إلى الصراع كان يمكن أن ترعبني. لكن أتى وقت كانت فيه رغبتي في التحرُّر تفوق رغبتي في الأمان. هل وصلنا إلى هذه النقطة بعد؟ حدث هذا بالنسبة لي عندما رأيت مخاوفي تنعكس في أولادي. لو كان الأمر يتعلق بي وحدي، فإني أقول بصدق إني لا أعلم إن كنت سأتغير أم لا. فقد كان الأسهل كثيرًا لو أنني ظللت مختبئة.

في المدرسة الثانوية، طُلب مني أن أدرس إما الخطابة أو المجادلات لكي أتخرج. ولم يكن هناك شيء يرعبني أكثر من هذا. كنت أرتعب من الوقوف أمام الناس. كنت قد فقدت إحدى عينيَّ نتيجة نوع من السرطان يصيب الشبكية عندما كان عمري خمس سنوات. وفي ليلة واحدة، تغيرت الحياة التي كنت أعرفها؛ فتحولت من فتاة واثقة واجتماعية إلى فتاة كئيبة وانسحابية. شعرت أن الناس لم يعودوا يروننني. عندما كانوا يتحدثون إليَّ، كنت أشاهدهم وهم يحاولون أن يقرروا أي عين يجب أن ينظروا إليها. في المدرسة، تغيرت المجاملات إلى إهانات. كانوا يسمونني «العوراء» و «سيكلوبس» (عملاق أسطوري يوناني له عين واحدة). كنت أتعامل معهم بتجهُّم في محاولة للتصرف وكأن كلماتهم لم تجرحني. كنت أتجاهل التعليقات وأحافظ على ثباتي حتى أصل إلى المنزل. وهناك كنت أبكي بلا توقف في غرفتي. لماذا لا أكون مثل كل الآخرين؟

والآن كان عليَّ أن أقف أمام زملائي في الدراسة وألقي خطبة. لم تكن المجادلة خيارًا مناسبًا لي؛ فلم يخيل إليَّ أبدًا أن أفوز في أي جدال أمام الآخرين. تحملت الأسابيع القليلة الأولى للفصل الدراسي، ثم جاء وقت الخطبة. استعديت جيدًا، لكن هذا لم يكن مهمًا. نظرت إلى زملائي في الفصل، ولم أستَطِع أن أقول أي شيء. استأذنت وهرعت إلى مكتب المشير الإرشادي. وشرحت هناك كيف أنه كان من المستحيل بالنسبة لي أن أكمل بنجاح المقرر الدراسي للخطابة. كيف أحصل على تقدير مقبول، ولن أقول جيد أو جيد جدًا؟ ففي النهاية، أنا معاقة!! ولدهشتي أظهر المشير الذي كنت أتحدث معه تعاطفًا تجاهي. وطرح عليَّ بعض الأسئلة من بينها: «هل تخططين أن تفعلي أي شيء في حياتكِ يتطلب التحدث على الملأ؟» أجبت:

«كلا، بكل تأكيد!» وأكدت له أنني لا أنوي إطلاقًا أن أتحدث أمام أكثر من شخصين لبقية حياتي.

فقال: «سأقول لكِ شيئًا، اختاري فقط وحدة أخرى من فنون اللغة، ونحن سوف نتنازل عن مطلب الخطابة». لم أستطِع أن أصدق أذنيَّ.

وهناكُ في تلك اللحظة، طلبت الانضمام إلى مقرر دراسي عن الروائي "كيرت فونيجت".

ونظرًا لأن المشير كان متفهِّمًا للغاية، فقد جذبت انتباهه إلى مقرر دراسي آخر كان يمثل مشكلة كبيرة بالنسبة لي، وهو الكتابة على الآلة الكاتبة. كان مستحيلًا تقريبًا بالنسبة لي أن أتخطى الخمس والعشرين كلمة في الدقيقة. فأصغى إليَّ بصبر وأنا أشرح له الأمر.

وقال: «أعتقد أنه يمكننا أن نتنازل عن الكتابة على الآلة الكاتبة أيضًا. يمكنكِ دائمًا أن تدفعي لشخصٍ ما لكي يكتب لكِ أوراقكِ في الكلية».

ابتهجت للغاية! وغادرت مكتبه وأنا أشعر وكأن ثقلًا عملاقًا قد انزاح من على كتفيَّ. جمعت أغراضي من فصل الخطابة وقدمت إخطارًا لمدرسي الجديد لكي أبلغه بأنني سوف أحضر المقرر الدراسي الخاص بـ"فونيجت". وتحولت الكتابة على الآلة الكاتبة إلى الاستماع في قاعات الدراسة. وصارت الحياة جميلة. لكن لابد أن الله في السماء كان يضحك. يمكنني أن أتخيله وهو يلتفت إلى الملائكة ويقول: «مسكينة ليزا. لنعطها استراحةً. أنا أتفهم أنها في غاية الرعب من فكرة الوقوف أمام اثني عشر طالبًا معها في الفصل. سوف ننتظر فقط ونخيفها حقًا ونجعل هذا العدد يزداد إلى المئات ثم الآلاف، ونضيف إلى هذا الخليط أيضًا برنامجًا تليفزيونيًا لنوصِّلها حقًا إلى أقصى ما يمكنها الوصول إليه. هي لا تريد أن تكتب على الآلة الكاتبة. هذا صعب عليها جدًا. حسنًا، يمكنها أن تستريح من هذا أيضًا الآن، لأنها سوف تظل تكتب لبقية حياتها».

الفصلان اللذان خرجت منهما في المدرسة الثانوية هما ما أفعله بانتظام اليوم. كما ترين، فإن المشيرين والمدرسين والمنظمات المختلفة قد تتفق كلها معكِ على أنكِ معاقة. لكن الله لن يتفق معكِ على هذا أبدًا.

إنه يحب أن يعطيكِ الفرصة لتواجهي مخاوفكِ. لأنكِ عندما تواجهين ما تخافينه سوف تصبحين شجاعة.

أين هن البنات اللواتي لا يعرفن الخوف والمستعدات للمحاربة كنساء؟

بينما تقلبين هذه الصفحات، افتحي قلبكِ. وصدقي أنكِ واحدة من تلك الأصوات، واحدة من بنات الله العلي اللواتي سوف يتعلمن كيف يحاربن كنساء. لقد حان الوقت لكي نسترد من الحية كل شيء، ونرتدي الكعوب العالية، ونسحق رأسها.

أيها الآب السماوي،

آتي أمامك باسم يسوع. أؤمن أنك تراني جميلة. أؤمن أنك خلقتني ونسجتني في بطن أمي للخير وليس للضرر. لقد تعرضت للهجوم بصفتي مشكلة، وأريدك أن تطلقني بصفتي حلًا. أرفع وجهي إليك. فأعد الرقة إلى صوتي. أريد أن أجلب الشفاء والرجاء لعالمٍ هالكٍ ومائتٍ، لكنني أولًا أحتاجك أن تلمسني وتشفيني بصورة شخصية. غيِّر نظرتي. رد نفسي. ادعني جميلة. اجذبني إليك. أنزع كل ثياب غريبة وآتي أمامك مستعدة لأن تطلقني في الروعة التي خلقتني عليها في الأصل. يا روح الله، انفخ الحياة في كل مكان ميت وعقيم. افتح عينيَّ لأرى ما يمكن أن يكون، وافتح أذنيَّ لأسمعك وأنت تدعوني باسمي. آمين.

الفصل الثاني

ماذا إذا لم أكن أحب النساء؟

هـذا ما اعتـدت أن أقوله، والحقيقة هي أنني الآن أحب النسـاء. لكن كما يمكنكِ بالتأكيد أن تتخيلي، فقد مررت بوقت في حياتي لم أكن فيه معجبة بهن. ولم أكن مسـتاءة من النساء فحسب، بل كنت مستاءة من كوني امرأة أيضًا. ولهذا لم أندهش من المشـاعر المعادية للأنوثة والتي كانت تخرج من أخواتي. فقد سـمعت هذه المشاعر مُعلَنة بشكل أو آخر من النساء من كل الأعمار ومن كل مناحي الحياة. في الواقع، بينما أسافر وأتكلم، أصبحت هذه نقطة تواصل رئيسية. عادة ما أبدأ الحديث بأن أقول شيئًا مثل:

«كم منكن أتت هنا اليوم وليست متأكدة أنها تحب النساء؟»
«أعني بـأمانة، أعتقد أني ذكر أكثر من كوني أنثى».
«أحب الصبيان أكثر بكثير من الفتيات».

«الرجـال يقولون ما يعنونه ويعنون ما يقولونه. أما مع النسـاء، فلا يمكنكِ أبدًا أن تعرفي ما الذي يجب أن تعتقديه!»
«أنا أتماشى بشـكل أفضل مع الرجال، فالعلاقات الأنثوية تستنفذ الكثير جدًا من الطاقة!»
«النساء نمَّامات، تقلن شيئًا في وجهكِ وشيئًا آخر من وراء ظهركِ».

أنا متأكدة تمامًا من أنني عبَّرت عن كل هذه المشـاعر والإحباطات إما على الملأ أو في داخلي. لكن عندما أفكـر حقًا في هذه القـوة المحرِّكة، أجدها مرعبـة إلى حدٍ ما. دعونا نُلبِسـها ثوبًـا مختلفًا. لا يمكننـي أن أتخيل حتى مجموعـة من الرجـال يوافقون علـى ما يعلنـه أخ آخر من احتقـاره لجنس

الرجــال. أو ماذا عن أخ أو أخــت زنجيين يقفان ويعلنــان لمجتمعهما قائلين: «يــا جماعة، أتعلمون؟ أنــا لا أحب الزنوج حقًّا»؟ لن ينتهي الأمر حســنًا بهذه الطريقــة. ويمكنكِ أن تتخيلي أنه إن حدث هذا مع أية مجموعة من البشــر- الإيطالييــن، العرب، الأطفال، إلخ- ســوف يبدو غريبًا بالمثــل. فهذا لا يحدث سوى مع النساء.

لماذا تتفق غالبية النساء على اشمئزازهن العام وإحباطهن من النساء؟ بل إنني رأيت أنه محل تقدير أيضًا: «أنتِ لا تحببن النســاء؟ عظيم. ولا أنا أيضًا!» وكأن هذا يجب أن يجعلنا كلنا نشعر بأمان ما لأننا محاطون بنساء لا يحببن النســاء. صحيح أننــا عادة نحب المرأة كفرد، لكننا نصارع مع فكرة النســاء ككل. ومــع امتداد الحديث نجد أننا نُظهِر ولاءنا بأن نغير مواقعنا ونؤكد على التوجُّه الرجولي للحياة والعلاقات.

«النساء عاطفيات أكثر من اللازم!»
«إنهن مجموعة من المتذمرات!»
«إنهن عدوانيات سلبيات!»
«لا يمكنكِ أبدًا أن تثقي فيهن!»

كثيــرًا ما قلــت إنني أفضِّل إجــراء محادثة فــي غرفة مليئــة بالرجال على الحديث المهني مع مجموعة من النســاء. وهذا مؤســف، لكنه حقيقي إلى حد بعيد.

ما الخطأ في النساء؟

أعتقد أن هذا الوباء الخاص بالمشاعر المعادية للنساء يحتاج إلى تفسير، وربما يجدر بنا أن نبدأ بالإجابة على الســؤال: «لماذا تكون النســاء هن اللواتي لا يحببن النســاء؟» ما الذي يمكن أن يجعل نســبة كبيرة من جنس النســاء يرفضن نوعهن؟ لقد رأيت هذا في كل مكان ســافرت إليه، وتداعيات هذا الأمر هائلة. للأســف، كثيرات منا لــم تتعلمن تقدير هويتنا كنســاء. ما المدهش إذًا في أننا نفصل أنفســنا عن هذا الدور إذا كنا لم نمتلك على الإطلاق فهمًا حقيقيًا لمعنى أن أكون امرأة؟

يحتاج هذا النقص في الوعي بالقيمة الأنثوية إلى المواجهة في كل مجالات الحياة تقريبًا حتى يمكننا أن نرى تحوُّلًا. إن الله يوقظ هويتنا الفردية لكي يمكننا من أن ندرك ما يمكننا أن نكون عليه كبنات وزوجات وأمهات وأخوات وقائدات وصديقات. فللنساء إسهامات بارزة يمكن أن يقدمنها داخل نطاق تأثيرهن الفريد. ولن يتحقق هذا بصورة كاملة مع هذا النفور الكامن من جنسنا.

أتذكر جيدًا حادثة حدثت بعد خطوبتي من جون بوقت قصير. كنا نجلس في أحد المتنزهات نناقش مستقبل حياتنا معًا، وعندها انهرت بالتمام. لقد أدركت شيئًا كان بمثابة صدمة بالنسبة لي: أنني كنت أنثى. كان المستقبل الذي أمامنا يُظهِر هذه الحقيقة بوضوح. سوف أظل ألعب الدور الأنثوي لبقية حياتي. كان جون في غاية الفرح وهو يرى مستقبلنا يمتد أمامه، لكن بينما كان يتكلم، بدأت أشعر بالذعر. وقبل أن أدرك ما كنت أفعله، وجدتني أقول بدون تفكير: «أنا أكره كوني فتاة!»

أقول بدون تفكير: «أنا أكره كوني فتاة!»

شعر جون بالذهول. ما الذي كانت عروسه تقوله بالضبط؟ ثم انفجرت باكية (وهي استجابتي المُحرجة للإحباط) عندما بدأت أشرح له كم أن كوني أنثى هو أمر بشع ومليء بالمحدوديات. كنت خائفة من أنني بالموافقة على الزواج، سوف أفقد التحكم في حياتي، وأرضى بأن أعطي أكثر بكثير مما كنت أريد أن آخذه. وبعد حوالي خمس عشرة دقيقة من هذه الخطبة المطوَّلة، جاء دور جون لكي يخاف. لكن لحسن الحظ، أننا كنا مجاورين لزوجين تقيين كانا بمثابة الوالدين لجون. وفكر هو أنه ربما تكون فكرة جيدة أن نتمشى ونذهب إليهما، حتى يمكنني أن أتحدث مع الزوجة. حاول جون بأقصى استطاعته أن يهدئني، لكنني عندما تثور مشاعري يصعب تهدئتي.

لاقتنا هذه السيدة الجميلة بالترحيب الحار ودعتنا للدخول. دخلتُ أولًا وتوجهتُ مباشرةً إلى دورة مياه الضيوف لكي أصلح من شكلي. وبينما كنت خارج الغرفة، شعر جون أنه لابد أن يقدم تفسيرًا لمظهري غير المُرتَّب ووجهي الذي تظهر عليه آثار الدموع.

فقال لها جون وهو غير متأكد من رد فعلها: «قالت ليزا للتو إنها كانت تتمنى لو كانت رجلًا وإنها تكره كونها امرأة». فأومأت تلك المرأة الحكيمة برأسها بالموافقة، محتفظة بتعليقها حتى أرجع. خرجت وأنا أشعر بالقليل من الخجل. يا ترى ماذا ستقول عن انفعالي السخيف هذا؟ يا ترى هل حذرت جون قائلة «لا تتزوجها!»؟ وعلى الفور، بدأت هي تهدِّئ مخاوفي. قربتني منها، ونظرت إلى عينيَّ، وقالت ببساطة: «أنا أفهمكِ». أخذتُ نفسًا عميقًا واستجمعت قواي. في هذا الوقت، بدا التفهم من قِبَل امرأة أخرى أكبر مني في السن والحكمة أمرًا كافيًا بالنسبة لي.

ربما يكون الأدق أن أقول إننا لا نبغض حقًا كوننا نساء، بل إننا فقط لا نحب صورة النساء التي كوناها أو تبنيناها. في أوقات أخرى، كنت أتساءل هل هناك شيء محوري مفقود، لدرجة أننا ننوح على خسارة ما لا يمكننا التعبير عنه؟ ربما لا يعجبنا ما ندركه من محدوديات أو ضعفات مرتبطة بنوعنا. انظري فقط إلى كيفية استغلال وسائل الإعلام للنساء وفي الوقت ذاته إهانتها للرجال. نحن ندَّعي المساواة في القيمة، ثم نسمح لأنفسنا أن يتم التقليل من شأننا إلى مجرد أشكال جنسية تلهو مع الآخرين. يبدو أننا -بطريقة ما- قد ضللنا طريقنا، وقليلات منا هن اللواتي يحاولن باستماتة أن تستكشفن بعض هذه الحقائق، ولكن بعد تأخُّر الوقت قليلًا في الحياة. أخشى أننا لابد أن نستعيد اتجاهاتنا قبل أن يفوت الأوان.

رؤية تشجِّعنا

لا يمكنني حتى أن أحصي عدد المرات التي أتت إليَّ فيها شابات متحمسات وسألنني أسئلة استكشافية ومحفِّزة للتفكير. لماذا يُعدُّ أمرًا جيدًا أن أكون امرأة؟ أين هي قيمتنا؟ ما هو دورنا؟ ما الذي يمكنني أن أفعله؟ وكيف يمكنني أن أفعله؟ ما الذي يقوله الله عن أدوارنا الأنثوية؟ هل يمكن لحياتي أن يكون لها حقًا معنى خارج العلاقة مع رجل ما؟ أشعر بدعوة الله، لكنني لا أعلم ما تبدو عليه بالنسبة لي كامرأة. هل يمكنكِ أن تخبريني كيف أصير تلك المرأة؟

ولكي ننجح في مراجعة وفحص ما هو مقدَّر لكِ كأنثى (أجل، إنه أمر في غاية القوة) اسمحي لي بأن أقدم لكِ الفهم وأحفز فيكِ الرغبة أيضًا.

تخيلي في ذهنكِ مدينة رائعة. إنها ليست مكانًا عاديًا، لأنها تظهر فقط عند الفجر عندما تتلاقى الأرض مع السماء، وكأنها تولد مع الشمس المشرقة. ترين حدودها محفورة على وهج مرجاني ناري في كل صباح، حقيقية للغاية، وصحيحة للغاية، لدرجة أنكِ تشعرين وكأنه يمكنكِ أن تقتلعيها من الأفق وتمسكي بها بين يديكِ. ثم فجأة تختفي، لأنه بينما تعلو الشمس في السماء، تختفي هذه المدينة الخيالية عن الأنظار.

لقد قالوا لكِ إنه مع أن المدينة حقيقية جدًا، إلا أنها بعيدة. وسكان هذه المدينة يختلفون عنا كثيرًا؛ لأنهم كلهم يتميزون بالقوة والجمال والصلاح والحكمة. ثقافة هذه المدينة وعاداتها غريبة عنا بالتمام. الأبواب دائمًا مفتوحة، وتقول الأساطير إن من يدخلون المدينة نادرًا ما يرغبون في مغادرتها؛ فالمملكة تمطر العطايا على كل من يأتون، ومع هذا فإن حدودها الشاسعة لا تمتلئ أبدًا. يوجد مكان للجميع. لكن ليس الجميع يفسحون مكانًا لهذه المدينة.

للأسف، معظم الناس لا يريدون القيام بهذه الرحلة إلى الأرض التي لا يلمحونها سوى في الصباح الصافي. لكن من يذهبون إلى هذا النطاق نادرًا ما يرجعون.

كل يوم تتجه أفكاركِ إلى هذه المدينة، لكن هناك أنشطة وأشياء أخرى تصارع للحصول على انتباهكِ. فالأفكار والهموم تزحم تفكيركِ وتنجح في تشتيتكِ. والرسائل المتناقضة تقاوم الجمال البكر لهذه المدينة. لكنكِ عندما تهدأين تشعرين بانجذاب لا يُقاوَم نحوها، وكأنها تدعوكِ. في بعض الأوقات تستيقظين وتشعرين بهمسة. تسمعين اسمكِ، لكنه يبدو مختلفًا بطريقة ما ... إنه ينبض بالحياة. وكأنكِ الآن لا تدركين سوى قدر صغير فقط من هويتكِ. لكن هناك سوف تكوني مكتمِلة. قد يظن البعض أنني كنت أصف السماء فقط - هذا غير صحيح. إنني أتحدث عن التمسك الآن بالوعود والحق الخاص بالملكوت الآتي.

«ليأتِ ملكوتكَ. لتكن مشيئتكَ كما في السماء كذلك على الأرض». (متى ٦: ١٠)

أؤمن أننا عندما لا نكتفي فقط بأن نسمع حق ملكوت السماوات، بل أيضًا

نحياه بشغف. أننا سوف نرى استردادًا لقدر من قوتنا وجمالنا. هذه المدينة ترمز إلى الطريقة التي يجب أن تكون عليها الأشياء وهي ليست عليها. إنها تمثل ثقافةً يكون للجميع فيها قيمة فريدة وكرامة خاصة. إنها الفرق بين السماء السامية وأرضنا الحالية. هذا المدى الواسع يربط بين المصير والشوق. وأنا أؤمن أن الرؤية عامل قوي لإيقاظ المصير.

«بلا رؤيا يجمح الشعب». (أمثال ٢٩ : ١٨)

أجل، الرؤية لها القدرة على أن ترفعنا وتذكّرنا بأننا قد خُلِقنا لمكان آخر ولزمن آخر. هناك، كل الأخطاء ستُصحَّح، وسوف تكتشفين أنكِ كلكِ جميلة. هذا هو رجاؤنا. لكن، ماذا عن الآن؟

الروعة: عطية المرأة

منذ فترة، شعرت في الواقع وكأن هناك رؤية تتراقص أمامي. كنت في أستراليا في مؤتمر رائع للنساء. وبانتهاء المؤتمر، قامت مجموعة من الفتيات الصغيرات بأداء رقصة جميلة. انبهرت وأنا أشاهد هذه المجموعة. كنَّ من كل الأشكال والأحجام -الطويلة والقصيرة والرشيقة والنحيلة- لكن عندما بدأت الموسيقى، تحركن برشاقة جماعية. كانت الأغنية والرقصة مناسبة لهن جميعًا. نزلت الدموع من عينيَّ؛ إذ كنَّ ينسجن لوحة من الأناقة. وكانت هناك فتاة سمراء جذبت نظري أكثر من مرة. فقلت لنفسي، أليست جميلة؟ وبمجرد أن راودتني هذه الفكرة، سمعت الروح يهمس لي قائلًا: إنها تشبهكِ عندما كنتِ في مثل سنها، لكنكِ لم تري هذا أبدًا. فنظرت مرة أخرى. كان جسمها مشابهًا لي عندما كنتُ في سنها، لكنني كنتُ دائمًا أرى نفسي قبيحة وغير متناسقة. لماذا أرى الأمر مختلفًا الآن؟ التفت إلى صديقتي لاي، التي كانت تجلس بجواري، وابتسمتُ. كانت عيناها ممتلئتين بالدموع أيضًا. كان الأمر مختلفًا الآن. فقد كنا أمهات يشاهدن بناتهن وهن يرقصن.

أمر مذهل ما يفعله الزمن وتغيير وجهة النظر؛ فمع مرور السنوات لم أعد أشعر بالضغط لمقارنة نفسي بالنساء الأخريات. لقد شفى الله هذه المواضع المكسورة. إنني أبحث عن شيء أكبر. إنني أبحث عمَّا لمحته في

ذلك اليوم. أتوق إلى اليوم الذي تبدأ فيه البنات في نسج هذا الثوب واسترداد الروعة والحب والجمال الفريد الذي لا يُعبِّر عنه سوى الأنوثة. إنني أبحث عن النساء اللواتي يعرفن كيف يزيِّنَّ ليس حياتهن فقط، بل أيضًا حياة الآخرين بمقدارٍ من روعة السماء. تلك اللحظة تبين ما أريد من هذا الكتاب أن يفعله. أريد من البنات أن ترقصن بلا خوف، بينما تبتسم الأمهات و تتنهد الجدَّات بسرور.

أريد أن أكون صوت أم للصغيرات، وصديقة لأخواتي، وابنة لمن تسترحن الآن بعد سنوات طويلة من الرقص. أريد أن أساعد النساء على رؤية الجمال والقوة في أزمنة حياتهن. أيًا كان زمن حياتنا الحالي، أو وجهة نظرنا الحالية، فلن يمكن أن يحدث هذا ما لم نتعلم أولًا أن تحب إحدانا الأخرى ونحب هويتنا كنساء.

اختراق الجمود

ليست لديَّ كل الأجوبة، لكن ما تعلمته هو ما أريد أن أشارك به. كانت هناك أوقات كثيرة تحدث فيها الحق إليَّ، لكنني لم أصغِ. كان غالبًا ما يدعوني، لكنني لم أسمعه. كنت مشغولة كثيرًا بالاستماع إلى الأكاذيب. للأسف، إذا أصغيتِ للأكاذيب طويلًا، فعندما يتحدث الحق لن يمكنكِ أن تسمعيه أو تحتمليه. في أوقات أخرى، لم أفهم ما أسمعه بسبب كل التدخلات والجمود في حياتي.

ظللت لسنوات كثيرة أسمع الكثير من الرسائل المختلفة والمختلطة عن النساء. عندما كنت أصغر سنًا، سمعت قائدات نسويات يتحدثن، لكن بعدها كان هناك دائمًا جمود غضبهن. وأثناء تقدمي في العمر، سمعت أصوات المُطلَّقات، وكانت تحوي ضجيج خيبة الأمل والوجع والمرارة والخيانة. في الكلية، سمعت فلسفة مُدرِّسة علم الاجتماع، لكن كان جدول أعمالها لا يتوافق معها. في الكنيسة، سمعت وجهات نظر القادة، وكثيرًا ما كان هناك جمود الأنظمة الدينية. كل صوت كان يحمل قدرًا من الحق. كانت هذه قصصًا حقيقية عن المشقة والظلم، عن التسلط والخسارة. عندما وضعت هذه الأجزاء معًا، لم تعجبني الصورة الناتجة أو الخيارات التي كانت تقدمها لي. كنت أريد شيئًا أكبر. كنت أريد أن أرقص. كنت أريد أن أبتسم. كنت أريد المدينة التي في الأفق.

ونحن نسافر معًا لنبلغ الطريقة التي يجب أن تكون عليها الأمور، سوف تسافر كل منا من أماكن أو وجهات نظر مختلفة. لكن لابد لنا كنساء أن نصل إلى هناك. صلاتي الحارة هي أن نقطع هذه المسافة وأثناء هذه العملية نخلق جسرًا للبنات الصغيرات والكبيرات ليعبرن عليه. وهكذا يبدأ سعينا نحو الحق.

ولكي نجد طريقنا، يجب علينا أولًا أن نتخلص من الجمود المتواجد بصورة دائمة؛ لأنه يخمد ويشوِّه كل ما نسمعه بصورة خطيرة. صار هذا التدخل تدخلًا مستمرًا في حياتي. بل إنني كنت أسمع تشويهه المتواصل أثناء قراءتي للكلمة المقدسة. سمعته في مفاهيم العلاقات الزوجية، في المسلسلات التليفزيونية، في السياسات والإجراءات، في الفكاهة، في الكنيسة، في المدرسة. ما الذي كان هذا الجمود يقوله؟
«النساء مشكلة».

هل سمعتِ هذا الجمود من قبل؟ لاحظي أنني لم أقل إن النساء يمكن أن يسببن المشكلات، لأن هذا بالتأكيد صحيح، بل قلت إن النساء هن مشكلة. التحفيز على المشكلة شيء، وأن يكون هناك شيء سلبي مُتوارَث أو مرتبط بجنسكِ هو شيء آخر تمامًا. لكني ممتنة؛ لأنني مع مرور السنوات، اكتشفت أن لكل كذبة، هناك حقيقة جوهرية: النساء لسن مشكلة ... بل حل.

النساء لسن مشكلة ... بل حل.

فكري في هذه العبارة للحظة واحدة، واسمحي لجمالها وقوتها أن تسمو فوق الضجيج وتخترق كيانكِ. وبينما تواصلين القراءة، سوف تحتاجين إلى إعمال كل شيء تسمعينه من خلال هذا الإدراك العميق بالرغم من بساطته: أنتِ حل.

تمسكي بقوتكِ

ربما تقولين: «لا. أنا لست كذلك. أنا مشكلة. أنتِ لا تعرفين كيف كانت حياتي». اهدأي واسمعي! أنا لا أتحدث عن ماضيكِ. بل أتحدث عن مستقبلكِ. إذا صدَّقتِ أنكِ حل، فسوف تتعاملين مع حياتكِ وعلاقاتكِ بطريقة مختلفة تمامًا عن الطريقة التي تتعاملين بها إذا كنتِ تصدقين أنكِ مشكلة.

المشكلات أمور سلبية ومنتقدة وديَّانة. المشكلات تزعج حياتكِ بهمومها ومخاوفها. لكن الحلول مختلفة كثيرًا؛ فهي أمور إيجابية، ومليئة بالرجاء ومانحة للحياة بحكمتها. الحلول تعزِّي، وتقهر الخوف بقوة المحبة. إذا كنتِ تؤمنين أنكِ مشكلة، فإن آجلًا أو عاجلًا سوف تبدأين في التصرف على أنكِ مشكلة. وبالمثل، إذا كنتِ تؤمنين أنكِ في جوهركِ لستِ مشكلة بل حلًا، سوف تبدأين في التصرف على أنكِ حل. تخيلي ما يمكن أن يحدث إذا فهم جيل كامل من النساء هذه الحقيقة. إذا نظرن إلى المرآة كل يوم وقلن: «أنا حل. لديَّ القدرة لأزعزع هذا العالم. لقد خُلِقتُ للخير وليس للضرر. أنا لا أحتاج إلى أن أزأر؛ لأنني أملك قوة الهمس. ليس عليَّ أن أكون سوداء أو بيضاء ... لأنني أنا لون الخليقة وجمالها!»

هذا الحل كان هو السبب الحقيقي لوجودنا والدافع وراء خلقنا. كانت هناك مشكلة في الجنة، وكنا نحن الحل الذي أوجده الله لهذه المشكلة. فكري في هذا الأمر! أنتِ الحل لمشكلة شخص ما، أنتِ الحل لمشكلة شيء ما، هناك مشكلة ووجودكِ وحده هو الذي يحلها. هناك قلب مكسور ومجروح لا يمكن لغيركِ أن يقدم له الدواء ليُشفى. أنتِ صوت للبكم. أنتِ جمال وسط الخراب. أنتِ لستِ ضحية، بل إنكِ حل. تخيلي القوة الكامنة في هذا التغيير للفكر. النساء لسن رجالًا، لكنهن غالبًا هن الحلول للرجال.

«وقال الرب الإله: ‹ليس جيدًا أن يكون آدم وحده، فأصنع له معينًا نظيره›».
(تكوين ٢: ١٨)

كان آدم بحاجة إلى معونة، وكانت حواء هي الحل. الحلول لا يتحتم عليها أن تحارب لكي تعرِّف الآخرين بوجودها عندما تدخل إلى المشهد. الحكماء يعرفون هذا. و كان آدم بالتأكيد يعرف هذا.

«فقال آدم: ‹هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعى امرأة لأنها من امرءٍ أُخِذت›». (تكوين ٢: ٢٣)

كما حدث مع آدم، فإن الناس عندما يرون النساء وهن يبدأن في تجسيد

الحــق، ســـوف يتخلون عن العقلية التي تعتبر المرأة مشــكلة ويتمســـكون بدورها كالحل. أؤمن أن هناك عالمًا يراقبكِ وينتظر منكِ أن تكوني حلًا.

صحيح أننا نحيا في ثقافة عالمية -وكثيرًا ما تكون كنســية أيضًا- توصِّل باستمرار فكرة أن النساء هن إلى حد ما «عقدة في المنشار». أو رباطًا ضعيفًا إذا صح القول. لكن هذا ليس حقيقيًا!

لقــد خُلِقت المرأة لتكون حــلًا؛ فقد كانت هي الكنز الــذي كان آدم يبحث عنه- خليقة الله الكاملة. فهي عندما تحب تكون الزيت الذي يمسح ويجعل الحياة تســير بسلاســة. عندما تكــون حرة لا تكون هي الربــاط الأضعف، بل تصبح هي اللؤلؤة الثمينة المُعلَّقة في سلسلة من ذهب.

«أريني وجهكِ، أسمعيني صوتكِ، لأن صوتكِ لطيف ووجهكِ جميل».
(نشيد الأنشاد ٢ : ١٤)

هناك عالم يتوق إلى أن رؤيتكِ وسماعكِ. لقد صدَّقت بنات حواء -في حماقة- كذبة ما، وســمحن لها أن تغيِّر نظرتهن وصورتهن. وعندما تمسَّكن بالكذبة التي تقول إنهن مشــكلة، فبمرور الوقت أصبحن مشكلة. عندما ننسى أننا جميلات، نفقد قدرًا من جمالنا. صحيح أن معظمنا لا نخيب أمل من ينتظرون فشــلنا. لكن رياح التغيير والحق تهب بحرية وانتعاش على كل من لها أذنان لتســمع مــا يقوله الحق وينبهنا به. إن العالم يشــتاق إلى أن يســمع جمال أصواتنا مرة أخرى.

النساء لسن مشكلة

ليس الأمر هو أنكِ لا تحبين النساء ... بل إنكِ لا تحبين الرقصة التي نؤديها حاليًا. فالثياب غير مريحة والأغنية ســخيفة. لقد أردتِ أن تبعدي نفسكِ عن الضحالــة والضعف والإخفاقات، وهــذا في حد ذاته ليس ســيِّئًا. لكنه ليس كافيًا. فإن إنكار جنسنا لن ينقلنا أبدًا من قوة المشكلة إلى الحل.

كنت أنا أيضًا أدين نفســي لمجــرد أني أنثى، وكان حديثي مع نفســي هكذا:

«أكــره كـونـي فـتـاة ... كـنـت أتمـنـى لـو أكـون رجـلًا! فـالـرجـال أحـرار فـي أن يـفـعـلـوا أكـثـر بكـثـير منـي. الـحـقـيـقـة هـي أنـهـم أقـوى. أكـره أن أكـون تـحـت سـيـطـرة وإذعـان! أريد أن أكـون حـرة فـي أن أتـحـكـم فـي نـفـسـي». ومـع مـرور الـزمـن أدركـت أن هـذه الأفـكـار كـلـهـا تـكـونـت كـاسـتـجـابـة لـحـالـة الـجـمـود. لـقـد شـوَّهـت الـضـوضـاء تـفـسـيـري لـكـل شـيء.

فكري في هذه العملية على أنها تشبه نظام تحديد المواضع «GPS» في السيارة. القمر الصناعي الخاص برسم الخرائط له امتياز النظرة البعيدة التي تعلو كثيرًا فوق الاشتباكات المرورية أو التشويشات التي تحدث داخل السيارة (مثل الأطفال ذوي الصوت العالي). كان لزوجي نظام مثل هذا في سيارته، وفي إحدى المرات، حاولت أن أستخدمه عندما دخلت إلى مكان غير معروف في «دنفر». المشكلة الوحيدة كانت هي أنني برمجته بطريقة غير صحيحة؛ فقد أدخلت فيه نقطة مغادرتي على أنها جهة وصولي.

طوال الرحلة، كان جهاز الملاحة يحاول أن يعيدني إلى بيتي: «اخرجي حالًا وعودي! خذي المخرج التالي. توقفي، أنتِ تتجهين في الاتجاه الخاطئ!» وبنفس الطريقة، كنت أشعر أحيانًا أن اقترابي من أمور النوع كان بنفس الطريقة. فقد تمت برمجتي بجهل بالهدف الخاطئ. جهة الوصول: منطقة الرجال، المغادرة من طريق النساء. ربما تشعرين هذا الشعور ذاته. فجهاز الملاحة لديكِ يصرخ، لكنكِ لا تعرفين إلى أين تتجهين. لقد آن لنا أن نخرج من هذا الطريق السريع المشوَّش ونرجع إلى الطريق الآمن الذي يأخذنا إلى الملكوت الذي في الأفق. هناك يمكننا أن نحتفي ليس فقط بالنساء كصديقات، بل بأننا ننمو أيضًا إلى أكثر بكثير مما حلمنا به.

حيوية بالنسبة لخطة الله

لا أريدكِ أن تتخيلي أنني أدافع عن الاستسلام أو التشبه بممسحة الأرجل. فأنتِ جزء حيوي من حل الله للبشرية. لقد شكَّلكِ أبونا السماوي بصورة محدَّدة لتقومي بدور لا يمكن لامرأة أخرى أن تحققه في مكاننا وزماننا. أثناء مخاطبتي للنساء وتناول القضايا التي يواجهنها، أحاول التواصل معهن من خلال قول ما يقوله الله عنهن: «أنا أحب النساء، إنهن الحل للكثير من المشكلات».

للنساء قيمة هائلة، لكن كثيرًا ما فشلنا في التعبير عنها إحدانا للأخرى. ربما لم نسمع هذه القيمة بالقدر الكافي. لا في وسائل الإعلام، ولا في الكنيسة، ولا في بيوتنا، ولا في منطقة الاختلافات الجنسية، ولا في علاقاتنا. وبينما ندرك ونؤكد قيمتنا المغروسة فينا، يتم تضخيم نقاط قوتنا. وما سنصبح عليه يظهر بصورة أوضح. سوف تنظَّف المرآة المُعتِمة المظلمة، وينكشف دورنا الأصلي والجمال الذي يحمله.

«فإننا ننظر الآن في مرآة، في لغز، لكن حينئذٍ وجهًا لوجهٍ». (١كورنثوس ١٣: ١٢)

في الصفحات التالية سوف نبحث معًا هذا الأمر. أصلي أن تجدي الركن الخاص بكِ في الملكوت وتبدأي في أن تسمعي الله وهو يدعوكِ باسمكِ.

فيما يلي بعض الأسئلة لكي تتأملي فيها:
ما هي الطرق التي تسمحين بها للجمود أن يقنعكِ بأنكِ مشكلة؟
في أي سن تعتقدين أنكِ أصبحتِ أكثر ضعفًا أمام التدخلات؟
لماذا بدأتِ تصدقينها؟
ما الذي حدث في حياتكِ وتسبب في تقوية هذا التشويه؟
ما هي المناطق التي تظهر فيها صورتكِ لنفسكِ على أنكِ مشكلة بأكثر قوة؟
ما الذي يجب أن تفعليه لكي تصدقي أنكِ حل؟
ما هي بعض المناطق التي يمكنكِ فيها أن تبدأي في أن تكوني حلًا للآخرين؟

أيها الآب السماوي،
آتي أمامك باسم يسوع. أؤمن أنك تراني جميلة. أؤمن أنك خلقتني ونسجتني في بطن أمي للخير وليس للضرر. لقد تعرضت للهجوم بصفتي مشكلة، وأريدك أن تطلقني بصفتي حلًا. أرفع وجهي إليك. فأعد الرقة إلى صوتي. أريد أن أجلب الشفاء والرجاء لعالمٍ هالكٍ ومائتٍ. لكنني أولًا أحتاجك أن تلمسني وتشفيني بصورة شخصية. غيِّر نظرتي. رد نفسي. ادعني جميلة. اجذبني إليك. أنزع كل ثياب غريبة وآتي أمامك مستعدة لأن تطلقني في الروعة التي خلقتني عليها في الأصل. يا روح الله، انفخ الحياة في كل مكان ميت وعقيم. افتح عينيَّ لأرى ما يمكن أن يكون، وافتح أذنيَّ لأسمعك وأنت تدعوني باسمي. آمين.

الفصل الثالث

لكنني لست رَجُلاً

مع مرور الوقت، سوف تصبح ديناميكيات النوع مفتاحية ومهمة أكثر فأكثر. سمعتُ أن التفرقة على أساس النوع تُصنَّف على أنها آخر بند يجب الأخذ به في قائمة التحاملات. لكنني أشعر أننا نخطئ في وصف النوع على أنه مسألة تحامل. إنه مسألة حياة أو موت. وبقولي هذا أنا لا أقلل على الإطلاق من أهمية معالجة القمع والتحامل بأشكالهما المتعددة. بل في الحقيقة فإن التحامل العنصري يظل يعيث فسادًا من خلال الجهال والمتغطرسين في عالمنا الحديث. وهناك مصادر ومنظمات وأفراد على درجة من التميز يناهضون هذه القضايا والأكاذيب. وهدفي هو أن آتي بالشفاء إلى القطيعة القائمة بين الجنسين، والتي تتخلل كل ثقافة وكانت موجودة بشكل أو بآخر منذ فجر التاريخ. وربما بشفاء الجنسين، سنجد شفاء في هذه المجالات الأخرى أيضًا.

يعطينا اختلاف العِرق والعنصر الفرصة لتقدير التنوع الموجود في كل ثقافة وجنسية. والله يحب هذا القدر الهائل من الصور التي تلقي الضوء على أوجه جنسنا البشري. في يوم ما، سوف تجتمع كل الثقافات أمام الله وتقدم موسيقاها ورقصاتها ومواهبها الفريدة لمجده. لكن عندما يتكلم الله الآب عن الرجل والمرأة، يكون الأمر مختلفًا قليلًا. فهو لا يبتهج بانقسامهما، بل باتحادهما. فهو يدعو الاثنين أن يكونا واحدًا.

يمكن الرجوع إلى أصول هذا التكليف في القصد الأصلي في جنة عدن، بينما نجد أن العرقية والعنصرية نشأت بعد السقوط وخروجنا من الجنة. ربما ظهرت كل النكهات المختلفة للثقافات المتنوعة كاستجابة للحياة

خــارج الجنة. لكــن النوع كان كما هو منذ البدايــة؛ فالنوع هو أحد طرق اللّٰه الخلّاقــة للتعبيــر عن التنوع داخل الوحــدة. إنه الأفضلية التــي نثبِّت عليها موقعنا ووجهة نظرنا.

لســنوات كثيرة، حاولت ثقافتنا أن تقلص -أو حتى تنكر- وجود النوع والقوة التــي يضفيها على الكثير جدًا من جوانب الحياة. هل يمكن أن يكون هذا هو السبب وراء فقداننا للكثير من قوتنا السابقة واتجاهاتنا الجوهرية؟ هل هذه هي العلة التي جعلت بلادنا وثقافاتنا وكنائســنا وعائلاتنا وأولادنا وزيجاتنا في تذبذب واضح وخطير؟ يُظهِر التاريخ بصورة متكررة -بدون أي شك- أنه في كل مرة لم تلقَ المرأة التقدير والمحبة والإكرام، كان هناك انهيار ثقافي واضح أو على الأقل وشيك.

لسنا أعداء

يشــتاق الرجال والنســاء في العالم إلى الاكتمال والشــفاء. لأوقات طويلة جــدًا، كان الألم من نصيب الجنســين. ونتيجة أن القضايــا المتعلقة بالنوع كانت مصــدرًا متكررًا للجراح، فقد حاولنا خطأ أن نحقق الشــفاء عن طريق الخلط بين الرجل والمرأة. كانت النظرية هي أنه إذا كانت الاختلافات تســبب الجراح، فربما يؤدي تقليلها -إلى أقل قدر ممكن- إلى العلاج. إذا أمكن تحقيق مزج للقوى الكامنة في الجنسين بطريقة ما، عندها ستصبح مسألة النوع لا معنى لها، وبالتالي، تُصنَّف على أنها غير مُضِرَّة. كان هذا الأمل جيدًا، لكن الحل لم يكن مناسبًا. فلن نجد أبدًا العلاج الذي نبحث عنه في هذا الهجين؛ إننــا نحتاج إلى شــيء منفصل لكنه واحد. فخلط طرفــي النقيض يؤدي إلى الوضــوح، تمامًا كما أن الخلط بين الأســود والأبيض ينتــج ألوانًا رمادية وغير محددة. كلا، فالحل الذي نسعى وراءه سوف يأتي في صورة بذرة من أصل نبيل، لهــا المزيد مــن الحق والطهارة، وبمجرد أن يتم زراعة الحق، أؤمن أننا ســوف نبدأ في رؤيتها وهي تنتج أجيالًا من الثمار.

هــل مررنا بالكثير ومع ذلك تعلمنا القليل؟ إن الاختلاف بين الجنســين هو الديناميكيــة التي تمنح القوة للرجل والمرأة. هذا التنوع لم يكن للشــر، بل كان للخيــر. في بدايــة الحياة، كان هــذا أمرًا مفهومًا. لقد كان اللّٰه نفســه

هو الــذي أعلن أنه ليس جيدًا لإنســانه المجيد آدم أن يكــون وحده. وبالمثل، فإنه ليس جيدًا للمرأة أن تظل مختبئة داخل صورة الرجــل. لقد آن الأوان للمرأة أن تُطلَق حتى يمكنها أن تســاهم بمواهبها ومهاراتهــا المتفردة. كانت حــواء إضافة ضرورية للخليقــة. وبدونها، لم يكن للصــورة الأنثوية للمرأة أن تخرج. فحلّ المرأة لا يمكن أن يتضح إذا مكثت في الخفاء.

ليس جيدًا للمرأة أن تظل مختبئة داخل صورة الرجل.

كان الله يعرف هذا قبل أن يعرفه آدم (انظري تكوين ٢: ١٨ ، ٢٠). لقد ســمح بالاشــتياق لوجود رفيق أن يعمل عمله في كيان آدم بينما كان يرتب الخليقة ويعطيها أســماءها. ربما أعلــن الله أنه ليس جيدًا، ثم كلــف آدم بأن يجعله جيدًا من خلال ترتيب وتعيين الخليقة بحثًا عمَّا كان يفتقر إليه.

تخيلي أنكِ تبحثين عن شــيء لم تريه من قبل. كيف يمكنكِ أن تتعرفي علــى ما لــم يكن موجودًا أبدًا؟ لن تعرفي ما كنــتِ تحتاجين إليه؛ لأنكِ لم تريه أو تختبريه من قبل. بالنســبة لآدم، كانت هناك معرفة فطرية أن كل شــيء لم يكتمل بعد. لم تكن هناك كلمــات تصف غياب المرأة، لم تكن هناك صورة أو رســم يحدد شــكلها، ولا صوت أو أغنية حب منطوقة بعد. لكن، كان هناك غياب طويل واجهه آدم، بينما كان يبحث بين الخليقة عن شخص نظيره.

ومــع أن الاثنين منفصلان، إلا أنهما يكمــلان أحدهما الآخر. كل منهما كان يعكــس غياب الآخر أو نقصه في صورة قوة متممة. ومعًا يمكنهما أن يصيرا متحدين وكُلًا كاملًا.

تخيلــي فرحة آدم عندما أحضــر الله حواء إليه. كانــت الانعكاس الجميل لــكل مــا كان ينقصه. كانت حواء هــي قوة آدم التي تكمــل في الضعف، لأن كلا الاثنيــن كان يقدم القوة الناقصة فــي الآخر. أصبح الواحد (آدم) اثنين (آدم وحــواء) حتى يمكن للاثنين أن يصيرا واحدًا مرة أخرى (في نســلهما). وبالرغم من هذا، فإن نســاء اليوم هن التكميل الانعكاســي للرجــال في كل مجالات الحياة. وإسهاماتهن لها إمكانية إعلاء كل جانب يلمسنه.

إذا كان الرجل وحده أفضل من الاثنين بالشكلين المنفصلين، ما كانت المرأة قد خُلِقت على الإطلاق. كانت قد ظلت ضلعًا داخله، مُخبَّأة ومُعبِّر عنها فقط في صورة اشتياق خفي. وإذا كان هذا كله حقيقي، فما الذي حدث؟ كيف ساءت كل الأمور هكذا؟

صورة الله تشوَّهت

ألسنا نحن الذين سمحنا لصورة الذكر والأنثى هذه كاثنين قويين متحدين أن تنحرف عن جمالها وقوتها الأصليين وتصير نسخة غير واضحة الملامح؟ يصل اللوم بسبب هذه الخسارة إلى أبعد ما يمكن؛ فثقافتنا مخطئة، ومخاوفنا فصلتنا بعضنا عن البعض، وبعض الديانات اتهمتنا، ووسائل الإعلام أغوتنا - لكن كل هذه الأعراض تنبع من صراع أكثر عمقًا وظلمة.

لقد وقعنا في شرك معركة مستمرة لأجل الحق -وفي النهاية- القوة. لقد حاكت أكاذيب وتلميحات العدو القديم نفسها داخل نسيج كياننا وطبعت نفسها على كل وجه من أوجه ثقافتنا. أيتها النساء، افهمن أن من تعدى على حياتنا ونهبنا لم يكن رجلًا، بل حية. وعن طريق المكر والخداع سلبتنا جمالنا وسيادتنا وقوتنا. ومع السقوط، أصبحت رؤيتنا مُعتِمة. وفي العتمة يسهل أن نحسب الأعداء أصدقاء والأصدقاء أعداء. في الظلال، غالبًا ما نرى الاختلافات على أنها مصدر تهديد. ظل الرجال والنساء يصارعون بعضهم البعض لزمن طويل جدًا، والآن اقترب وقت الاستيقاظ. نحن لسنا أعداء ... إننا حلفاء محبوبون.

هذا التشويش الذي حدث لثقافتنا بسبب موضوعات الألم الماضية، أدى إلى تشجيع الرجال على أن يتلامسوا مع جانبهم الأنثوي. وأثناء حدوث هذا، تدربت النساء على أن يَكُنَّ أكثر عنفًا وذكورية في تعاملهن مع الحياة. يطلب من الرجال المرة تلو الأخرى أن يكونوا أكثر حساسية أو مسالمة، بينما تم إقناع النساء أن يَكُنَّ أكثر قسوة. لا يمكنني أن أنكر أنه يوجد جانب متطرف آخر أيضًا. فالتدين المشوَّش يشجع النساء على أن يخلعن عنهن كل إحساس بالذات والقيمة ويفقدن هويتهن مرة أخرى لصالح الرجل. ومما يجلب لنا الخزي، أنه كثيرًا جدًا ما فشلت حتى الكنائس في تأسيس

مفاهيم أو أبعاد صحية للرجال والنساء والعائلات لكي يعملوا من خلالها ويتفاعلوا داخلها.

إن ضياع المرأة مرة أخرى داخل الرجل هو أمر غير صحي ومستحيل. ولتحقيق هذا فعليًا، يجب أن يُعاد فتح جنب الرجل ويعاد إدخال المرأة. يا للسخف! لقد فُتح جنب آدم وخُلِقت المرأة حواء، تمامًا كما فُتح جنب يسوع المسيح وخرجت الكنيسة. سوف يأتي يوم يتحد فيه المسيح وعروسه ويصبحان واحدًا مرة أخرى. آن الأوان لمن يمثلان هذه العلاقة (الرجل والمرأة) أن يكونا واحدًا بطريقة سليمة. (انظري أفسس ٥: ٣٢).

إيقاف المباراة

إذا فصلنا أنفسنا للحظة عن كل الضجيج الثقافي، سوف يمكننا أن نرجع خطوة للخلف ونقر بأن هناك شيئًا مفقودًا بصورة رهيبة. يبدو أن هناك بعض المحاولات لمساواة الجانبين وتسوية أرض الملعب استعدادًا لمباراة عملاقة بين «الأولاد» و«البنات».

الحقيقة المُحزِنة هي أن هذا النوع من التفكير يسبب إعاقة لكلا الجانبين في محاولته لجعل كل شيء متعادلًا وعادلًا. فبتحريك كلا الطرفين نحو المركز، يفقد كل منهما مواقعه الفريدة من السلطة والقوة ويقترب إلى منطقة ظلال رمادية غير يقينية. وعندما يحدث هذا، يكون أداء كل طرف أقل مما يجب، ولا يواجه أي واحد التحدي لأن ينمو. ثم من هو الحكم في هذه المباراة؟ من الذي يعلن الفائز؟ أخشى أنه هو العدو، الذي خطط لهذه المباراة، ولن يخرج منها أي فائز.

إن مفهوم مساواة الطرفين بأكمله خاطئ؛ لأن الرجال والنساء لم يكن مقصودًا لهم أبدًا أن يلعبوا أو يؤدوا أدوارًا متعارضة. لقد خُلِقنا لكي نرقص رقصة الحياة معًا! لم يرغب الله أبدًا أن يتبارى الرجال أمام النساء والنساء أمام الرجال. بل إن الأرض تتزلزل وترتعد أمام هذه الحماقة. لكن خطة الله منذ البدء كانت هي أن يجعلهم شركاء معًا وأوصياء متحدين، لا خصومًا منقسمين على الإطلاق.

لقد خُلقنا لكي نرقص رقصة الحياة معًا!

نمو عدم الثقة الناتج عن النوع

استجابةً للألم الشامل الذي اختبرته النساء، ظهرت الكثير من الحلول. منذ سنوات، طلب المنادون بالمساواة بين الرجل والمرأة التصالح مع التناقضات الذاتية للنوع. لكن ما بدأ كمحاولة لتصحيح كل ما هو غير سليم -من حيث الترقيات الوظيفية والأجور ومعدلات الرواتب- تحوَّر ليصير تطرُّفًا من نوع مختلف تمامًا. فلم يعد الأمر يخص الأجر المساوي للعمل المساوي، بل أصبح دافعًا قويًا لأخذ مكان الرجال. فالنساء يجدن تشجيعًا مستمرًا لتبني ما كان يُسمَّى سابقًا أنماط السلوكيات والتوجهات الذكورية المتعصبة المتسلِّطة. فيجدن التشجيع على ترك عائلاتهن من خلال الطلاق، وترك أولادهن لآخرين لرعايتهم، والتمسك بالحياة الجنسية بكل صورها. أصبح الإجهاض محل احترام على أنه استقلالية! يجب أن نهزم الرجال في لعبتهم ونثبت أننا متفوقات عليهم. عندها لن يمنع أي شيء النساء من تحقيق استقلالهن عن الرجال.

كان المنادون بالمساواة يأملون أن تؤمِّن هذه التكتيكات للمراة موقع القوة على كل الجبهات: من الناحية الجنسية والمِهَنية ومن جهة العلاقات. ولسنوات كثيرة، أصبح كل شيء تتفرد به المرأة محل سخرية وأصبح سمة للنساء الضعيفات، أو غير المتعلِّمات، أو اللواتي تنقصهن المهارات ذات القيمة أو المطلوبة في السوق. كُنَّ هؤلاء هن النساء اللواتي يبدو أنهن لا يستطعن الاحتفاظ بوظيفةٍ ما أو يفكرن بأنفسهن. في أوائل السبعينيات من القرن العشرين، انفجرت العداءات عندما تسببت الصورة التي عكسها فيلم «زوجات ستبفورد» «Stepford Wives» في إهانة نفسية الأمة. أتذكر أنني شاهدت هذا الفيلم وأنا في سنوات المراهقة، ووجدت أن قصته مزعجة بشدة. هل يمكن الوثوق في الأزواج والآباء؟ هل كل النساء في خطر؟ بدأت أتساءل، هل كان الرجال حقًا يريدون أن يقتلوا زوجاتهم ويستبدلوهن بخادمات جنسٍ آليات مذعنات بالتمام؟ هل كان المفترض فعليًا أن يدور العالم حول الرجال؟

كانت الدعاية والمقالات في كل مكان تعزِّز هذه الرسالة عن عدم الثقة في النوع. وبين ليلة وضحاها، أصبحت فكرة محبة رجل واحد بالتمام وبخضوع مفهومًا خطيرًا. فلن تكون هذه حماقة فقط، بل -في النهاية- سوف يتركك

بلا حماية. كان المكوث في المنزل مع الأولاد مقاربًا للانتحار المِهَني، والحمل يمكن أن يتسبب في عبوديتكِ لنسلكِ. بالإضافة إلى ذلك، فإن العالم سينظر إليكِ على أنكِ غبية ومملة إذا مكثتِ بالمنزل. كيف يمكنكِ أن تكوني امرأة شيِّقة مثل المرأة التي في المكتب؟ كان المعنى المتضمن هو أن المرأة سوف تتعرض للخيانة من شريكها إذا عرض عليها أن تمكث في البيت وتربي الأولاد. كانت النساء تزأرن في كل مكان! وأدى هذا إلى جيل كامل من النساء اللواتي لم يَكنَّ يخشين فقط الوثوق في الرجال، بل أيضًا يخشين من كونهن نساء.

إعادة تعريف معنى «الأنثى»

أنا أول من تقر بأن هناك سببًا لبعض هذه المخاوف؛ فالنساء ضعيفات عندما تختار الكنيسة والمجتمع ألا يقدِّرا عهود الزواج. ما الذي يجعل النساء يشعرن بالحرية في أن يثقن بأزواجهن إذا كانت التزامات الحياة مجرد كلمات؟ عندما يكون الطلاق متفشيًا، تكون النساء والأطفال دائمًا هم الذين في خطر كبير. في أغلب الأحوال تكون المرأة هي التي تتحمل رعاية الأولاد بموارد وخيارات محدودة. لكننا لن نجد الإجابات أو الأمان بالتحوُّر إلى شكل ما من الذكر-الأنثى.

إن تعريفنا للأنوثة أو صورتنا عنها يجب ألا يمرا مرة أخرى عبر أبعاد الرجل. لم يكن آدم مشتركًا في خلق حواء، فقد كان نائمًا. قدم المادة الخام لكنه لم يقدم التصميم أو أية مدخلات أخرى. لكن الله كان يعرف اشتياقه غير المتمَّم. لم يكن آدم يبحث عن نسخة مطابقة له، بل كان يبحث عمَّا هو أكثر من هذا. لم يكن آدم يبحث عمَّن يمكنه أن يسود عليها. فقد كان بالفعل سيدًا على كل ما كان رقيبًا عليه. كان يريد من يحتفل معها ويشاركها بسلطانه. كان يبحث عن إنسانة حكيمة ورقيقة يأتمنها على أسراره وتحبه وتحترمه. عمَّن تزهو في ظل محبته ورعايته، وبالتالي تشاركه فرحه. كان يريد من تكمله ليحيا معها الحياة. كان يبحث عن ملكة جنته.

لهذا، فإن النساء اللواتي يتصرفن مثل الرجال لا يمكن أبدًا أن يصححن هذه الأخطاء. كما لن نجد إجاباتنا من خلال محاولة إعادة تصميم أو إهمال نوع

الأنثـى. لا يمكننـا أن نصبح ما خُلِقنا لنكون عليـه إلا إذا تذكرنا من نحن. إن التعديلات التي نحتاجها بشدة، سوف تأتي من شيء أكثر رقة لكنه ليس أقل عمقًا: أؤمن أنه لابد أن يكون هناك مرة أخرى إعلان عن المرأة.

لـن نبحث بعد الآن عن هذه الابنة على ملعب ذكوري نموذجي. في الماضي، كانت النساء تلقين التشجيع على إثبات أنفسهن من خلال العراك أو الإغراء أو أخذ مكان الرجال بهدف إعادة الإمساك بجزء من قوتهن، لكن جعل الرجال يبدون ضعفاء لم يجعلنا أبدًا نبدو قويات. كلا، هذا الإعلان والاسترداد يمكن أن يحدثا فقط عندما نرجع ونعيد بناء مواقع السلطان والقوة المعطاة بالفعل للمرأة بحق المولد.

النوع هو كل شيء

إذا لم يكن هناك حقًّا ما يستطيع الرجل أن يفعله ولا تستطيع المرأة أن تفعله، وما تستطيع المرأة أن تفعله ولا يستطيع الرجل أن يفعله، كنت سأوافق على مفهوم أن النوع ليس ضروريًا. لكن هذا أكثر من مجرد تشويه، إنه كذبة. لأنه كما هو الحال في مسألة التوقيت، فهناك ديناميكيات وسيناريوهات في الحياة يكون فيها النوع هو كل شيء.

تخيلي مثلًا هذا المشهد: تخيلي فجرًا باردًا رماديًا في أرض معركة دامية ومنعزلة. الأرض مليئة بالأموات والمُحتَضِرين. وفي وسط هذه الفوضى اليائسة، تقف ابنة من العائلة المالكة. لم تظهر على الفور في المكان، بل قد تسللت إلى المعركة متخفية في سلاح الفرسان. كانت تأمل أنها بطريقة ما يمكنها أن تقدم مساهمة صغيرة، حتى إذا كان هذا يعني أن تعزِّي أي أحباء قد سقطوا. شاهَدَت في عجزٍ رأس المملكة وهو يُصرَع ويتلقى جرحًا مميتًا. تحركت نحوه، على أمل أن تضمه بين ذراعيها وهو ينسل من هذه الحياة الأرضية. لكنها قبل أن تصل إليه، اكتشفت نفسها في وسط مواجهة لا يمكن تفاديها.

فقد كان في طريقها عدو مرعب للغاية، كان هو والوحش الرهيب الذي يركب عليه يتحديان الوصف البشري. أتى ذلك الوحش لكي يلتهم أباها المجروح.

لكنها بشجاعة أمرت ذلك الشبح وتنينه الشرير أن يرحلا. وكاستجابةٍ لهذا، هددها السيد الشرير بعذاب لا نهاية له إذا لم تخضع. لكنها رفضت أن تستسلم وتسحب سيفها، مقسمةً أن تفعل كل ما في استطاعتها لتعوق هذا الشرير الذي أمامها. فضحك سيد الظلمة، ساخرًا بموقفها الجريء وقال:

«أيتها الحمقاء. لا يمكن لرجل حي أن يعوقني!»

فقالت: «لكنني لست رجلًا حيًا! إنكَ تنظر إلى امرأة .. أنا ... ابنة. أنت تقف بيني وبين سيدي وقريبي ... سوف أضربكَ بقوة إذا لمسته».

ولكي يرى أن ما تقوله صحيح، رفعت غطاء خوذتها وسمحت لشعرها الذهبي أن ينساب بحرية. أجل، إن من تقف أمام هذا السيد المظلم هي امرأة، غير مذعنة، ومسلَّحة بسيف ودرع.

كانت عيناها ... جامدتين ... لكن الدموع كانت على وجنتيها.
فجأة، قام ذلك الوحش العظيم ... ووثب في الهواء.
ومع هذا لم تخف: ضَرَبَت ضربة سريعة، ماهرة وقاتلة.
قطعت ذلك العنق المتمدد إربًا ...
وتسلط نور عليها، ولمع شعرها في شروق الشمس.١

هذه الأميرة هزمت العدو القبيح الذي لا يمكن لرجل حي أن يدمره. هذا القائد المُظلِم، المعمي بكبريائه، لم يكن يدري قوة المرأة في أرض المعركة. وأنا متيقنة أنه لم يكن يعرف ما تم التنبؤ به منذ عصور مضت ... سوف يكون العدو في نزاع مع المرأة.

«وأضع عداوة بينكِ وبين المرأة». (تكوين ٣: ١٥)

أجده أمرًا مذهلًا أنه بالرغم من أنها تسللت إلى المعركة متخفية في صورة رجل، إلا أن النصرة للجميع أتت عندما أعلنت عن نفسها أنها امرأة. وهذا هو ما قصده الله ليكون منذ البدء. توجد قوة للجميع في إعلان المرأة.

لماذا إذًا نخاف كثيرًا من أن نعلن أنفسنا بهذه الصورة؟ لماذا شككنا في هذا الحق ولففنا أنفسنا بسلاح الرجال؟ لماذا اتبعنا صوت آدم وعجرفته؟ ما الذي يدفعنا لأن نحارب بهذا التخفي الغريب في حين أننا كثيرًا جدًا ما نفقد هويتنا الحقيقية في شراكه؟

هل هذا لأننا حتى الآن نواجه معركة محتدمة ضدنا؟ أجل، هناك سيد مُظلِم يريد أن يدمر المرأة وأولادها. وهو يخطط لأن يفصلها عن محبة سيدها وتعزيته وحمايته. لكن، ما الذي يرعبه ويغضبه هكذا في صورة المرأة؟ لأنه حقًا لن يبذل كل هذا القدر من الجهد في تشويه وتدمير شيء لا يخاف منه.

قوة المرأة

حدث منذ سنوات أن قرأت كتاب «عودة الملك» «The Return of the King» لـ«تولكين» ووجدت نفسي أتأثر بشكل يفوق الأسباب الطبيعية بصوره المكثفة وكلماته الشعرية. أسرني عزم هذه الابنة في وجه العجز واليأس الكاملين. عندما بدا أن كل شيء قد فُقِد، استيقظ شيء نائم في نفسها، وتفعَّلت القوة بداخلها. أحب تلك المرأة التي كانت مستعدة أن تثبت في وجه الرعب الذي لا يُوصَف، وهناك تعلن طبيعتها النسوية. وقد فعلت هذا كله لأجل سيدها، وكرامتها، وعائلتها.

رأيت امرأةً ذات عزيمة، رضيَتَ بأن تتسلل إلى المعركة دون أن يطلب منها أحد ذلك وتحارب لكي تحمي من أحبته لكن لم تستطع منعه. أحببت صورة عينيها اللتين كانتا مثبتتين، مع أن الدموع كانت تجري على وجهها. وجدت ابنةً تخفت في صورة رجل لتكتشف أن نصرتها هي أنها امرأة. عندما تعرَّضَت للهجوم لم تجبن أو تتراجع، بل ظلت ثابتةً ووقفت راسخةً إلى أن اقترب منها العدو بما يكفي لأن تضربه.

في تلك اللحظة، كنت هناك معها. بدأت أبكي، وارتعشت يداي وأنا أضع الكتاب جانبي. شعرت بحضور الله المقدس يملأ غرفة نومي. وتساءلتُ، ما الذي يحدث؟ عندها سمعت صوت الروح القدس يتكلم. أنا أؤمن أن كلماته أو التكليف الذي نلته لم يكونا لأذنيَّ فقط، بل أنه لكل ابنةٍ للعلي لها أذنان لتسمع:

حقًّا، أنتِ لستِ رجلًا. ولازالت هناك معارك في الروح للأبناء لكي يحاربوا فيها. وهناك معارك في الروح للبنات لكي يحاربن فيها. ابدأي في دعوة البنات للتقدم. نادي عليهن الآن. ادعي البنات لشن الحروب التي لا يستطيع غيرهن أن يكسبها. ويحاربن المعارك التي لا يمكن لأحد أن يحاربها سوى بناتي. لأن العدو يخاف حقًا من هذا الإعلان أكثر مما يخاف من أية امرأة تحارب كرجل.

ومرت السنوات، وكبر هذا الشغف. إنه أكثر من مجرد إلهام عابر نابع من قصة خيالية. أؤمن أن هذا المشهد نجح بطريقة ما في توضيح صورة وأسلوب الأميرات في المعركة. فالنساء في المعركة ظاهرة نادرة وغير معتادة، وهي ظاهرة يحتفظ بها الله فقط لأحلك الأوقات. في أرض المعركة لا تأتي النساء لتحاربن كرجال، بل كنساء.

ومع هذا، فهل يمكن أن يكون هناك وقت أحلك مما نحن فيه؟ ما المدى الذي يقترب فيه العدو أكثر من الآن لكي ندرك أنه قد حان وقتنا لكي نضرب؟ ألا تتعرض بنات الله للاستهزاء والتحدي من كل الجوانب؟ كم منا تسللن إلى المعركة متخفيات كرجال، ثم اكتشفن أن أصدق شكل لقوتنا لا يكمن في تزييف نسويتنا؟ نحن لسنا رجالًا. والحفاظ على هذه الواجهة يعوق الكشف عن قصدنا ومصيرنا الأصدق. كيف يمكننا أن نتوقع من العالم أن يرى الإعلان عن البنات بينما اخترنا نحن أن نتصرف مثل الأبناء؟

لقد أصبحت صرختي ورغبتي وصلاتي الحارة أن أرى بنات الله ممكَّنات لمحاربة عدوهن الحقيقي بأقدر صورة لهن. أتوق أن أرى البنات تشحذن سيوف كلمة الله الحية وتستخدمنها لاسترداد ما قد فُقِد. لقد أُعطِيت الحقائق القديمة للبنات لكي تقمن بدور الوكالة والإعلان. وقد حان الوقت لنتحرر من الأكفان الأرضية الخاصة بالخوف والحيرة المبنيين على النوع، ونبدأ في المحاربة لأجل الحق والكرامة ولأجل أقربائنا.

قبل أن ننتقل إلى الفصل التالي، دعونا نجيب عن بعض الأسئلة:

في أي مجال في الحياة تسللتِ إلى أرض المعركة متخفِّية في صورة رجل؟

لماذا أخذتِ هذا الشكل؟
لماذا تظنين أن النساء يخفن من أن يكشفن عن أنفسهن؟
لماذا أصبحنا متمرسات في التخفي؟

أبي السماوي العزيز،

أريد أن أسلك في الحق والنور. أريد أن أعلن عن نفسي كامرأة. سامحني لأنني اختبأت خلف صورة رجل. أؤمن أن هناك المزيد من القوة في إعلاني كامرأة. أيها الروح القدس، خذ طريقك في حياتي. أريد أن أحارب في معاركي بأسمى صورة لي. لن أتراجع في خوف بل سوف أطالب بحقي في محاربة كل ما يحول بيني وبين كرامتي، وسيدي، وعائلتي. آمين.

الفصل الرابع

العثور على المركز

هل تشعرين بهذا؟ كل شيء من حولنا يتغير. هناك اضطراب عميق يجري. الحياة كما نعرفها تتطور وتتغير بمعدل شديد السرعة.

لا أفضِّل أن أصف هذا التغيير على أنه تطور، لأن هذا معناه أننا نتقدم ونصبح أكثر توافقًا وارتياحًا مع بيئتنا الحالية. فأنا لا أشعر أننا نتحرك للأمام. بل أخشى أننا نتراجع للخلف. يبدو أن هناك عداوة متزايدة بين الأرض وسكانها.

كما أني لا أشعر بأن كلمة «ثورة» تصف بدقةٍ هذه الجلبة التي نختبرها الآن. فلم يحدث تغيير دراماتيكي في التفكير البشري أو الخبرة البشرية. فإننا نتقهقر عائدين مرة أخرى إلى ما كان تاريخًا بشريًا يكرر نفسه. وبدون العامل الثابت الذي هو النور أو الحق ليرشدنا، جعلنا أنفسنا مرة أخرى مقياس كل شيء. وفي هذه العملية ضللنا الطريق.

الطبيعة نفسها تتمرد على ادعائنا وكبريائنا؛ فلوقتٍ طويل جدًا كنا نختار الاختيارات التي تخدم فقط ما هو لحظي وننسى ميراثنا. أشعر بانهيار بطيء ومطّرد. فالقوى المحيطة التي تبذل نفسها أعظم مما يمكن لتكويننا الداخلي أن يتحمله. العائلات مُجزَّأة، والدول منقسمة، والحكومات والمؤسسات المالية تتفتت. الخليقة ليست على ما يرام. فحراسها وحافظوها تركوا مواقعهم. إذا كانت اختياراتنا الطائشة قد جلبت الدمار، ألا يكون منطقيًا أن نكون جزءًا من الترميم؟ هناك رجاء واحد فقط أن يأتي النور إلى هذه الظلمة. يجب على الناس أن يختاروا أن يعيشوا لأجل ما هو أكثر من الأشياء الوقتية.

لقد تقلص هذا العالم وانكمش بما يتناسب مع امتداد المستويات المتعددة لتكنولوجيا الاتصالات. أصبحت الكرة الأرضية مربوطة بالشبكات، والأسلاك التي كانت مُهلهَلة بين الثقافات والدول أصبحت منسوجة ومُحكَمة. لم يكن هناك من قبل أصوات كثيرة تتحدث في نفس الوقت هكذا. هناك الكثير من الضجيج، ومع هذا فوضوح الصوت ضئيل.

وبينما نتقدم على الكثير من الجبهات، فقدنا أرضنا في جبهات أخرى. وبينما يتسارع العالم، أصبح مركزه غير مستقر. لا يوجد مكان يعتبر قاعدة آمنة. لا يوجد مكان سلام وهدوء تتوقف فيه كل الأنشطة. نحن نلعب ألعابًا على مستوى العالم ليس فيها أمان من الفشل. لكن الألعاب التي ليس لها قواعد أو حدود ممتعة فقط للمتنمرين.

أين قاعدة البيت؟

عندما كنت طفلة، كنت أركض في ضباب الليالي الصيفية ألعب الألعاب. كنا نلعب الاستغماية، والكرة، وغيرها. لكن أيًا كانت اللعبة، فقد كان هناك دائمًا مكان محدد نعتبره قاعدة. قد يكون مصباحًا مضاءًا، أو مرأبًا، لكن كان هناك دائمًا مكان آمن. في ذلك المكان لم يكن للعبة أن تواصل فرض قواعدها عليك. فإذا أُصبت، يمكنكِ أن تجري إلى تلك القاعدة وتصيحي: «أمان!» كانت قاعدة البيت هي المكان الذي يمكن فيه إعادة التجميع وطرح الأسئلة إذا كان هناك من لا يعرف كيفية اللعب جيدًا. كان هو المكان الذي تبثين فيه الشكوى ممن يغشون. كانت القاعدة هي المكان الذي تجرين إليه لتراوغي خصومكِ. كانت هي مركز الأمان.

كانت القاعدة أيضًا هي المكان الذي تذهبين فيه لتخرجي من اللعبة عندما يزداد الظلام أو البرد وتسمعين صوت أمكِ يناديكِ للدخول. أتذكر العديد من الليالي التي سرت فيها من نور القاعدة المنعزل إلى دفء بيتي المتوقد.

لكن ماذا عن اليوم؟ هل هناك فقط ألعاب بدون خطوط إرشادية؟ هل نركض في الظلام بدون أن تكون لنا قاعدة نتجه إليها؟ عندما يتم استدعاؤنا للداخل، هل نجد الدفء والنور في بيوتنا؟ هل الجميع آمنون في بيوتنا؟ هل هناك

ضحك بالداخل؟ أم أن الأمهات وحيدات وحزينات؟ هل الآباء قاسون ومنعزلون؟ أم أنه لا يوجد أحد بالداخل؟

إن النفس البشرية مريضة ووحيدة. لقد تعرضنا -لوقت طويل- لما هو غير واقعي وغير حقيقي، لا يوجد ما يحركنا حقيقة. الأعمال الوحشية لم تعد تكسر قلوبنا طالما كنا نحن في أمان. قد نغضب، لكن هذا يخبو بعد حين. ينشأ الأطفال في جو شديد القساوة فلا تكون لهم القدرة على الحزن أو الندم.

أصبح الأفراد بدون هدف أو اتجاه؛ لأنه ليس في حياتهم ما هو أعظم من أنفسهم. لا توجد بوصلة تشير إلى الشمال الحقيقي. صار الحق نسبيًا إذ أصبحنا نسير في دوائر، غير قادرين على أن نجد مركزنا.

من الصعب أن نجد شيئًا أكبر يمكننا الاعتماد عليه؛ فإننا نخشى ألا تكون هناك قوى لا يمكن إفسادها أو قائد لا يكذب. آباؤنا يرحلون وأمهاتنا غائبات. العائلات منقسمة لأن عهود الزواج لا تعني أي شيء.

المركز يعطينا المنظور؛ فهو ليس مكانًا للخمول، مع أنه قد يكون هو أقل مكان تشعرين فيه بجاذبية الأنشطة. المركز هو المرسى. وهو يتحكم في النشاط الدائر حوله مثل قلب العاصفة. لزمن طويل جدًا، كان الرجال والنساء بعيدين عن مركزهم بدون قاعدة أمان.

السلام في المركز

في طفولتي، كانت هناك لعبة كراسي مستديرة ندوِّرها يدويًا في المتنزه في الشارع المقابل لبيتي. كنا أنا وصديقاتي نتخذ مواقعنا في هذه اللعبة المُعلَّقة، ونمسك بالقضبان، ونبدأ في الدوران في دوائر. كان هدفنا هو أن نجعلها تسرع بأقصى قدر ممكن، ومع ذلك يكون باستطاعتنا أن نقفز إليها بدون أن نؤذي أنفسنا. وبينما كنا نركض، كنا نركز على القضيب الذي أمامنا. كنا نركض للدرجة التي لا تقوى فيها أقدامنا على حملنا. كنا ننتظر اللحظة التي تستطيع كل منا فيها أن تثب وثبة محفوفة بالمخاطر إلى اللعبة.

كانت إحدانا تصرخ: «الآن!» وكنا كلنا نحاول التسلق. إذا وقعت إحدانا، كان مفهومًا أنها يجب أن تترك القضيب؛ فلم نكن نريد أن تتعرض أية واحدة للجر، وإذا تأذت إحدانا كنا نتوقف.

في إحدى المرات، كنا نتعارك على المنتصف؛ فقد كان هذا أصعب من البقاء على الحافة، لكن من كنَّ ينجحن في ذلك كنَّ يجدن الرحلة جديرة بالجهد المبذول فيها. كنا نجلس بحيث تواجه ظهورنا ظهور بعض في دائرة داخلية ضيقة بينما كان العالم من حولنا يدور بسرعة. لا أتذكر أنني شعرت بالغثيان أبدًا ... كنت أشعر أنني متدلية. كان الزمن يتوقف بينما تمر المشاهد من حولنا. من كنَّ في الحافة كنَّ يشعرن بالملل من اللعبة قبلنا وعادة ما كنَّ ينزلن من عليها قبل أن تتوقف فعليًا. لكن في المركز، كنتِ تظلين تخمنين يا ترى ماذا سيكون مشهدكِ الأخير. هل ستتوقفين وأنتِ تواجهين المنزلَق، أم الأرجوحات، أم بيتكِ؟

أشعر وكأننا -بطريقة ما- على هذه اللعبة مرة أخرى. لكنها هذه المرة لعبة ضخمة وكل دورة فيها لا تبطئنا، بل تزيد سرعتنا. أكثر عنصر مخيف هو حقيقة أن اللعبة تبدو وكأنها تهتز. من لم يجدن المركز يواجهن وقتًا عصيبًا. فالكثيرات على الأطراف يفقدن توازنهن ويقعن من على الحافة. نحن نتحرك بسرعة عالية ولا نعرف كيف نبطئ. وبحسب نبوة الكتاب المقدس، فإننا لن نبطئ حتى يصير القديم جديدًا. في عاصفة التغيير هذه، يوقظ اللّٰه نساءه ويجذبهن نحو المركز. هناك نجد طريقنا نحو الأمان. إنها الحياة التي نعيشها بملئها هنا بينما نثبِّت نظرنا على ما يكمن وراءها. وعندما تكون السماء هي التي تقودنا، نتحرر من قيود الأرض. تُطبَّق القواعد فقط عندما تلعبين الألعاب. لكن وقت الألعاب قد انتهى. لقد عشنا هذا الوجود المرتبط بالأرض لزمن طويل جدًا. والآن ينادينا اللّٰه لنخرج من ألعابنا التافهة ويدعونا أن نرفع عيوننا إلى شيء أكثر من ذلك.

لقد ظللنا ندور حول محور غير مستقر. لسنا رجالًا، بل نساء. الرجال ليسوا نساء، فهم رجال. ونوعنا هو قوتنا. إنه جوهرنا ومركزنا، الذي نجد فيه قوتنا المُطلَقة.

لماذا يعتبر النوع بهذه الأهمية؟

أرجــو أن تعرفي هذا وتفهميــه: إن عدونا يخاف من إعلان بنات الله أكثر مما يخــاف من النســاء اللواتي تتصرفن مثل الرجال. فما الــذي يجعله يخاف من النســاء اللواتي تتصرفن مثــل الرجال، أكثر من الرجــال الذين يتصرفون مثل النســاء؟ عندما لا يكون الرجال والنســاء أوفياء لجوهرهم، ســيكون النوعان نشــاذًا وبعيدين عن مواقع قوتهم. كما أن المظهر لا يخيفه أيضًا، لأنه عَملَ طويلًا وجاهدًا لكي يحد من نقاط القوة ويُضخِّم نقاط الضعف في الجنسين.

أن عدونا يخاف من إعلان بنات الله أكثر مما يخاف من النساء اللواتي تتصرفن مثل الرجال.

لقد كان العدو دائمًا خبيرًا في ليِّ الحق وتحريفه حتى يجعل البشــرية تنحرف عن طريق الحياة. فهو لا يريدنا أن نسير نحو النور والحق، وكثيرًا ما يجبرنــا بأنصاف الحقائــق الخادعة التي تدفعنا نحــو طريق المــوت والظلمة. وبدون إرشــادات الله الواضحــة، يمكن أن نجد أنفسنا هائمين بلا هدفٍ في طرق الدمار.

«لئلَّا تتأمل طريق الحياة، تمايلت خطواتها ولا تشعر». (أمثال ٥: ٦)

ولا تشعر ... يا ترى كم من الوقت قضيناه ونحن نسير في الاتجاه الخطأ ولم نكن نشــعر؟ لقد آن الأوان أن نفكر في طريق الحيــاة الصحيح. طريق الحياة هذا يشــمل الرجال والنســاء المنفصلين والمتفرِّدين بجمال في تعبيراتهم ومقاصدهم. ســوف نجد أنفســنا على طــرق الخداع في أي وقــت نقبل فيه الكذب على أنه حق. نجد أنفســنا نجول في طــرق الظلام في كل مرة نرفض فيها مشــورة حكمة الله الســرمدية ونقاومها بوصفها غير مناسبة لزمننا الحالــي أو لا تنطبق على مواقفنــا الفريدة من نوعها. من الحماقة أن تفكري بأن كل الطرق ســوف تقــودكِ إلى الحياة، لأنه بالتأكيــد إذا كان هناك «طريق الحياة»، فهناك أيضًا «طريق الموت».

«أما سبيل الصديقين فكنور مشرق، يتزايد وينير إلى النهار الكامل». (أمثال ٤: ١٨)

إن سُــبُل البر تقود إلى أماكن أعظم من الاستنارة. أقول إن ثقافتنا الحالية

تؤكد على أن طريقنا الحالي قد قادنا إلى طرق الظلام المتزايد. وهذا يكشف أن الطريق الذي نسلكه يؤدي إلى الخراب.

نظرة أقرب على «الذكر» و «الأنثى»

قبل أن نكمل الحديث، لابد أن نضع تعريفات لكلمتي «الذكر» و«الأنثى». هذه التعريفات سوف تساعدنا على تحسين تناولنا للقضية. أعلم أنكِ ربما تظنين أن فهم هذه المصطلحات موجود. لكن مع كل ما نراه يحدث، لابد أن أتساءل.

يورد قاموس وبستر «Webster» تعريف مصطلح الذكر على أنه «الشخص الذي يحمل كروموسوم X و Y في نواة الخلية».[١] هذا يعني أن النوع هو مسألة حامض نووي «DNA» جوهري لا يتغير، مهما تغير الشكل الجسدي الخارجي؛ أي أن الثقافة ليست لها القدرة على تغيير جوهرنا. كذلك يُعرَّف الذكر من خلال الصفات المُستَخدَمة لوصف الرجال والصبيان، وتشمل هذه الصفات: القوة، والصراحة، والشجاعة، والرجولة. وكلمة رجولة تحمل إيحاءً بالقوة الجنسية أو التناسلية. كل الإشارات الخاصة بالذكر تؤدي في النهاية لكلمة «رَجُل». ويشتمل تعريف قاموس وبستر للرجل على الذكور البالغين وأيضًا الأجناس البشرية. ويقول بالتحديد: «الرجل له القدرة على المبادرة بعملية الإنجاب لكنه لا يحمل الأطفال».

والآن نعود إلى تعريف الأنثى، الأنثوي، المرأة. بالمثل، فإن الأنثى تُعرَّف أولًا على أنها: «شخص لها كروموسومان من نوع X في نواة خليتها».[٢] وتعرف النواة على أنها «جزء مركزي تتجمع حوله أجزاء أو مجموعات أخرى: جوهر».[٣] يُعرَّف مصطلح أنثوي على أنه «ما يتعلق بامرأة أو فتاة: الجمال الأنثوي، الثياب الأنثوية ... لها خصائص متعلقة تقليديًا بالنساء، مثل الحساسية واللطف».[٤] كما يورد قاموس وبستر أيضًا الرقة والرشاقة والصبر وأيضًا الحساسية للأحوال المزاجية كخصائص أنثوية. يؤدي هذا إلى المصطلح الجوهري وهو «امرأة» والتي تُعرَّف على أنها «كائنات بشرية بالغة أنثوية من الناحية البيولوجية، أي قادرة على حمل نسل».[٥]

هذه التعريفات تلقي الضوء فورًا على بعض الأمور: الأمر الأول هو الاعتماد

المُتبادَل بين الجنسين. أفضل وصف سمعته لهذا هو «الاعتماد المُتبادَل دون القابلية للتبادل». كما قيل تمامًا، فإن الرجل يمكنه أن يبدأ الحمل، لكن يجب أن تكون هناك امرأة لكي تحمل الحياة وتخرجها أيضًا. لا يمكن للمرأة أن تبدأ الحياة بدون الرجل، ولا يمكن للرجل أن يكمل الحياة بدون المرأة. أرجو ألا تنخدعي، لا وجود لما يُسمَّى بعمليات تغيير الجنس أو النوع. فهناك عملية تغيير الوظيفة والاستجابة الجنسية فقط. وهذا راجع لأنكِ مهما أعدتِ ترتيب الخارج، فلا يمكنكِ أن تغيري الكروموسومات الجوهرية. السلوك الأنثوي يعتبر مجاملة للمرأة لكنه تفاهة بالنسبة للرجل. الرجال الذين يُطلَق عليهم «متأنثون» يُعتَبرون بعيدين عن جوهر قوتهم الذكوري.

هذه التعريفات تثير الأسئلة أيضًا. هل الرجال فقط هم الأقوياء؟ ألا يمكن للرجال أن يكونوا لطفاء؟ بالطبع، يمكن للنساء أن يَكنَّ قويات، كما يمكن للرجال أن يكونوا لطفاء. لكن هذه الصفات ليست صفاتهم الجوهرية. فالرجال معروفون بالشجاعة والاستقامة، تمامًا كما أن النساء معروفات بالرشاقة والصبر. تعريف الرشاقة هو «الأناقة، والجمال، وسلاسة الشكل أو الحركة». وهذه الكلمة في الإنجليزية لها أيضًا معنى «النعمة» والتي تُعرَّف على أنها «القدرة على التكيف والمسامحة وتقديم الرحمة والإحسان».[1] كل هذه التعريفات تتفق مع الإشارات الكتابية إلى المرأة.

الموقع الإستراتيجي للمرأة

النوع وحده لا يؤهِّل الرجل للقيادة، كما أن النوع وحده لا يؤهِّل المرأة. وفقًا للكتاب المقدس، فإن الرجل إذا لم يكن قويًا في الفضيلة، فهو يحرم نفسه من الأهلية بغض النظر عن نوعه، تمامًا كما أن النساء اللواتي كُنَّ فضليات في التاريخ قد تخطين محدوديات النوع المعروفة. و يحدد العهد الجديد هذه الصفات القيادية كما يلي:

النوع وحده لا يؤهل الرجل للقيادة.

«فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم، بعل امرأةٍ واحدة، صاحيًا، عاقلًا، مُحتَشِمًا، مُضيفًا للغرباء، صالحًا للتعليم، غير مدمن الخمر، ولا ضَرَّاب، ولا طامع بالربح القبيح، بل حليمًا، غير مُخاصِم ولا مُحِب للمال، يدبِّر بيته حسنًا، له أولاد في الخضوع بكل وقارٍ». (١ تيموثاوس ٣: ٢-٤)

لاحظي أن الأفضلية هي للرجل الوفي لزوجته. هذه هي أول صفة في القائمة الطويلة للصفات المرتبطة بالحياة التي بلا لوم. كما ترد في هذه القائمة أيضًا أن يكون «حليمًا» أي لطيفًا، وهي صفة تتسم بها المرأة. وهذا يؤكِّد أن هناك تزاوجًا بين نقاط القوة في الجانبين، لكن يمكن أن يحدث هذا دون المساومة في جوهرهما.

«كذلك يجب أن تكون النساء ذوات وقارٍ، غير ثالباتٍ، صاحياتٍ، أمينات، في كل شيء». (١ تيموثاوس ٣: ١١)

هنا تأتي الوصية للنساء أيضًا أن يَكنَّ صاحيات وأمينات. وهذا تشجيع على أن يَكنَّ قدوة في الفضيلة.

في هذه الحياة، كل منا له أو لها موقع إستراتيجي ومكانة يعمل منها. والآن، دعونا نطبِّق هذا المفهوم على موقع المعركة. إذا ترك المسؤولون عن حراسة الذخيرة مواقعهم مكشوفة ودون حراسة لأنهم أرادوا أن يكونوا جزءًا من هجوم عنيف، فسوف يكون مستقبل الجيش كله وقوته وأمانه وذخيرته في خطر. إذا ترك الماهرون في علاج الجرحى مواقع العلاج ليقوموا بحماية المخازن، فمن الذي سيعالج الجرحى والمُحبَطين ويقويهم؟ إذا تراجع المتدرِّبون على قيادة الصفوف لكي يحاولوا الإشراف على العلاج وتقديم الأدوية دون أن يكون لهم تدريب مناسب في هذه الممارسات، فسوف يظل الجرحى متألمين من الإصابة. ناهيك عن أن التقدم الكلي للمعركة سيتأثر وستضيع أرض غالية. في كثير من الأحوال، يجب أن تُسفَك الدماء مرة أخرى لاسترداد ما تم شراؤه سابقًا في المعركة. إنه أمر حتمي أن تدرك كل منا على حدة أنه لا توجد من بيننا من تستطيع أن تعمل باستقلال عن الآخرين، مهما كانت درجة مهارتنا في مجالاتنا الفريدة.

عقد بولس مقارنةً ومقابلةً بين هذا الاعتماد المُتبادَل وبين وظائف الجسد البشري، وكيف أن هذه السيمفونية تحقق القوة لكل عضو. السبب الوحيد الذي يمكن لأجله أن تعمل الأعضاء الكثيرة كوحدة واحدة هي أننا نستقي قوتنا من رأسنا، يسوع المسيح.

«الذي منه كل الجسد مُرَكَّبًا معًا، ومُقترِنًا بمؤازرة كل مَفصَلٍ، حسب عملٍ، على قياس كل جزءٍ، يُحصِّل نمو الجسد لبنيانه في المحبة». (أفسس ٤: ١٦)

عندما يقوم كل جزء بعمله، يُبنى الجميع في المحبة. لا تقول الآية: «عندما تؤدي المرأة دور الرجل» أو «عندما يؤدي الرجل دور المرأة»، عندها يُبنى الجميع. بل تقول بكل وضوح إن كل جزء يجب أن يقوم بعمله حتى يعمل الكل بالصورة الصحيحة. لوقت طويل، ظل الرجال يحاربون معركة النساء، والنساء تحاربن معركة الرجال. لوقت طويل، ظلت النساء تحاربن الرجال، والرجال يحاربون النساء. في هذه الحالة من الصراع الداخلي المستمر، أصبح هناك الكثير جدًا من الجراح وقدر غير كافٍ من الشفاء والبناء.

الجمود يقاوم الشفاء

لقد أدت المنافسة وتحديد مواقع القوة إلى أن سلبت الجسد أنسجته الرابطة والداعمة؛ إذ فَصل كل جزء نفسه عن الكل، وتنافس لكي يتسلط عليه الضوء في موقع العظمة. لقد صمم الله الجسد البشري بصورة خاصة بحيث لا يستطيع العمل بنجاح إذا كانت الأعضاء منفصلة. وبغض النظر عما تقوله أغاني الطفولة، فإنه لا يوجد ارتباط بين العظام دون مساندة الأربطة والأوتار.

صدقيني، لقد تعلمت بعد إصابتين في الكتف، أهمية النسيج الداعم الرابط. لم أكن أبالي بإصابة ما، حتى قرَّرَت الأربطة أن توقف ذراعي في حالة عدم الحركة. ومهما حاوَلَت عضلاتي وعظامي أن ترفع ذراعي، لم يكن هذا ممكنًا. حدث هذا التوقف بينما كان جسدي يحاول أن يحمي ما كان مصابًا بالفعل. لم تكن هناك حركة متزامنة، حتى انتبهت إلى ما كان ضعيفًا وعالجت النسيج الرابط في كتفي. لقد كلفني إهمالي في تقوية إحدى المناطق، الكثير من حرية الحركة في منطقة أخرى. والطريقة الوحيدة التي كان يمكنني بها استعادة حركتي هي التحام النسيج المصاب. كان لابد من معالجة الجمود؛ حتى يحدث الشفاء. وعندما يتعلق الأمر بعمل المرأة في الجسد، فيجب معالجة وجهات نظرنا الجامدة.

«الذي جعلنا كُفاةً لأن نكون خدام عهدٍ جديدٍ. لا الحرف بل الروح. لأن الحرف يقتل ولكن الروح يُحيي». (٢كورنثوس ٣: ٦)

أولًا، المسيح هو الذي جعلنا كُفاةً لأن نكون خدام العهد الجديد. لقد حلت الطريقة الجديدة للحياة والمحبة محل حرف وجهة النظر الساقطة. يجب ألا تكون هناك مباراة مصارعة بعد بين الرجل والمرأة؛ لأن المسيح قد جعلنا واحدًا. لكن، إذا لم تتم معالجة هذه الحقيقة، فسوف تظل حركتنا ووظيفتنا داخل جسد المسيح محدودة. إذا عُدنا إلى مثال إصابة كتفي، أخشى أن أكون قد أهملت معالجة النساء. إن هذا أمر حيوي؛ لأن النساء هن اللواتي غالبًا ما يمثلن الروابط أو نظام الدعم في الجسد. وأنا لا أقول بهذه العبارة إن الرجال لا يمكنهم أن يقوموا بهذا الدور، أو إن النساء محدودات بهذا الدور فقط. لكنني فقط أعيد التأكيد على أن النساء -بالفطرة- خُلِقن لأجل العلاقات.

ثانيًا، كثيرًا ما نفشل في تمكين النساء من العمل بمواهبهن. وبدون هذه القدرة الحيوية على الارتباط والدعم المناسبين من عضو لآخر، سوف يظل الجسد غير مرتبط أو معاقًا.

الارتباط هو المفتاح

بالرغم من أن الرجال والنساء متساوون أمام الله، إلا أنهم ليسوا مستقلين بالكامل بعضهم عن البعض. فكلا النوعين يعملان في أفضل صورة عندما يرتبط أحدهما بالآخر بطريقة ما أو بأخرى. وهذا ليس قاصرًا على الزيجات، بل يشمل كل العلاقات في الحياة. أعلن الله الآب أن الرجل وحده ليس جيدًا أو مُكتمِلًا. وإذا كان الواحد (المرأة) يكمل الآخر (الرجل)، فسيكون من الحماقة إذًا للواحد (الرجل) أن يرفض الآخر (المرأة) بازدراء بوصفها أقل أو غير ضرورية. الرجل والمرأة كلاهما انعكاسان ضروريان لصورة الله الكاملة. لكن، عندما يزول تفرُّد هذه الأجزاء، تصبح الصورة مهزوزة وغير محددة. على سبيل المثال، إذا كان الرجال يعملون في ٩٠ بالمائة من الأدوار، بينما تعمل النساء في ١٠ بالمائة فقط، فلدينا مشكلة.

أنـا وجون نحب عمل الأشـياء معًا، لأننا مختلفان كثيـرًا. هو لديه النظرة التـي أفتقدها أنـا، وأنا لديَّ الميزة التـي يفتقدها هو. وعندمـا نتعامل مع المشكلات الشـخصية المتداخلة، يريد جون فقط أن يغلب ويترك الموتى يرقدون حيث يسـقطون! لكن هذه ليسـت هي طريقتي. فسـوف أفكر في كيفية تأثير هذا التعامل على مستقبل العلاقات. في أغلب الحالات، يكمن الحل في زيجة صحية بها وجهتا النظر. (أجل، كانت هناك أوقات كنت فيها أريد أن أقطع الرؤوس، وأَمسَك فيها جون بيدي ليمنعني أيضًا!) بدون الكرامة المنفصلـة والمميزة المعطاة لكل وجهـة نظر، لن تكون الصورة مكتملة بل سـتظهر في أجزاء فقط. أحب الطريقة التي تتعامل بها كنيستنا بهذا الخصوص؛ فهم يرون الـزوج والزوجة كفريق واحد ويعيِّنون الأزواج والزوجات معًا كشـيوخ بغض النظر عمَّن تم انتخابه فعليًا. وهم يفعلون هذا لأنهم يعرفون أنهم في النهاية سـيتخذون القرارات معًا كزوج وزوجة بأي حال من الأحوال.

في وسـط هذا الصراع لأجـل الهوية والهدف، فقَدَت بيوتنـا مناخ المحبة والرعاية والإرشـاد والشـفاء والإمداد. حاولت بعض القوى في المسـيحية أن تسـوي الصراع من خلال إزاحة النسـاء من أي دور. لكن الحل لم يكن أبدًا في إزاحة المرأة عن أي دور، تمامًا كما أنه لم يكن هو أن تأخذ المرأة دور الرجل، بل أن يكون للمرأة دورها الخاص.

وحتى الآن أيضًا، قد تشـعرين أنكِ في موقف دفاعي تجاه كلماتي. أرجـوكِ أن تفهمـي، أنا لا أقول حتى ضمنيًـا إن الطرف المخطئ في هذا الصراع هم الرجال أو النسـاء؛ فأنا أؤمـن حقًا أنه قد تم ارتكاب الكثير مـن الأخطاء على الجانبين. وقد تسـببت الأكاذيب في جلب الخراب على الرجال والنسـاء بينما كانـت تغوينا للابتعاد عن طريق الحياة.

لقد حان الوقت للتحرك

فـي بعـض الأوقات، قد يبـدو الأمر وكأننـي أظن أن النسـاء هن فقط اللواتـي يحتجن إلى التصحيح أو الإرشـاد. لكن، بمـا أنني لا أتكلم في

آذان الرجال، فأنا أهمس فقط في مسامع النساء. غالبًا، عندما أتحدث إلى أحد أولادي، وأشرح التعديل الذي يجب أن يحدث من جانبه، يكون منشغلًا جدًا بالتفكير فيما سوف أقوله لأخيه لدرجة أنه لا يسمع أبدًا ما أقوله له. إن الله يقدِّم الإرشاد لجسده ككل، ثم يعطي تصحيحات مُحدَّدة للرجال والنساء كل على حدة. هذه الرسالة مُحدَّدة للنساء. لا أعلم إن كنتِ توافقينني الرأي أم لا، لكن أفضل وقت أصغي فيه إلى ما يقال هو عندما يتحدث إليَّ أحدٌ مباشرةً ولا يكون هناك شخص آخر يستمع.

بصفتي امرأة، فقد تعرضت أيضًا لإساءة الحكم عليَّ، والتشويه، وإساءة المعاملة، وإساءة الفهم. وبالرغم من هذا كله، فإنني ألتمس منكِ أن تضعي كل الألم والإحباط جانبًا وتتقدمي للأمام.

لم يكن هذا هو شعوري دائمًا؛ فغالبًا ما كنتُ أقول لنفسي: «لو كنتُ رجلًا، لكانت الأمور ستصير أسهل بكثير. لو كنتُ رجلًا، لصار صوتي مسموعًا. لو كان صوتي يرن بقوةٍ ذكوريةٍ، لكان أولادي سيصغون إليَّ بشكل أسرع». لكن الحق هو أن أولادي بالفعل يصغون إليَّ عندما أتحدث إليهم كأمهم أكثر بكثير من عندما أحاول محاكاة صوت أبيهم العاصف. عندما شعرتُ بنقص الكرامة وتألمتُ من نقص الفرصة المتاحة للنساء، سمحتُ لهذا أن يدفعني بعمقٍ أكبر في السعي وراء أبي السماوي.

ومع استمرار هذا الصراع، نجد أنه ليس قاصرًا على مفهوم الذكر والأنثى فقط، بل يبدو أنه فكرة متكررة منذ إعلان مفهوم الكثيرين الذين يصيرون جسدًا واحدًا في المسيح.

«وإن قالت الأذن: ‹لأني لستُ عينًا، لستُ من الجسد›. أفَلَم تكن لذلك من الجسد؟ لو كان كل الجسد عينًا، فأين السمع؟ لو كان الكل سمعًا، فأين الشم؟ وأما الآن فقد وضع الله الأعضاء، كل واحدٍ منها في الجسد، كما أراد».
(١كورنثوس ١٢: ١٦-١٨)

دعونا نتوسع قليلًا في إدراكنا لمثال بولس السابق للتوضيح. فيما يلي إعادة صياغتي للجزء الكتابي السابق.

«وإن قالت المرأة: ‹لأني لستُ رجلًا لستُ من الجسد›. أفَلَم تكن لذلك من الجسد؟ لو كان كل الجسد ذكورًا، فأين الأنوثة؟ لو كان الكل إناثًا، فأين الرجولة؟ وأما الآن فقد وضع الله الأعضاء، كل واحد منها في الجسد كما أراد».

مخلوقات للعمق، لا للضحالة

صدقيني! إنني في مواقف كثيرة، تشككت في حكمة الله حول هذا الأمر. كانت هناك أوقات شعرت فيها أنني مؤهَّلة أكثر للعب دور الرجل المُتسلِّط والمُجاهِر بدلًا من دور المرأة المُحتشِمَة الخاضعة.

بل إنني في بعض الأوقات أيضًا أردتُ أن أبعد نفسي عن الديناميكية الكلية للنساء بسبب السياسات ضيقة الأفق، والنميمة المتفشية بين مجموعات النساء. كنت أخشى من مُصادَقة النساء. كنت أخاف من أن أُبتَلَع في عالم الزغب الوردي، والمحادثات السطحية. كنت أحتقر كل الضعفات المرتبطة بجنس النساء، وكنت أميل نحو ديناميكية الرجال. لكن عندها ثار بداخلي سؤال. ربما كان ما أرفضه بصفته «الزغب الأنثوي» ليس في الأصل جزءًا من الحامض النووي «DNA» الأنثوي. ربما لم أكن أحب السلوك السلبي العدواني لسبب ما. ربما أكون قد خُلِقتُ كامرأة لأحتقر كل تركيز على المظهر والاحتماء بالمعارف ذوي الشأن لأنني لم أُخلَق في الأصل للضحالة، بل للعمق. ربما خلطتُ بين المرأة الهادئة، والمرأة الضعيفة. ربما كانت هناك أوقات كان يمكن فيها أن يُسمَع في همس المرأة ما هو أكثر مما يُسمع في صياح الرجل.

ربما كانت هناك أوقات كان يمكن فيها أن يُسمع في همس المرأة ما هو أكثر مما يُسمع في صياح الرجل.

ينتج مزيج رائع عندما تتزاوج القوة مع الجمال، والسلطان مع الحكمة، والذكر مع الأنثى. لقد كانت هذه دائمًا هي فكرة الله ... اثنان بقلب واحد. ومعًا، يمكننا أن ندرك تضاعف نقاط قوتنا.

إذا أردتِ أن تعقدي مسابقةً في القوة الجسدية بين المرأة صاحبة أكبر وأقوى جسد، وبين الرجل صاحب أكبر وأقوى جسد، فمن الذي سيفوز؟ مع أنني أكره أن أقول هذا، إلا أن الرجل بالطبع هو الذي سيفوز. فعندما يتعلق الأمر بالقوة الجسدية، لماذا لا تكون أرضية اللعب متساوية؟ لم يُقصَد أبدًا بقوة الرجل أن تُستَخدَم ضد المرأة، بل لأجلها. فالقوة الأكبر أُعطيت للرجال لحماية النساء في حياتهن وإعالتهن. هذه القوة لم يكن مقصودًا لها أبدًا أن تكون أداة للسيادة أو الإساءة. الرجال الضعفاء المشوَّشون العاجزون هم الذين يسيئون إلى النساء.

أين تكمن قوة المرأة إذا لم تكن في قوتها الجسدية؟ سوف نعرف الإجابة عن هذا السؤال في بقية الكتاب.

أبي السماوي،

اكشف لي عن قواي ومواهبي وقيمتي الفريدة. أعد الحق إلى كياني الداخلي. أريد أن أتخلص من التذبذب. أريد أن تدور حياتي حول تقوية جميع من هم داخل نطاق تأثيري. أريد تلك القاعدة الآمنة، ذلك البيت الذي لا تعود فيه القواعد تفرض سلطتها عليَّ. أريد أن أجسِّد كل ما خُلِقت وتشكَّلت لأكون عليه، وأن أجلب هذا إلى هذه الأرض. أريد أن أكون رابطة في الجسد أحقِّق القوة وحرية الحركة لكل طرف. أريد أن أعبِّر عن قلب المرأة. آمين

الفصل الخامس

من هو الرجل؟

أحب أن أقول هذه العبارة لأبنائي، خاصة بعد أن يختبروا انتصارًا من نوع ما: «أحسنت! ها هو الرجل!»

وتجاوبًا مع هذه العبارة التي تصيح بها أمهم، يبتسمون ابتسامة سريعة وكأنهم يقولون: «أنا سعيد جدًا لأنكِ لاحظت هذا!» صحيح أن هذا مجرد تفاعل قصير قد يشتمل على المصافحة بالأيدي، لكنه دائمًا ما يعبر لهم عن التقدير. أنا أحب أبنائي، حتى بما يفوق قدرتي على التعبير بالكلمات. وفي بعض الأوقات، تفيض هذه المحبة في صورة عناق شديد، أو قبلات كبيرة، أو أحضان تكسر الضلوع. أشعر وكأنه لا يمكنني أن أنال ما يكفيني منهم. وأنا أحاول دائمًا أن أندمج معهم بطريقة ما. كل هذا بدأ عندما نظروا إليَّ بعد ولادتهم مباشرةً، أو تجاوبوا لأول مرة مع صوتي. كل واحد منهم أيقظ محبة فريدة وجوانب رعوية في حياتي. واحد يدعوني أن أسترخي وأجلس معه قليلًا. وآخر يحثني على أن أبحث عنه. هناك من يدعوني بصوت عالٍ ويتحداني أن ألعب معه بدون خوف. وهناك من يشاركني بتواصل عميق من الأفكار والمشاعر والمخاوف.

لا يسعني سوى أن أرى في كل واحد من أبنائي قدرًا من رجل آخر. في الواقع، الله هو الشخص الوحيد الذي أشعر أنه يمكن أن يطلق عليه حرفيًا وبدقة «الرجل».

عندما تتخيل الفتيات الصغار أو النساء غير المتزوجات أن حياتهن مؤجلة أو فارغة، أذكّرهن بأنه يوجد «الرجل». هو وحده الجدير بكل ثقتنا ومحبتنا

وخضوعنا. كله جميل، وهو أمين للأبد حتى عندما نكون غير أمينات. أنا بالطبع أتحدث عن الرجل يسوع، الذي كان مُحِبًا بالدرجة التي جعلته يسير في هذه الأرض كابن الإنسان. أحب يسوع النساء وسمح لهن بالتواصل معه عن قرب في المواقف المتعبة. وسواء كان يتحدث إلى امرأة مرفوضة من الآخرين وهي تستقي الماء من البئر، أو يسمح لنفسه أن يُدهَن بالطيب وسط دينونة الآخرين، إلا أنه لم يبتعد.

عندما جلست مريم عند قدميه، لم يسمح لمرثا المشغولة أن تبعدها عن هذا الموضع.

هو الرجل الوحيد الذي لن يخذلكِ. فحتى وهو يموت، كان يفكر في امرأة.

«فلما رأى يسوع أمه، والتلميذ الذي كان يحبه واقفًا، قال لأمه: ‹يا امرأة، هوذا ابنكِ›. ثم قال للتلميذ: ‹هوذا أمكَ›. ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته». (يوحنا ١٩: ٢٦-٢٧)

لكن أم يسوع لم تكن هي المرأة الوحيدة التي فكر فيها في لحظة الألم تلك ... فقد كان يفكر فيكِ. لم يكن يتخيل الحياة بدونكِ، ولذلك أسلم حياته الأرضية برضا لكي يمنحكِ حياةً أبديةً. أتذكر اليوم والساعة التي وجدت فيها تلك المحبة التي لا تقاوَم. هل صحيح أنه مات حتى أكون أنا له؟ كيف استطاع أن يحب إنسانة بها هذا الكم من الغضب والرداءة؟ هل هناك رجل آخر مثله أظهر مثل هذه المحبة والإخلاص؟ من الذي سبق وتحدث معي بهذه الرقة؟ أين اختبرتُ من قبل الغفران الكامل؟ لقد قدم لي كل شيء في مقابل جسدي المكسور وقلبي الخالي المتقسِّي. لقد كانت حياتي قبله سلسلة من الفجوات الضحلة، لكن عندما غمَرَت محبته كياني، كان الأمر وكأنني استطعتُ أخيرًا أن أتنفس بعمق.

الله ليس رجلا

إنه هو الشخص الوحيد الذي تستطيع كل امرأة -عزباء أو متزوجة- أن تسمح له بأن يقيس قيمتها وقدرها. هو وحده الجدير بحياتنا. لم يقصد

اللّٰه أبـدًا للنسـاء أن يأخـذن حياتهن مـن الرجال. لكنه قصد لنـا أن نحصل على حياتنا منه هو. وبالرغم من أن يسـوع أتى كابن الإنسـان، إلا أنه ابن اللّٰه أيضًـا. وهو أكثر من مجرد رجل، بالرغم من أنه في غاية الرجولة فيما يختص بشخصيته أو صورته. لا يمكنني حتى أن أحصي عدد النساء اللواتي تحدثت معهن، واللواتي يخفن من الاقتراب إلى اللّٰه كأب. ولهذا السبب، فهن يخشين من أي شـيء له شـبه الذكور؛ بسبب ما فعله الرجال في ماضيهن. ليت هذه الكلمات تعزيكِ: ... اللّٰه ليس رجلًا.

اهـدأي! لا، أنا لا أقـول إنه امرأة. بل هو أكبر بكثير مـن الرجل أو المرأة، وهو مصـدر الحياة للجميع. إن الحقيقة فقط هي أن الناس يفسـدون الأمور في كل حيـن. لكن اللّٰه ليس كذلك. ماذا؟ هل تقولين لي إنكِ لم تجدي نفسـكِ أبدًا مُحبَطة من شـخص آخـر؟ ألم تتعرضي للغش أبـدًا؟ وماذا عن التعرض للكذب، أو الألم، أو الخيانة، أو الاسـتغلال؟ إذا لم تكوني صغيرة السـن جدًا، فأغلـب الظن أنكِ اختبرتِ أحد هذه التعامـلات المؤلمة، إن لم تكن كلها. لا يوجد شخص، مهما بلغت درجة مهارته، أو انعزاله، أو استقلاله، مُحصَّن ضد حقيقة العلاقات غير الكاملة. أنا أعلم بلا شـك أنني قد فشـلتُ في وقتٍ ما أو آخـر في كل مجـالات الحياة عمليًا. لقد خذلتُ العائلـة والأصدقاء. وكنت مصدر ألم للآخرين. ومع هذا، فإنني كثيرًا جدًا ما كنت أنظر إلى الإنسان على أنه مصدر الأشـياء التي لا يمكن أن يقدمها سوى اللّٰه. ولكي نتقدم كنساء، لابد أن نتعلم كلنا أن نبحر بنجاح في هذا الحق ونتعهده.

منـذ وقت ليس ببعيـد، كنتُ في رحلة لكـي أتحدث في أحـد المؤتمرات، ووجدت نفسـي في مطار «دالاس» ومعي بعض الوقت الإضافي. كنت أتصفح أحـدث الموضوعات في قسـم المجلات، وقد لفتـت انتباهي إحدى المجلات الشـهيرة للمـرأة، وكان الموضوع الرئيسـي لذلك الشـهر هـو «الرجال وما ينشـدونه». كل مقالـة كانت تتناول جانبًـا أو آخر من الكيفيـة التي تمكّن النساء من التعامل مع الرجال. إذا كانت ذاكرتي تسعفني، فإن المجلة قدمت معلومات عن المدن التي تحظى بأكبر تعداد سكان من الذكور، وأين موقعهم في تلك المدن، وكيف تجذبين انتباههم، وكيف تتحدثين مع الرجل بمجرد أن تحصلـي عليه، وكيف تحبين الرجل وكيف تعرفين إن كان الرجل يحبكِ، إلخ.

وبما أنني امرأة أعيش مع خمسة ذكور، فأنا دائمًا أحب الاطلاع على مثل هذه المصادر. فانتقيت المجلة وبدأت أتصفحها، وعندها سمعت الروح القدس يهمس قائلا: «لكنني لست رجلًا».

بهرتني بساطة هذا الإعلان. كثيرًا جدًا ما نصرف كل طاقتنا على مجرد انعكاس للمصدر الأصح. فبالرغم من كل الاستقلالية التي تعتنقها مجلات المرأة هذه، إلا أنها لا تزال تعلي من قدر العلاقة التناغمية بين الرجل والمرأة على أنها الحل للسعادة الشخصية. أجل، هناك إشباع في العلاقة الحميمة مع الرجل، لكنها ليست هي الحل الذي نبحث عنه. فبالحق، الله ليس رجلًا، وما نرغب فيه بصورة مُطلَقة لن يُسدَّد بالكامل أو يوجد في رجلٍ واحد.

متشابهان، لكن ليسا متماثلين

أؤمن أن هذه الحقيقة مؤكَّدة بما نجده في سفر العدد:

«ليس الله إنسانًا ...» (عدد ٢٣ : ١٩)

في الحقيقة، يعلن هذا ما هو أكثر من قدرتنا على الفهم؛ فالله مشابه للرجل أو المرأة لكنه مختلف تمامًا عنهما. ومع أن الذكر والأنثى كليهما يعكسان صورة الله، إلا أنها في أفضل حالاتهما صورة محدودة. هذا يشبه المرآة التي تعكس المظهر الخارجي لكن ليس القلب ... وتعكس حركة الفم لكن ليس صوت الكلمات. في البداية قد يبدو كما لو أن الله يقول ما هو واضح. فقد تقرأين هذه الآية وتقولين لنفسكِ: «أجَل، أعلم بالطبع أن الله ليس إنسانًا وليس رجلًا». لكن دعينا نتوقف للحظة ونراجع هذا الحق في ضوء ثقافتنا، وربما نُفاجَأ من اكتشاف كم ساد هذا المفهوم الخطأ.

إذا كنا صادقات، فسوف نجد أننا نعلن -دون قصد- أن الإنسان الرجل هو «إلهنا» على عدة مستويات. وهذا يتضح في الكيفية التي ننفق بها نقودنا، ووقتنا وطاقتنا. فالدعاية تخاطب رغبتنا في أن ندخل في علاقةٍ ما مع الرجال من خلال الإيحاء بأنه إذا بدا مظهرنا هكذا ولبسنا مثل هذه (المرأة المرغوب فيها) سوف نحصل على ذلك (رجل الأحلام). فنحن نُدعَى للحفلات الراقصة

التي لا يفوز في نهايتها سوى الكاملات والجميلات (فكري في سندريلا، والسيارة المثالية، والثوب المثالي، والشعر المثالي، والإكسسوارات، ويكملها الحذاء المُبهِر). توضع ثقتنا في غير محلها، في ما يجذب مشاعرنا ويدفع رغباتنا. وبدون دراية نقتنع بهذه المفاهيم المغلوطة، ونسعى وراء «الرجل» على أنه الحل لبلاء كل امرأة. كما أن الرسالة المخفية التي تقول: «الرجل الكامل = الحياة الكاملة» تضع الكثير جدًا من الضغوط على كل الأطراف المعنية! لا يوجد ما يُسمَّى «الرجل الكامل» أو «المرأة الكاملة»، هناك فقط «الله الكامل».

أيتها النساء المتزوجات، كم منكن حصلن على الرجل واكتشفن أنه مهما كانت درجة روعته، فهو لا يمكنه أن يملأ كل أبعاد حياتهن؟ معظم النساء يتزوجن رجل أحلامهن، بآمال عريضة للكمال والسعادة، ثم ينظرن أحلامهن وهي تتحول ببطء إلى كوابيس! وبدافع الرغبة الشديدة في الإبقاء على الحلم حيًا، يحاولن تدريب الرجل، وتغيير الرجل جذريًا، وإذا لم تفلح هذه الأساليب، يقررن فقط أن يكنَّ هن الرجل! صدقوني، أنا أعلم هذه الحالة عن اختبار. فبعد أن تزوجت زوجي بوقت قصير، وكان هو حب حياتي، كانت لديَّ رؤية عن الكمال. وهي نفس الرؤية التي وجدتها شائعة عند الكثيرات من المتزوجات حديثًا ... إنها رؤية عن الرجل الكامل.

ألهمتني هذه الرؤية فتخيلت أن هدف حياتي كان هو أن أغيِّر جون من الرجل الذي كان عليه إلى الرجل الذي كنت أعلم أنه يمكن أن يكون عليه، فقط إذا عمل معي لتحقيق هذا. وبهذا الإعلان، تغيَّر كل شيء. لم أعد لطيفة وصبورة، بل أصبحت مركَّزة. كان هناك تغيير لابد من إتمامه. فهل هناك سبب آخر يمكن أن أكون قد تحليت بالطبيعة الناقدة الضابطة لأجله؟ كانت هناك عيوب لابد من التعامل معها. بطريقة ما، لم ألحظها عندما كنا نتعارف قبل الخطوبة، لكن بمجرد أن تزوجنا، أصبحت أوجه القصور هذه واضحة بشكل جلي (بينما ارتدَّت عيوبي أنا إلى مكان غامض، بالطبع). كانت حياتي حقًا عطية بالنسبة لجون ... كان هذا واضحًا - يمكنني أن أساعده كثيرًا! لكن لماذا كنتُ مدفوعة هكذا لأغير جون وأجعله كاملًا؟ من الواضح أنني جعلته هو مصدر فرحي وإشباعي.

بطريقتي، وإلا لن ألعب

عندما تقابلنا أنا وجون للمرة الأولى، أحببته لما كان عليه. لكن بعدها تغيرت مشاعري وركزت على توقعي لما يمكن أن يكون عليه. إذا استطعت أن أغيره إلى تلك الصورة، سوف أشعر بالأمان والمحبة والإشباع. وكنت أؤكد على هذه النظرة الجديدة من خلال تعليقات كنت أقولها، مثل: «لم أكن لأفعلها بهذه الطريقة، بل كنت سأفعلها بهذه الطريقة». وبدأت فكرة أن جون يجب أن يفعل الأشياء بطريقتي تفيض بصورة طبيعية ومستمرة في كياني، واستحوَذَت على أفكاري. وما بدأ بشكل لطيف للغاية أصبح أكثر إصرارًا إذ ازدادت غيرتي لتغيير جون. لقد كان واجبي والتزامي النبيل كزوجة هو أن أربي جون في طريقه الذي رأيت أنه يجب أن يسلك فيه.

لكن هذا لم ينجح! أحب الطريقة التي وصَفَت بها امرأة تقية اسمها «ديفي تاتس» هذا الأمر حين قالت: «معظم النساء يخدمن أولادهن ويربين أزواجهن، بدلًا من العكس». في ذلك الوقت، لم يكن لديَّ أي أطفال. لكنني بكل تأكيد كنت أتمرن في زوجي.

عندما قاوم جون محاولاتي المستمرة والدقيقة في تربيته، ظننت -عن غير علم- أن الأفضل هو أن أزيحه من مكانه (على الأقل إلى أن يتعاون). فمن الواضح أنني قد أثبتُّ تفوقي في القيادة أكثر من مرة. كم من المرات قدمت له بوضوح النصيحة الصحيحة، ومع هذا رفض بعناد أن يصغي؟ ربما ستسير الأمور بسلاسة أكثر إذا استطعت فقط أن «أكون أنا الرجل» إلى أن يتبع هو قيادتي. لم يكن جون مستعدًا أن يكون هو المرأة، وهكذا، كان هذا يعني أن يكون هناك قائدان يسيران في اتجاهين مضادين ومنقسمين في كل شيء تقريبًا.

لا حاجة لي أن أقول إن مباراة المصارعة هذه قد سببت الكثير من الضرر في وقت مبكر في علاقتنا. ولم تتوقف حتى اكتشفت أنني كنت أريد من جون أن يمثل لي أمورًا لا يمكن لأحد سوى لله أن يمثلها لي. كنت أتوقع منه أن يكون كاملًا، بينما واضح أنه لا يمكن لأي منا أن يكون هكذا. عندما كان يخيب أملي، كنت أسحب محبتي واحترامي إلى أن يستطيع أن يثبت بطريقة ما أنه

جدير بهما مرة أخرى. في تلك السنوات الأولى، كنت خائفة من أشياء كثيرة جدًا لدرجة أنني كنت أحاول التحكم في كل شيء.

اقتنعت بالأكذوبة التي تقول إن الله إنسان رجل، وإذا حاول الرجل فقط بالقدر الكافي، سوف يستطيع أن يلبي كل احتياجاتي. لكن هذا ليس صحيحًا، لأنه حتى لو كان جون كاملًا فهناك احتياجات في كل منا لا يستطيع أحد أن يسددها سوى الله. قال «بليز بالسكال»: «يوجد في حياة كل إنسان فراغ على صورة الله». لقد صُمِّمنا بحيث نجد قصدنا المطلق في الله وحده. وهناك وعود لا يستطيع أحد أن يفي بها إلا الله.

هناك وعود لا يستطيع أحد أن يفي بها إلا الله.

الله لا يمكن أن يكذب

«ليس الله إنسانًا فيكذب». (عدد ٢٣: ١٩)

ما هي الحقيقة الواضحة التالية؟ الرجال يكذبون. وقبل أن تشعرن جميعكن بالغضب والألم، تذكَّرن أن النساء يكذبن أيضًا. لكن الله لا يفعل هذا؛ لأنه هو الحق. يكذب الناس أحيانًا حتى عندما يصدِّقون أنهم يقولون الحقيقة. قد يقولون إنهم لن يتركوكِ أبدًا، وبعدها يتركونكِ. قد يقولون إنهم سيظلون يحبونكِ دائمًا، وبعدها لا يحبونكِ.

في الحقيقة، كل الكذب يمكن أن يكون مزعجًا إلى حد ما، لكننا يجب أن نجد كلنا راحتنا -رجال ونساء على السواء- في أن الله ليس مثلنا. الله هو الله، ولا يوجد من هو مثله. هو فقط الشاهد الأمين والحق. ونظرته ليست مُشوَّهة أو غامضة بفعل هذا النطاق الأرضي. لا يمكن لأحد أن يرشي الله أو يخدعه.

كما توجد طريقة أخرى يمكننا بها أن نعلي الإنسان إلى مستوى الله وهي عندما نصدِّق خطأ أن الناس هم مصدر الأمان والرفعة. قد يحدث هذا عندما نتوقع من الأصدقاء أن يلبوا كل احتياجاتنا العاطفية واحتياجنا إلى المساندة. كما أن عقلية «الإنسان الإله» قد تسلَّلت إلى عالم الأعمال

التجارية؛ حيث يصدِّق الكثيرون خطأ أن الشبكات والوساطة هي أسرع الطرق للحصول على رضا الآخرين وعلى الترقيات وتسديد الاحتياجات. مثل هؤلاء الجائعين لرضا الإنسان هم الذين يوظَّفون. كما يحدث الكثير من تبادل المصالح. فالسِّيَر الذاتية متعجرفة، والعلاقات تسير في مسارات سطحية. ومن يخدمون طموحاتهم يدخلون ضمن هذه الدائرة، بينما من يُعتَبرون غير نافعين أو غير ضروريين يُنبَذون. هذه العقلية ذاتها أثرت على الكنيسة. فلم يعد الناس ينظرون إلى العلاقات على أنها مقدسة، بل على أنها سلعة للاستهلاك. وهذا النوع من السلوك يبين وضع الثقة في غير محلها، إذ توضع الثقة في الناس بدلًا من أن توضع في الله. لكننا نريد رضا الله أولًا وقبل كل شيء.

يمكننا أن نتمتع برضا الله والإنسان، لكن يجب أن نحافظ على الترتيب الصحيح. أولًا، نطلب رضا الله، ثم نسمح له أن يربطنا بصورة إلهية بالآخرين. كثيرًا جدًا ما يسعى الناس وراء رضا الإنسان أولًا، لكن الحصول على رضا الإنسان لا يضمن بالضرورة رضا الله.

رضا الله في مقابل رضا الإنسان

لكي تكون نظرتنا سليمة، يجب أن نفهم أن رضا الناس يتعلق بمن نحن أمام الناس. إذ يتوقف كل شيء على نظرة الناس لنا. وعادة ما يتم تزييف هذا بالمظهر والإنجازات. وفي هذه الحَلَبة، تفوز باستمرار النساء الجذابات والناجحات. وعندما تهتز شعبيتهن، يعانين من الخسارة إذا كنَّ قد علقن قيمتهن على آراء الناس عنهن. لكن الله لا يتذبذب في محبته من نحونا، مهما كان رأي الناس فينا.

إن رضا الله يتحقق في السر؛ فهو يركز على من نحن في السر عندما لا يكون هناك أحد حولنا ليصفق لنا أو يمدحنا. فهويتنا «غير المراقبة» تعتبر تمثيلًا أدق لمن نحن حقًا. في كل مكان تقريبًا، تتسبب القرارات الرديئة التي نتخذها في السر إلى إفساد رضا الناس عنا في العلن. هل تعتبر الاختيارات الخاصة بالاشتراك في نشاطات خاطئة- مثل النميمة أو الصور الإباحية أو الزنا أو الاختلاس - قرارات سرية

رضا الله يتحقق في السر.

أم علنيــة؟ معظم هذه الأمور تبدأ في الســر في حياتنــا الفكرية. فالقرارات الخاصة بالسرقة أو الغش أو الخيانة تُتَّخَذ تحت عباءة السرية.

كما أننا في الســر أيضًا نمتلــك القدرة على تنمية حيــاة فكرية نقية من خــلال العلاقة الصحيحة مع الله. فعندما نكــون بمفردنا معه، توزن دوافعنا وتُكشَف. في محضره، تهدأ كل الإحباطات والتوقعات. هناك يقبلني الله لما أنا عليه، وليس لما أفعله. هذه هي أنا الحقيقية، أنا عندما لا يراني أحد. وهذه هي من يتلذذ الله بقضاء الوقت معها أكثر من أي شيء آخر. في محضره، أجد انعكاسًا أدق؛ لأن قيمتي تأتي منه هو وحده. هويتي عندما أكون بمفردي معه أهم بكثير بالنسبة له من أي شيء قد أحققه لأجله أمام الناس.

الأفضل دائمًا أن نثق في الله

أحيانًــا أجــري إلى أمــان محضــر الله لأنني خائفــة ولأنني فقــدت النظرة الصحيحة للأمور. وهناك أتذكر:

«خشية الإنسان تضع شَرَكًا، والمتَّكِل على الرب يُرفَع». (أمثال ٢٩: ٢٥)

وأيضًا،

«على الله توكلت فلا أخاف. ماذا يصنعه بي الإنسان؟» (مزمور ٥٦: ١١)

يثيــر كاتب المزمور ســؤالًا جيدًا. ســوف يقف الناس ضــدكِ، لكن ما الذي يمكنهم فعليًا أن يصنعوه إذا كنتِ تثقين في الله؟ إننا نتكل على ما نصدقه. إذا كنا نصدق الله عندما يخبرنا أنه يمســك بحياتنا بين يديه، فســوف نجد أنفسنا غير خائفات من تهديدات البشر.

فــي مرات عديدة وجدت نفســي داخل ما يرعبني. كانت كلمات الشــائعات والإهانة تدور من حولي، وكنت أحاول يائســةً أن أصدها أو أشــرح موقفي. فأنا مثل جميع الناس تقريبًا، أكره أن يسيء الناس فهمي أو يحكموا عليَّ بالخطأ، أو يأخذوا فكرة خاطئة عني، لكن تأتي أوقات عندما يكون عليَّ فقط أن أسلم

الكل وأثق في صلاح الله. سوف نتعرض لسوء الفهم، والأحكام الخاطئة، وتشويه الصورة، والأخطاء من الأصدقاء والأعداء على حد سواء، لكن لن يحدث هذا من الله أبدًا.

«الاحتماء بالرب خير من التوكُّل على إنسان». (مزمور ١١٨: ٨)

لا يوجد تعليم يقول إننا يجب ألا نثق في الناس، بل بالحري يوجد توجيه بخصوص المكان الذي نضع فيه ثقتنا. الأفضل أن نستسلم بالكامل لرحمة الله وعدله من أن نفكر حتى في الاتكال على البشر الذين أثبتوا دائمًا على مر التاريخ أنه لا يمكن الوثوق بهم. الطريقة الوحيدة للاتكال على الله أكثر هي أن نعرفه بصورة أفضل. يمكن أن يحدث هذا وأنتِ تتأملين في صفاته. فهو لا يتغير وهو بار. الله هو البداية والنهاية، ترسنا وحمايتنا. الله هو الحق. وكرامته تعلو على أي شك، وقوته لا حدود لها. إنه مختلف بالتمام عنا.

المحبة في حالة الجمود

أريد أن أقول في مقدمة قصتي التالية إنني أحب زوجي وأحترمه. لكن هذا لا يعني أننا دائمًا نرى الأشياء بنظرة واحدة. فخلال أكثر من ثلاث وعشرين سنة من الزواج، تصادمنا بالتأكيد بعض المرات. وكانت العواقب مُدمِّرة في بعض المواقف أكثر من غيرها. وأنا أشارك بمواقف من حياتي على أمل أن تتعلمي من فشلي وتتجنبي العواقب الخطيرة في حياتكِ أو زواجكِ.

أنا وجون شخصان شغوفان. وهذا بالتأكيد أمر له مزاياه. لكنه بالتأكيد يمكن أيضًا أن ينهار بسهولة. الأشخاص الشغوفون يميلون إلى أن يشعروا بكل شيء على نطاق واسع.عندما نجد نفسينا في مواجهة موضوعات مُحتَدِمة، نجد أننا نعبِّر تلقائيًا عن آراء قوية. وبدافع احترامنا أحدنا للآخر، فقد اتبعنا دائمًا سياسة مناقشة الموضوعات الصعبة في السر أولًا قبل أن نسمِّع صوتينا على الملأ. وحفاظًا على هذا المبدأ فيما يختص باجتماعات مجلس إدارة خدمتنا، فقد كنا أنا وجون نناقش جدول الأعمال أولًا في البيت لتفادي أية مفاجآت غير سارة.

وقد وجدنا أن هذا الأمر يُخلِّصنا كلينا من الحرج غير الضروري وجرح المشاعر. حسنًا، منذ عدة سنوات ساءت الأمور جدًا في أحد اجتماعات مجلس الإدارة. ولعدة عوامل، تم عرض أحد المشروعات للتصويت ولم أكن أعلم أي شيء عنه. فشعرت على الفور بانتهاك حقي وبالخيانة، خاصة عندما أدركت أنني كنت عضو مجلس الإدارة الوحيدة التي لم يُعرَض عليها الأمر من قبل. بالإضافة إلى هذا، فقد كنت المرأة الوحيدة، لذا، بدا وكأنني مطرودة من نادي الصبيان. عندما حان وقت التصويت، صَوَّت كل أعضاء المجلس الآخرين بالإيجاب، لكنني قلت «لا» مدوية. في الحقيقة، أعتقد أنني أيضًا رفعت يدي لأؤكد على اعتراضي.

لم أكن مستعدة أن أدع هذا الانتهاك يمر بهدوء! لكن الأمر المُحزِن كان هو أن أعضاء مجلس الإدارة كانوا دائمًا يصوتون بالإجماع حتى ذلك اليوم، لكنني في ذلك الوقت لم أكترث بهذا الأمر. ولم أوافق. فإذا لم تكن لي الحرية لكي أصوت بـ «لا»، فليست لي الحرية أن أصوت بـ «نعم». اتخذوا القرار بدون الحاجة حتى لصوتي، لكنني تخيلت أنني فعلت أمرًا مكرمًا، وبالطبع، كان أمرًا وطنيًا للغاية.

وكما يمكنكِ أن تتخيلي، فقد كان لجون رأي مختلف تمامًا بالنسبة لتصرفي. وبعد اجتماع مجلس الإدارة، بدأ حديث ساخن بيننا لم نستطع أن ننهيه بنجاح قبل رحيل جون في رحلتين دوليتين متتاليتين. لم تنجح المسافة ولا الزمن في مساعدتنا على حل الخلاف. انغمس كل منا بعمق في الدفاع عن قراراته بعنف. شعرت أنني ضحية، وشعر جون بالمقاومة وعدم الإكرام. ونظرًا لأننا كنا في مثل هذه الحالة من التباعد الحاد، فقد ظل كل منا يحشد الذخيرة لمساندة مواقفنا الفردية. تجادلنا وتحدثنا مع كل من اعتقدنا أنه يمكن أن يساعدنا، لكن لم تكن هناك أية علامة على أية تسوية.

في يأسي، بدأت أصرخ إلى الرب وأقول: «يا رب، إننا في حالة جمود. جون ليس لطيفًا على الإطلاق! يا أبي، أعلم أنه لابد أنكَ مستاء من سلوكه، فهو في النهاية يغدر بامرأة شبابه!» واستمر حديثي، وكنت كل يوم تقريبًا أقدم

دعواي أمام الآب. لكنني عندما هدأت أخيرًا، سمعته يتكلم قائلًا: «ليزا، قولي لي إنني أكفيكِ».

في البداية كنت مرتعبة قليلًا. إذا قلت إن الله يكفي، فهل هذا يعني أن جون لن يتغير؟ قلت هذه الكلمات للآب: «أيها الآب. أنت تكفيني».

بعدها وجدت نفسي أكرر السؤال. «ولكن ماذا عن جون؟»

ثم سمعته مرة أخرى يقول: «قولي لي إنني أكفيكِ».

قلت: «أنت تكفيني».

في البداية، كان تجاوبي مجرد كلمات. كلمات كنت أعلم أنه ينبغي أن أقولها. لم تكن هي الكلمات التي أحب أن أقولها. لكنها فقط أصبحت هي الكلمات الوحيدة التي يمكن أن أقولها ولا توقعني في المشكلات. إذا كان الله يكفيني، فأنا لا أحتاج إلى تجميع آراء الجميع. إذا كان الله يكفيني، فليس عليَّ أن أقلق بشأن كل الطرق التي رأيت فيها أن جون لا يكفيني. إذا كان الله يكفيني، فلن تكون خيبة الأمل في الصداقات مهمة بعد، أو تحدد قدرتي على الغفران. بدأت أتمتم بهذه الكلمات في ظلمة مخدعي، وفي صمت سيارتي، وكنت أهمس بها وأنا ذاهبة لفراشي في الليل. ثم حدث شيء ما. لم يعد الله يكفيني، بل أصبح يكفيني ويزيد. وبدأ هذا الإعلان يفيض في تسبيحي، وسرعان ما طغا على احتياجي لأكون على صواب.

خذي الحق واتركي الكذب

بينما كان الله يعلو، تغير وضع حياتي بالكامل، وسادت المحبة على زواجنا. الحقيقة هي أنه لا يوجد زوج يستطيع أن يسدد كل احتياجات زوجته، ولا أن يكون العامل الشافي لكل جراحاتها. بالتأكيد يمكن لزوجكِ أن يحبكِ ويشجعكِ. ويمكن للأصدقاء أن يدفعوكِ ويجلبوا لكِ الفرح بمجرد وجودكِ معهم. لكن كل العلاقات البشرية هي انعكاسات محدودة عن محبة الله الكاملة. فالله هو المصدر الحقيقي لفرحنا وقناعتنا وقيمتنا. هو وحده الذي يمكنه أن يحدد من نحن. لا يجب أن تكون هذه القوة من نصيب أي شخص آخر. في المسيح فقط يمكننا أن نجد ما خُلِقنا لنكون عليه.

هناك عادة غريبة لكنها شائعة بين البشر وهي أن يعودوا إلى مصدر الألم

للحصول على الشفاء. للأسف هذا يعني أننا كثيرًا ما نهيئ أنفسنا لأن نُجرح مرة أخرى. على سبيل المثال، الفتاة التي لا تستطيع أن ترضي والدها غالبًا عندما تكبر سوف ترافق الرجال الذين يصعب إرضاؤهم. وهي تأمل أنها من خلال عملية كسب موافقتهم، يمكنها أن تحقق في النهاية الشفاء من رفض أبيها لها. وضحايا الإساءة الجنسية كثيرًا ما يصبحون مسيئين جنسيًا لغيرهم أو مشوَّشين جنسيًا، في محاولة لاسترداد القوة التي سُرِقت منهم عندما كانوا صغارًا.

لا يوجد شفاء حقيقي في هذه الأماكن. لكن كثيرًا جدًا ما يستبدل البشر الضعفاء الحق بالكذب، والحقيقة بالظل، والحياة بالموت.

«الذين استبدلوا حق الله بالكذب، واتَّقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق، الذي هو مباركٌ إلى الأبد. آمين». (رومية ١: ٢٥)

إذا كنا قد استبدلنا الحق بالكذب بأية طريقة من الطرق، فيمكننا في الحقيقة أن نقرر أن نستبدل أكاذيبنا بحق الله. يبدأ الأمر كله بأن تقولي لله إنه هو الحق، وإنه هو مصدر قيمتنا، وإنه يكفينا ويزيد. دعونا نصلي معًا.

أبي السماوي،
سامحني لأنني صدقت أكذوبة أنه يمكن أن أجد الحياة والمحبة الحقيقيتين خارجك. أنت هو الطريق والحق والحياة. أيها الروح القدس، اكشف كل منطقة استبدلت فيها الحق بالكذب. إنني أريدك أكثر من أي شيء آخر. يا يسوع، أنت تكفيني وتزيد. أنت حقًا لست إنسانًا فتكذب. لقد وعدت وسوف تحفظ كلمتك. أريد رضاك أكثر مما أريد أن أكون محبوبة بين الآخرين. أعد التوازن الصحي إلى حياتي بينما أجدد ذهني بهويتي الحقيقية فيك. آمين.

الفصل السادس

متى تَضرِب النساء؟

لاحظت فكرةً أو نمطًا متكررًا عبر الكتاب المقدس. وهي أن مبادئ التوقيت والأسلوب والطريقة كانت تنجح عندما كانت مجموعة واسعة من البطلات تتبعنها، بدءًا ممن لا اسم لهن إلى الملكات. فقد كانت هؤلاء النساء ترسمن مرة بعد الأخرى كيف ولماذا ومتى يجب علينا أن نحارب.

دعونا أولًا نتناول قضية «متى؟» تضرب النساء عندما يقترب العدو. في كل مرة يتعدى فيها إبليس حدود المحبة والحياة ويأتي إلى داخل نطاق المرأة، فلسنا نحن الذين يجب أن نرتعد، بل هو. لأننا عندما نجد أنفسنا في شرك صراع رهيب، سوف يقوينا الله لكي نحارب بالشيء الموجود بين أيدينا أيًا كان.

اكتشف الملك أبيمالك هذه الحقيقة بطريقة صعبة؛ فبعد أن نجح في حصار إحدى المدن، أشعل النار في كل من كانوا يطلبون ملجأً داخل برجها. ونتيجة نجاحه تجرأ فاقترب من مدينة أخرى أيضًا لكي يهلكها بطريقة مشابهة. ومرة أخرى هرع الناس المرتعبين ليحتموا في البرج. واقترب أبيمالك لكي يشعل النار، ولم يشك مطلقًا في نصرته. كانت المشكلة الوحيدة، أنه في هذا الموقف كانت هناك امرأة أدركت أنه حان الوقت لإيقافه مستخدمة أي شيء كان بين يديها.

«فجاء أبيمالك إلى البرج وحاربه، واقترب إلى باب البرج ليحرقه بالنار. فطَرَحَت امرأةٌ قطعة رحى على رأس أبيمالك فشجت جمجمته. فدعا حالًا الغلام حامل عدته وقال له: ‹اخترط سيفكَ واقتلني، لئلا يقولوا عني: قتلته امرأة›. فطعنه الغلام فمات. ولما رأى رجال إسرائيل أن أبيمالك قد مات، ذهب كل واحدٍ إلى مكانه». (قضاة ٩: ٥٢-٥٥)

ما بدأته هذه المرأة، أكمله رجل. لو لم يكن حجر الرحى قد أُلقِي، ما كان هذا الملك القاسي المتعطش للدماء ليقتل بسيف حامل سلاحه. أجده أمرًا مذهلًا أن جيشًا كاملًا، كانوا مستعدين لحرق مواطني بلدهم، رجعوا لبيوتهم ببساطة عندما أدركوا أن ملكهم قد مات؛ فقد كان هو القوة الدافعة لقتالهم، لكنهم عندما رأوه يسقط على يدي امرأة، سحبوا حملتهم بأكملها. هل يمكن أن يكون ما حدث هو أن هذا الرجل عندما سقط أمام امرأة، عرفوا أن الله كان يحارب عن شعبه؟

بالطبع كلنا نعلم أن المرأة يمكنها أن تضرب، وتجرح، وتقتل، تمامًا مثل الرجل. لكن، هل هذا هو أسمى هدف لنا؟ أؤمن أن النساء لم يُخلَقن أبدًا للسعي وراء الصراعات الجسدية في أراضي المعارك الحرفية مع الرجال. لكن إذا وجدن أنفسهن في هذا الموقف، يصبحن خصومًا مذهلات. وكما سوف أشرح في صفحات هذا الفصل، فإن هناك الكثير من الأراضي الأخرى التي يمكننا أن نحارب فيها. إن إشراك النساء في سفك الدماء واستخدام السيوف هو دائمًا الملاذ الأخير. وتحتاج أسبابنا للدخول في المواجهة إلى أن تكون مدفوعة بما يحفظ الحياة والكرامة والحق والفضيلة. يجب أن يختار الجنسان المعارك بحكمة. فإذا وجدنا الصراع في طريقنا وقد أتى لكي يدمر ما نحرسه، عندئذ لا يكون أمامنا خيار سوى أن نحارب بأية وسيلة متاحة لنا. عندما يُظهِر الشر نفسه ويعوق طرقنا، فليس هناك ملجأ آخر لبنات حواء. لقد تشكَّلنا لكي نفعل كل ما في طاقتنا لنمنع الموت والخسارة، وأيضًا لننشر الكرامة ونحفظ الحياة والفضيلة. في هذه المساعي، يجب ألاَّ نتراجع بحماقة أبدًا في خوف.

النساء يحاربن بشكل مختلف

أتذكر أنني عندما كنت فتاة صغيرة، نلت لمحة عن هذا الحق القوي أن النساء يحاربن بشكل مختلف عندما قرأت قصة سي إس لويس الشهيرة الأسد والساحرة وخزانة الملابس. كان الأب كريسماس يقدم هدايا لأبناء آدم وبنات حواء استعدادًا للمعركة التي طال انتظارها بين قوى الخير والشر. أتت هذه المواجهة في أعقاب موسم مروع من البرودة والجدب. والآن كان الربيع يفرض نفسه على موسم الشتاء، وكان الانطلاق المُنتَظَر على الأبواب.

لكنهم أحضروا أولًا خير الكريسماس الذي طال انتظاره. كل هدية تم اختيارها تبعًا لقدرة المتلقي ومشاعره. حصل بيتر على سيف رائع وترس مزخرف. ثم حصلت ابنتا حواء، سوزان ولوسي، على هديتيهما كل واحدة بدورها.

قال الأب كريسماس: «يا سوزان، يا ابنة حواء. هذه لكِ». وسلمها قوسًا وجعبة مليئة بالسهام وقرنًا عاجيًا صغيرًا. وقال: «يجب أن تستخدمي القوس فقط في الاحتياج الشديد، لأنني لا أريدكِ أن تحاربي في المعركة. هذا القوس لا يخطئ بسهولة. وعندما تضعين هذا القرن على شفتيكِ وتنفخين فيه، فأينما كنتِ، أعتقد أنه ستأتيكِ المعونة من نوع ما».[1]

هناك صورة رمزية شيقة في هذا النص. أولًا لقد حصلت على هدية القوس والجعبة المليئة بالسهام. أمر شيق أن تلاحظي أن الكتاب المقدس يُشبِّه أولادنا بالسهام في اليد.

«كسهامٍ بيد جبارٍ، هكذا أبناء الشبيبة». (مزمور ١٢٧: ٤)

إن النساء شريكات لله عن قرب؛ إذ يحملن الأطفال ويربينهم. إنهم هم نسلنا وميراثه وأجرته. هم الأشخاص الذين نطلقهم إلى المستقبل. فهم يعيشون بعدنا، و ترى أعينهم عن قرب ما نراه نحن فقط من بعيد. و سوف تسمع آذانهم بصوت عالٍ ما كان بالنسبة لنا في حياتنا مجرد همس. يجب أن يكونوا مُصوَّبين ومدفوعين بصورة كاملة، لأنهم لن يخطئوا أهدافهم بسهولة. إن لنا الوعد بذلك، أننا من خلال تربية الأطفال في الطريق التي يجب أن يسلكوا فيها، سيكونون ميالين أكثر إلى أن يصيبوا هدف مصيرهم في الله عندما يكبرون.

ولهذا السبب، يجب ألا يُعاق أولادنا بسبب الخوف؛ فهناك معارك ضرورية بانتظارهم. ولديهم القدرة على صنع السلام أو مواصلة الصراع غير المنتهي. هم وحدهم يتمسكون بما كسبناه نحن بالفعل نيابةً عنهم ويصطحبونه إلى المستقبل. في المعارك القديمة، كانت السهام تستخدم كنوعٍ من الهجوم المسبق. هذا يعني أنها عادة ما كانت تُطلَق حتى قبل أن

يكون الجيشان في موقع الاشتباك. وبالمثل، فإن أولادنا مرسلون ليحاربوا في المستقبل الذي قد لا نراه أبدًا.

استخدمي المعونة المتاحة

وبنفس طريقة التحذير المسبق، كانت الهدية الثانية لسوزان، ابنة حواء، تشبه الأولى. كانت قرنًا جميلًا يستطيع عند النفخ فيه أن يأتي بمساعدةٍ يقينية. كان الوعد أنه سيأتي بالإغاثة إلى أي مكان تجد سوزان نفسها فيه. ماذا كنتِ ستفعلين بهديةٍ جميلة ويقينية مثل هذه؟ معظمنا ستقلن على الفور: «أستخدمها!»

لكن أتعلمين أنكِ تمتلكين وعدًا أثبَت من أبيكِ السماوي؟ لا، إنه ليس قرنًا عاجيًا ملموسًا أو صفارة تعلقينها حول عنقكِ. إن هديتكِ غير منظورة وغير ملموسة أيضًا. وفي هذا أعظم الفائدة. فهي لا يمكن أن تُتلَف أو تُسرَق أو توضَع في غير محلها. ويقيننا بهذا موجود في كلمته الحية التي تبقى إلى الأبد. فالشخص الذي يسمع نداءنا هو القدوس، الذي لا ينعس ولا ينام. وهو الذي يَعِد بأن يجيب صرخاتنا طلبًا للمعونة. بل إنه في الحقيقة يبدأ في تحريك الحلول لمشكلاتنا قبل حتى أن نطلب المساعدة.

«ويكون أني قبلما يدعون أنا أجيب، وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع».
(إشعياء ٦٥: ٢٤)

قبل أن نطلب معونته في صلواتنا، أعدَّ هو المشورة الحكيمة وطريقة الهروب من الأذى أيضًا. إذا فشلت سوزان في استخدام هذه الهدية بعد أن تلقت التعليمات الخاصة باستخدامها، ألن نرى أنها حمقاء؟ إذا احتقرت القرن لأنه ليس سيفًا، سوف يعاني الجميع بسبب تصوراتها الخاطئة. لكننا دون دراية نفعل هذا طوال الوقت؛ فإننا ننسى العطايا التي وعد الله بها بناته، ونظل صامتات في الوقت الذي يجب أن يعلو صوتنا فيه. ونقارن -بجهلٍ- عطايانا بعطايا الآخرين، ونقرر نتيجة هذه المقارنة أننا أقل أو أضعف. وفي أوقاتٍ أخرى، ننظر إلى عقم مواقفنا ونتخيل

اعلمي هذا: هناك معركة، والضرر هائل، ولم يعد الأمر يتعلق بنا.

أن قـدرة الله لا تكفـي للتعامل مع الفوضى التي تسـببنا فيها. اعلمي هذا: هناك معركة، والضرر هائل، ولم يعد الأمر يتعلق بنا.

وكما تلقت سوزان وعدًا بمعونة من نوع ما، هكذا سوف تأتي الحلول لنا في أغلب الأوقات بطرق غير متوقَّعة. في حياتي الخاصة، وجدت أن تدخلات الله كانت هي عطية المعونة التي كنت أحتاجها بالضبط في ذلك الوقت، لكنهـا لم تكـن دائمًا ما كنت أريـده. بالطبع أنا أدرك هـذا فقط بطريقة الإدراك المتأخَر. في أوقات كثيرة، تخيلت أو خططت شـيئًا مختلفًا تمامًا فيما يخص أسـلوب وسـيناريو وتوقيت المعونة المتوقَّعة. ربما كنت أريد أن يعتذر لي شخص ما، ولكن الله بدلًا من هذا دفعني إلى أن أتضع وأعتذر أنا له. في أوقات أخرى، كنت أشـعر بحاجة ماسـة إلى الدفاع عن نفسي، وسـمح لي الله أن أعرف أنه يجب عليَّ أن أكف وأعلم أنه هو الله. كان هو المدافـع عني، لكن هذا كان يعنـي أنني يجب أن أبعد يديَّ عن الأمر طالما كنت أريد تدخله.

كل ما علينا أن نفعله هو أن نسأل

«ادعني فأجيبكَ وأخبركَ بعظائم وعوائص لم تعرفها». (إرميا ٣٣: ٣)

بما أنني بشـر، فدائمًا ما كنت أدعو الله من نطـاق معرفتي المحدود. وفي يأسـي، كنت أريـد فقط المعونة الفورية. لكـن الله كان لديه قصد أكبر في فكره، وهو يجيبنا من واقع سيادته غير المحدودة على ما هو غير معروف ولم نَرَ بعد. وفي حكمته يَعِدنا أن يكشـف عظائـم وعوائص لكل من يثقون فيه بالقـدر الكافي لأن يدعوه. وفي موضع الثقة هذا، نكتشـف أن غناه يوجد في وسط ضيقتنا. كل ما نحتاج إليه هو أن نطلب منه أن يتدخل.

كان القرن الذي أُهدِي لسوزان يترجم صرختها طلبًا للمعونة من خلال تأليف إشارة لم تكن لتخلقها بأنفاسها البشرية وحدها. وبالمثل، فإننا عندما نطلق أنفاسـنا في الصلاة، يشـفع الـروح القدس نيابـة عنا ويقدم أمـام أبينا صوتًا سماويًا. كثيرًا جدًا ما تفوتنا كل هذه المغامرة والإثارة؛ لأننا نخاف من أن نتكل عليـه، ولهذا نجرب إنقاذًا بديلًا بمفردنا. أنا أشـجع كثيرًا أن يسـاعد الإنسـان

نفسه. لكن من الضروري أن تفهمي أنكِ إذا كنتِ الوحيدة التي تتعلق بها هذه المعادلة، فلن يكون الحل أكبر منكِ. لكن الله هو دائمًا الحل الأكبر والأفضل.

لم تمر الحياة بوقت أكثر إثارة مما نحن فيه؛ فمن خلال مصادر الاتصالات، أصبح حق الإنجيل متاحًا كما لم يحدث من قبل. وأصبحت ترانيم العبادة والتسبيح مرتبطة بحالتنا وقوية كما لم يحدث من قبل. ويزداد النور بينما تنتشر الظلمة. ولكن في الوقت نفسه، يبدو وكأن أكاذيب العدو قد أصبحت أكبر وتجتاح الكثيرين كما لم يحدث من قبل. إننا أمام معركة هائلة الحجم! ومع أن الظروف قد تكون ضدنا، إلا أن إلهنا معنا! يجب أن نثق في أنه قد صنع طريقًا بالفعل، ويجب أن نطلق القرن بثقة في الصلاة عندما نرى الخطر يتزايد.

دعونا نرجع إلى تقديم الهدايا ونرى ما الذي عهد به إلى ابنة حواء الثانية، لوسي:

الطريقة التي يستخدم بها الله شجاعة المرأة

قدم لها إناءً من شيء يشبه الزجاج (لكن الناس قالوا بعد ذلك إنه كان مصنوعًا من الماس) وخنجرًا صغيرًا. وقال: «في هذا الإناء يوجد شراب مصنوع من عصير إحدى زهور النار التي تنمو في جبال الشمس. إذا تعرضتِ أنتِ أو أي من أصدقائكِ للأذى، فإن قطرات قليلة منه سوف تعيد لكم الصحة. والخنجر لكي تدافعي به عن نفسكِ في وقت الاحتياج الشديد. لأنكِ أنتِ أيضًا لا يجب أن تتواجدي في المعركة».

قالت لوسي: «لماذا يا سيدي؟ أظن - لا أعلم - لكنني أظن أنني يمكن أن أكون شجاعة بما يكفي لهذا».

فقال: «ليس هذا هو القصد. لكن المعارك تصير قبيحة عندما تحارب فيها النساء».[١]

في رد فعل لوسي رأيت الكثير من رد فعلي؛ فقد توقعت من سوزان أن تقنع بهديتها وتسعد بأنها لن تدخل في المعركة، لكن ليست لوسي. أتذكر أنني شعرت بخيبة أمل عميقة من الرد الذي تلقته. لم يكن هذا لأن هذه الإجابة خطأ، بل لأني لم أكن متأكدة أنها كافية. أتذكر أنني قلت لنفسي: «لماذا لا تأخذ هدية من سيف وترس؟» كنت أعلم أن لوسي لن تفشل في أن تثبت أنها شجاعة ووفية. كيف يمكن حجب السيف النبيل أو أي سلاح هجومي آخر

عنهـا؟ كل ما كانت تريده هو فرصة لتثبت محبتها لأصلان. لماذا لم تُتَح لها هذه الفرصة؟

وبينما كان العمر يتقدم بي أكثر في الحياة، ظل هذا السـؤال قائمًا. تشتاق نساء كثيرات إلى إثبات محبتهن. وهن مستعدات أن تفعلن كل ما يلزم لكي يريـن ربهن مكرمًا في كل جوانب الحياة. إذا لم تكن شـجاعتنا هي القضية، فما القصد؟ وجدت نفسـي أردِّد شكوك لوسـي وأقول: «يا يسوع، أنا لا أعلم، لكننـي أعتقـد أنني يمكن أن أكون شـجاعة بكما يكفي. يا يسـوع، أرجوك دعني أساعد بطريقة مهمة. لن أكون وضيعة وقبيحة في المعركة، فقط قل لي إن هذا ليس سببه أنني سوف أخذلك إذا تعرضت للامتحان ووجدت نفسي وسط ذلك الخضم».

ولسـبب ما، كنت دائمًـا أرى الاختلافات في أدوار الجنسـين على أنها عيب لا يمكـن إنكاره من جانبي. فقد تخيلت خرقًـا أو نقضًا لا يمكن علاجه فقط لأنني كنت أنثى. كثيرًا جدًا ما جلست خجلانة من جنسي الأنثوي لأنني كنت أسـمع الإيحاء بأن النسـاء يملن إلى الخطأ وبالتالي يجب تكليفهن بمواقع يتسـببن فيها في حدوث أقل ضرر ممكن. وكثيرًا جدًا ما كنت أسـمع تصوير الناس للنسـاء على أنهن ضعيفـات ومتمردات، وبالتالي، يسـمح لهن فقط بمواقع السلطة المُحدَّدة والتي يتم التحكم فيها جيدًا.

لكـن مـاذا إذا لم تكن اختلافاتنا أبدًا بسـبب عيبٍ ما؟ ماذا إذا كان سـببها هـو أن الله لم يقصد للنسـاء أبدًا أن يكنَّ أدوات مـوت ودمار؟ عندها لن يكون اختلاف الأدوار هذا نتيجة ضعف فطري أو إخفاق من جانب النسـاء، بل نتيجة اختلاف في الهدف. تظهر المشكلات عندما لا يتم تمكين النساء من توظيف مواهبهن ونقاط قوتهن بحرية.

مُحارِبات لأجل الحياة

لقد استقينا مثل هذه الاستنتاجات السلبية فقط لأننا كنا ننظر من خلال عيون أعتمها السـقوط. واضح أننا حتى الآن نصارع مع أدوار الرجال على أنها أهدافنا أو مصدر قوتنا. إذا كنا مثلهم، فنحن قويات، وإذا اختلفنا عنهم، فنحن

ضعيفات. لقد رسخت بداية الحياة نفسها فكرة أن إسهام المرأة -أيًا كانت صورته- لم يكن خطأ أبدًا، بل كان صوابًا. لكن ما أصبح خطأ هو محاولتنا أن ندخر القوة في صورة ووظيفة الرجال ونهمل قوتنا كنساء. الخطأ الآخر أتى من خلال الرجال الذين يقللون من قدر دور المرأة المخالف لدورهم.

بدلًا من تصويرنا كمشكلة تحتاج إلى السيطرة عليها، فقد خلق الله المرأة كالحل الذي يجب التمسك به. أعتقد أن قصد الله بالنسبة لنا كان دائمًا هدفًا أسمى من أن نكون مُحارِبات لسفك الدماء؛ فقد صورنا كمُحارِبات لأجل الحياة. اخبريني، هل الأنبل أن تمدي يدكِ لتضربي وتجرحي، أم لتعالجي وتشفي؟ ما الأكثر قيمة، إنهاء الحياة أم إعلاؤها؟ هل هناك قوة أكبر في ضرب حصار على مدينة أم في إطعام عدو؟ هناك طرق كثيرة نشن بها حروبًا دون سفك دماء، كما يخبرنا سفر الأمثال إذ يقول:

بدلًا من تصويرنا كمشكلة تحتاج إلى السيطرة عليها، فقد خلق الله المرأة كالحل الذي يجب التمسك به.

«اللسان الليِّن يَكسِر العظمَ». (أمثال ٢٥: ١٥)

ونحول بها الضرر:

«الجواب الليِّن يَصرِف الغَضَبَ». (أمثال ١٥: ١)

إن النصرة لا تكون دائمًا من نصيب الأقوى بدنيًا؛ فالأعداء عادة ما ينكسرون أمام تأثير الحكمة. أيتها النساء، لقد حاربنا لوقت طويل كرجال، وسواء كنا ندرك هذا حقًا أم لا، فإننا جميعنا قد عانينا من خسارة عظيمة في صراعاتنا. لقد عانى أولادنا؛ إذ كانوا يشهدون هذا الصراع بين الجنسين. لقد آن لنا أن نكف عن محاربة الرجال. لقد آن للنساء أن يتوقفن عن محاربة إحداهن الأخرى. يجب أن نعيد التمسك بمكانة الحكمة التي تخصنا ونفوز مرة أخرى.

بالتأكيد؛ كانت هناك أوقات لم أكن فيها مثالًا للسان اللين في المحادثات. كلنا رأينا النساء وهن يتصرفن بصورة سيئة، والحقيقة هي أننا كلنا نعرف أن

النساء يستطعن أن يجرحن بل ويقتلن الآخرين أيضًا. ويأتي الخطأ منا عندما نفكر في هذا الأمر على أنه موقف قوة.

يقال إنه بالرغم من أن جان دارك ركبت فرسًا وذهبت إلى المعركة ولاقت ترحيبًا كجندية مُحارِبة، إلا أنها لم تُشهِر سيفًا أو تضرب عدوًا قط. لماذا أُطلِق عليها أنها محاربة؟ ما القصد الذي كانت تخدمه؟ كانت تفهم أن وجودها في أرض المعركة لم يكن لسفك الدماء، بل للحياة. لقد أعلت راية الحرية ورفعت آمال فرنسا إلى السماء.

في معارك الحياة، إذا اشترك الجميع في قتال، فمن الذي سيرفع السارية؟ من الذي سيعلي الكرامة والقصد من وراء الصراع؟ عندما يشترك الجميع في سفك الدماء، سرعان ما ننسى ما نحارب لأجله. عندما تنتهي الحرب، من الذي يعزِّي المتعبين ويمنحهم مكانًا يسندون فيه رؤوسهم، إذا لم تقم النساء بهذا الدور؟ من الذي يطرد صور الرعب ويعيد أحلام الحياة والرجاء؟ أؤمن أن هذه أدوار قوية عَهَدَ الله بها لبناته لكي يتممنها.

هل إسهامي كافٍ؟

أُعطِيَت لوسي إناءً ماسيًا مملوءًا بشراب من سائل نادر يَعِد بأن يقدم الشفاء. إنها هدية لا تُقدَّر بثمن، ومع هذا شعرت هي بخيبة الأمل. ربما تخيلته شيئًا ضئيل القيمة. ربما جعلها جمال الشيء تشك في أن له أية قوة حقيقية أو غرض حقيقي. تخيلي مقدار الاحتياج الشديد لكنز مثل هذا. لقد أُعطِيَت لها الفرصة لتشفي نفسها وتجلب الشفاء للآخرين، ومع هذا، تتساءل إذا كان إسهامها كافيًا. أعتقد في هذه اللحظة أننا كلنا طرحنا مثل هذا السؤال. هل ستكون محاربتنا قوية بما يكفي؟ هل سيكون نصيبنا قادرًا بما يكفي؟ هل يمكننا أن نصدِّق أن الله قد صنع النساء للخير ووضعهن في المملكة لوقت مثل هذا؟

هل سنظل نشك في قيمة عطايانا لأننا نراها بعين الثقافة المُشوَّشة من جهة النوع؟ إننا كبنات حواء نمتلك القدرة على تغيير عالمنا بعطايا المحبة والحياة.

كان السائل الذي في شراب لوسي مُستَخلَصًا من زهرة تنمو في منحدرات جبال الشمس. هذا الوصف ذكَّرني على الفور بالصورة الشعرية للشفاء الواردة في سفر ملاخي:

«تُشرِق شمسُ البر والشفاء في أجنِحَتها». (ملاخي ٤ : ٢)

كانت تمسك بين يديها سائلًا مولودًا من النور والنار ومعصورًا من الجمال الحي. ولابد أن أتساءل، هل كان هذا السائل داكنًا وقرمزيًا؟ إنه مقتدر للغاية لدرجة أن نقطة واحدة فقط تجلب شفاءً عظيمًا.

بالإضافة إلى هذا، فقد أُعطِيَت لوسي أيضًا خنجرًا. وأنا على يقين أنها شعرت بأن النصل قصير جدًا في مداه. لقد كانت مستعدة أن تغوص في المعركة وتموت إذا لزم الأمر، ولكن كل ما أُعطي لها هو عطية لحماية النفس. أتخيل أنها أرادت شيئًا أعظم وأكثر اكتساحًا من هذا المعدن الضعيف القصير جدًا الذي لا يزيد حجمه عن كف يدها. إنه خفيف الوزن ويسهل إخفاؤه، لكنها لا تريده مخفيًا. إنها تريد أن يعرف الجميع أنها تحارب لأجل ملكها. لكن هذه العطية توضح قضيتنا: عندما يقترب العدو، تضرب المرأة. أؤمن أنه عندما يقترب كثيرًا عندها فقط يدرك أننا مسلحات بمصادر غير متوقَّعة.

السلاح غير المتوقَّع

سمعت عن نساء يوصَفن بأنهن «سلاح الله السري». وأنا لست متأكدة إذا كنا سرًا أم أننا غير متوقَّعات. لقد نسجت الأكذوبة خيوطها جيدًا، ورقصنا نحن على طرف خيطها لوقت طويل جدًا، ولا يوجد سبب لتخيل أن هناك شيئًا سوف يتغير بعد كل هذه السنوات من التشويش. لكن حتى الآن فإن عدو كل رجل وامرأة وطفل يضيق الخيوط. واثق من أن خطته سوف تفلح. لكن ماذا سيحدث عندما يصحين من تعرضن للخداع ويكتشفن حقيقة أنهن كن يصارعن حليفًا ويصغين إلى عدو؟ تذكري أنه في معركتنا:

«مصارعتنا ليست مع دم ولحم». (أفسس ٦ : ١٢)

سوف تتنبه العروس إلى هذه الحقيقة. سوف تقوم الكنيسة وتنفض خطأها من عليها. سوف يرن صوت الإنذار، وسيتم إرسال النساء والأطفال مُجهَّزين، وسوف يجلب شراب الله الشفاء لكل شعبه. عندئذ سوف يشعر العدو بالخنجر وبالسيف أيضًا؛ لأنه قد اقترب أكثر من اللازم. كل جزء من الجسد سوف ينال قيمته نتيجة لإسهامه الفريد، وكل مفصل سوف يعطي قوته. لم تدرك لوسي بصورة كاملة قيمة عطاياها إلا بعد أن انتهت المعركة. ونحن، مثل هذه الابنة، مُقدَّر لنا أن ندرك قيمتنا عندما يكون الاحتياج إلى موهبتنا شديدًا.

قال أصلان: «أسرعي يا لوسي».
وعندها، ولأول مرة تقريبًا، تذكرت لوسي الشراب الثمين الذي أُعطِيَ لها كهدية الكريسماس. ارتعشت يداها كثيرًا لدرجة أنها لم تكن تقوى على فتح السدادة، لكنها استطاعت أخيرًا أن تفعل هذا وسكبت قطرات قليلة في فم أخيها.
وبينما كانت لاتزال تنظر بلهفة إلى وجه إدموند الشاحب متسائلة إن كان الشراب سوف يأتي بنتيجة، قال لها أصلان: «يوجد جرحى آخرون».
فقالت لوسي بامتعاض: «أجل أعلم. انتظر دقيقة».
فقال أصلان بصوت حزين: «يا ابنة حواء، الآخرون أيضًا على شفا الموت. هل لابد أن يموت المزيد لأجل إدموند؟»[٣]

عندما نتشكك في قيمة أو قوة عطايانا -مثل لوسي- سوف ننسى ما لدينا. سوف نفشل في أن نخدم الآخرين بحرية عندما نتشبث باحتياجاتنا الفردية ونأمل أن يكون كل شيء على ما يرام بالنسبة لنا. عندما نتشكك في قيمتنا كنساء وفي الكنز الذي ائتُمنَّا عليه، سوف لا نرفع عيوننا إلى الآخرين.

النظر إلى ما وراء عائلاتنا

لم ترجع لوسي لصوابها حتى تم تذكيرها بمن هي؛ ففي أرض المعركة المليئة بالجرحى، كانت أكثر من أخت إدموند. كانت ابنة حواء وملكة نبيلة تخدم شعبها بعطيتها. سوف لا نسترد حقًا قوتنا أو هدفنا إذا كانت نظرتنا محدودة. فالشفاء الذي بين أيدينا موضوع أولًا لعائلاتنا، ثم يمتد إلى ما ورائنا ليسعف حياة الآخرين أيضًا. لا أريدكِ أن تظني أنني أقول إننا يجب ألا

نكون وكيلات أمينات على عائلاتنا أو زيجاتنا. أنا فقط أذكِّرك بأنها لا يمكن أن تكون هي كل ما نراه. فالعائلات السليمة والأفراد الأصحاء يمدون أيديهم إلى الآخرين. يمكننا أن نصبح عالقات في ديناميكيات عائلاتنا لدرجة أن ينكمش عالمنا ويتقلص على نفسه. كانت المرأة الفاضلة في (أمثال ٣١) تفهم هذا جيدًا:

«تعطي أكلًا لأهل بيتها ... تَبسِط كفَّيها للفقير، وتَمدُّ يديها إلى المِسكين. لا تخشى على بيتها من الثلج، لأن كل أهل بيتها لابسون حُللًا».
(أمثال ٣١: ١٥، ٢٠-٢١)

إنها تمد يديها دون أن تخاف من أن يتسبب هذا في أن يفقد أهل بيتها ما لديهم. فسوف يظل الدفء في بيتها. وهي تثق أن الله يعولها. عندما يوجد مجروحون، تعالجهم. هي الصلة التي يستخدمها الله لانسكاب شرابه الشافي. فالدفء والشفاء والرجاء هم الخصوم القوية لليأس والدمار.

وقتٌ لإطلاق النار، ووقتٌ لوضع الإستراتيجية

أريد أن أتحدث مرة أخرى عن ديناميكية السهام هذه. إننا نحارب بطريقة معينة عندما يكون العدو بعيدًا وبطريقة مختلفة عندما يكون قريبًا ويواجهنا شخصيًا. لدى النساء حدس عالٍ وعادة ما نشعر بالخطر عندما يكون مجرد ظل يقترب من بعيد. وفي هذا الوقت يكون أمامنا اختيار. يمكننا أن نتصرف برد فعل الذعر، أو يمكننا أن نتصرف بحكمة. إذا كنا حكيمات سوف ننفخ في البوق ونبدأ في رمي سهام الصلاة نحو السماء وندعها تسقط على خصمنا بينما لا يزال بعيدًا.

للأسف، لا يكون هذا عادةً هو اتجاهنا الأول، وبدلًا من التصويب، نتحدث عن المشكلة مرارًا مع آخرين ونسمح لها بأن تتمدد وتتكاثر في أذهاننا. عندها نفقد رؤيتنا ونُسقِط ما نمتلكه من بين أيدينا. وهذا يسمح للخوف بأن يجذبنا إلى مقابلةٍ أقرب مع العدو قبل أن نكون قد قمنا بدورنا. في المعارك القديمة، كانوا يستدعون رماة السهام دائمًا قبل لقاء الجيوش؛ فقد كانوا في

المشـــهد قبل أن تغوص المعركة في القتال وجهًا لوجه بوقت طويل. لماذا؟ لأن ما يعمل على المدى الطويل لا يعمل بالضرورة عندما تلتحم الجيوش. إذا كانت الســـماء تمطر سهامًا، فسيكون هناك قدر كبير من النيران الصديقة. ولهـــذا، فإنه في المعركة، يوجد وقت لإطلاق طلقـــات مبعثرة من المدفعية، ووقت للتحديد وإظهار قدر أكبر من التخطيط.

نرى صورة عن كيفية القتال في حياة الملكة أستير، التي توجد قصتها في ســـفر أستير في الكتاب المقدس. كانت أستير ســـلاحًا له دقة إلهية ومخبأ بعيدًا في قصر. وفيما يلي خلاصة القصة.

كان عدو شـــعب الله متغطرسًـــا، وكانت رغبته في الانتقام لا تشـــبع. رجل يهودي واحد لم يرضَ أن يســـجد لهامان، فلـــم يمكن إرضاء كبريائه المجروح إلا بإبادة اليهود كلهم. هذا جعله يتخطى حدود أرض أستير ويتكل أكثر مما يجب على قوة يديه. فاقترب من الملك وصمم مرســـومًا يهدد حياة شـــعبها. وبالرغم من أن أســـتير كانت ملكة، إلا أنها أدركت شيئًا نسيه معظم الناس: لا يوجد منا من هو معزول عن الآخرين. إذا تخيلنا أنفســـنا في موضع لا يمكن المســـاس بـــه أو ظننا أن قلعتنا لا يمكن اختراقها، فســـرعان ما ســـنرى هذه الأمور تســـقط. فما نرضى به للآخرين سرعان ما ســـيباغتنا جميعًا. إن القوة معطاة لحماية الضعفاء. عندما علمت أستير بالمواجهة المُنتَظَرة، أطلقت صوت الإنذار وأطلقت ســـهامها. فدعـــت الله بصوم وصلاة قبل حتى أن تقابل العدو وجهًا لوجه.

«ولا تأكلوا ولا تشـربوا ثلاثة أيام ليلًا ونهارًا. وأنا أيضًـا وجَوَارِيَّ نصـوم كذلك. وهكذا أدخل إلى الملك خلاف السُنَّة. فإذا هَلكتُ، هَلكتُ». (أستير ٤: ١٦)

أصبحت أســـتير شخصية مفتاحية ونموذجًا للنساء من كل الأعمار اليوم. وتحكـــى قصتها مِـــرارًا وتكرارًا فـــي الكتب والأفلام. هل يمكـــن أن يخبئ الله مـــن له مرة أخرى ســـرًا في مواضع النفوذ والقوة؟ هـــل يخطط أين يضع بناته الأميـــرات الماهرات في الطاعة، واللواتي تفهمن مخافة الرب؟ هل لازال هناك من سوف لا تحجمن أمام تهديدات العدو أو ترتعدن في مواجهة الموت؟

موقفكِ مع الملك

كما كان الحال مع أستير، فإن لكِ نفوذًا خاصًا عند ملككِ. وهذا شيء لا يمكن الاستخفاف به أبدًا. بل إنه عطية مؤتمنة. الرضا والنفوذ ليسا منا على الإطلاق، بل قد أُعيرا لنا فقط في هذه الحياة. إذا استخدمنا هذه الأدوات بحكمة، فلن تُؤمِّن مستقبلنا فقط، بل أيضًا مستقبل من حولنا.

أدركت أستير أن جمالها وموقعها الملكي كانا لأجل غرضٍ أعظم من مجرد تحقيق الذات. وفي لحظة من الزمن، اكتملت الصورة وعرفت أن العدو كان على الأبواب. لقد استمع الملك إلى اقتراح هامان على أنه فرصة لتعزيز مملكته. لكنها كانت تعرف الأمر على حقيقته - إنه خطة لهلاك شعبها. وحتى في ذلك الوقت، تظاهر العدو بأنه يقول شيئًا بينما كان في الواقع يهدد بشيء آخر.

«لأنكِ إن سكتِّ سكوتًا في هذا الوقت يكون الفَرَج والنجاة لليهود من مكان آخر، وأما أنتِ وبيت أبيكِ فتَبِيدون. ومن يعلم إن كنتِ لوقتٍ مثل هذا وصلتِ إلى الملك؟»
(أستير ٤: ١٤)

إننا في مواقعنا فعليًا لوقت مثل هذا. ولم يعد بمقدورنا أن نظل صامتات بينما نرى التهديدات والظلم، تمامًا مثل أستير. كانت موهبة الحكمة لدى أستير، ووليمة الشرف وسيلة لتهذيب قرار رديء اتخذه الملك وتحويله إلى موقف صالح لشعب الله. وبدلًا من أن يختبروا الهلاك، تبدل الحال وأهلكوا من كانوا يريدون قتلهم. وحلت المكافأة السماوية، وانطرح الأقوياء والمتكبرون، بينما ارتفع الودعاء والحكماء. استخدم الله امرأةً لكي توقف الإبادة الجماعية لشعبه. وكان دورها المحكم أكثر قوة من سلطة الملك، إذ لم يكن باستطاعته أن يسحب المرسوم، لكن أستير وجدت طريقة لتغييره.

فماذا عن الآن؟ هل اقترب العدو وأنتِ لا تضربين لأنكِ تخافين من ألا يكون لديكِ ما يلزم؟

هل تحاربين لأجل ما يهم حقًا؟

هل تشكين في أن الله يمكن أن يعيِّن حجر رحى ليقتل به ملكًا؟

هل نسيتِ أن لكِ الوعد بالمعونة، مهما كانت الفوضى الحادثة أو أينما وجدتِ نفسكِ؟

هل صارعتِ مثل لوسي مع أسئلة عن لماذا لم يتم ضمك بنفس الصورة التي للرجال؟

هل تشكين الآن في قيمة ما تحملينه بين يديكِ؟

لا تفعلي هذا! يا ابنة، فلديكِ خطة، ولكِ قيمة. أنتِ على الجانب الآخر من المعركة. أنتِ البصيرة التي تتعرف على أسلوب العدو. أنتِ الحدس الذي يسمع ما يُقال حقًا في تهديداته. أنتِ عامل الشفاء. أنتِ الشخص غير المشكوك فيه الذي سوف يكون على العدو أن يخاف منه. أنتِ الجزء الناقص الذي نحتاج إليه كلنا.

دعونا نصلي:

أبي السماوي،

آتي إليك في اسم يسوع وبقوة روحك القدوس. اكشف لي عن أهمية موقعي. عندما أنظر إلى نفسي، لا أراها. لكن عندما أرفع عينيَّ وأنظر إلى الاحتياج الشديد والدمار المحيط بي، أتوق إلى أن يكون لي دوري. أريد أن أبرهن على محبتي بكل طريقة ممكنة. لن أحتقر مشروب الشفاء. سوف أتشفع لأجل الحياة في مواجهة الموت. أريد أن أسلك في الحكمة والبصيرة والحدس والفهم. أريد أن أدخل إلى مغامرة الاختراق معك لكي نوقف هجمات العدو.

سوف أضع سهامي على القوس. سوف أؤهل أولادي وأرسل صلواتي نحو السماء. أنا الحل المقدَّم منك للكثير من المشكلات. فافتح عينيَّ لأرى هذا بوضوح. آمين

الفصل السابع

المُحارَبة بحكمة

بعد أن أصبحت مسيحية مؤمنة بوقت قصير، اختبرت هذا الإعلان الساطع: أنني كنت جاهلة! كل شيء كنت أفكر فيه وأسباب أفكاري كانت كلها مبنية على افتراضات بشرية، بل وأيضًا أكاذيب. كانت الدوافع وراء غالبية قراراتي وأفعالي مبنية على معلومات مغلوطة.

وحتى اليوم، فالأمر لا يحتاج إلى عالِم صواريخ لكي يدرك أن هناك مجاعة مروعة للحكمة في الأرض. وقد لا يكون هناك جيل قبلنا قد امتلأ بالجهال المتعلمين مثلنا. هناك عباقرة مفكرون يفتقرون إلى المعتقدات الأساسية للبديهة أو التهذيب. لم يحدث من قبل أن كان الحصول على المعرفة بهذه السهولة، والأبحاث والمعلومات متاحة بهذه السرعة. ولكن، بالرغم من كل هذا الجمع والحصاد الذي لدينا، لازالت هناك مجاعة للبديهة والعقل.

إننا نمتص معلومات لا حصر لها على مستويات متعددة، ولكننا كثيرًا جدًا ما ينقصنا التغيير الملموس؛ فالعائلات مُقسَّمة، والزيجات مُمزَّقة، ونظامنا القضائي أحيانًا ما يكون جاهلًا، وقادتنا غالبا ما يكونون فاسدين، ومُعلِّمونا مُتعطِّلون عن القيام بالتعليم. الشر يُدعَى خيرًا والخير يُدعَى شرًا. تُبث الأكاذيب على أنها حقائق، ويسقط القادة، ويخاف الأطفال، ويُعتَدى على النساء. فقد الخدام الإيمان، بل والاستقامة في أحيانٍ كثيرة جدًا. وأصبح ممثلو الأفلام -الذين يتظاهرون فقط- هم أبطالنا وقدوتنا. إن ثقافتنا -في أفضل أحوالها- سقيمة وجريحة. لم تعد الأسرة سليمة، وأصبحت بيئتنا العالمية تترنح على الميزان.

وكما لو أنه ليس لدينا ما يكفي لإثبات أن قراراتنا الحالية خاطئة، فإننا نستمر نبحث ونجمع المزيد من البيانات. إننا نبحث عن إجابات أُعطِيَت لنا بالفعل من قبل.

«لا رفادة لكِ. قد سَمِعَت الأممُ بخزيكِ، وقد ملأ الأرض عويلكِ، لأن بَطَلًا يصدم بَطَلًا فيسقطان كلاهما معًا». (إرميا ٤٦: ١١-١٢)

هناك شيء مُفجِع بدرجةٍ كبيرة في هذه الكلمات التي قالها إرميا: فهذه الكلمات القديمة يمكنها أن تصف زماننا الحالي ... أدوية كثيرة ولا يوجد شفاء، ومقابلة الأبطال في الحرب ولا يوجد منتصر واضح. هل نجول في خزي لأننا ضللنا طريقنا، أم أننا نختار الجهل بإرادتنا؟ عندما نتعمد أن نترك سبل النور لكي نستكشف كهوف الظلام، كثيرًا ما نكون أذكى من أن نجد طريق العودة.

إعادة التمسك بالحكمة

لقد كبرتُ في السن، وأدركتُ أن الحكمة ليست في الحقيقة نتيجة التعليم. هناك أشخاص أذكياء لا يمكنهم أن يعيشوا جيدًا ويُوظِّفوا ما يعرفونه. هؤلاء الناس لديهم المعرفة، لكن ليس الحكمة. الحكمة لها القدرة على تغيير من يفهمونها. يمكن تعريف الحكمة على أنها التمسك العميق بالحق، عندما يختلط الحق بكياننا ويبدأ في أن يقود أفعالنا ويوجهها.

يمكن تعريف الحكمة على أنها التمسك العميق بالحق.

توجد إشارات كتابية متكررة إلى نساء حكيمات، كما أن الحكمة تُصوَّر في سفر الأمثال على أنها امرأة:

«الحكمة تنادي في الخارج. في الشوارع تعطي صوتها». (أمثال ١: ٢٠)

وأيضًا:

«قُل للحكمة: ‹أنتِ أختي›». (أمثال ٧: ٤)

للأسف، هناك امرأة أخرى تحارب للحصول على انتباهنا أيضًا. العالم يسميها أشياء كثيرة -المُغوِية، الماكرة، المُسيطِرة- لكن الكتاب المقدس يسميها الأجنبية. إنها صورة هذا العالم، وتريدكِ أن تتفقي مع مشورتها. سوف تجدين أفكارها على الكثير من أغلفة المجلات إذ تَعِدكِ بالقوة إذا تمسكتِ بطرقها، لكنها كذابة.

كيف يمكننا كبنات أن نسترد اسمنا الذي هو الحكمة؟ في الواقع، قد يكون فهم الحكمة أبسط مما تظنينه في البداية. وهي متاحة للجميع. أؤمن أن هناك اختلافًا واحدًا رئيسيًا بين المرأة الحكيمة والمرأة الجاهلة. هل تعرفين ما هو؟

معرفة متى تتركين ما تتمسكين به ... ومتى تثبُتين في ما تتمسكين به.

هذا هو الأمر. الحكمة توجد دائمًا في مفهوم المبادلة هذا. إنها تقريبًا المُرادِف للتنفس في الروح. فالنساء الحكيمات يعرفن متى يتمسكن بشيء ما ومتى يتركنه، بينما النساء الجاهلات يتمسكن بما سوف يقتلهن ويتركن ما سوف يحييهن. الحكيمات يتمسكن بوعود الله ويتركن الأمور التي تُسمِّم الحياة أو تُحبِطها. وهن يتركن المرارة وعدم الغفران والغضب والألم والخوف والغيرة والبغضة والاضطراب والماضي.

الجاهلات لا يفهمن هذا؛ فهن يتمسكن بهذه الأشياء، ويحاولن أن يجعلن شخصًا ما يسدِّد الديون التي يشعرن أنه مدين بها. وبينما يتشبثن بالماضي، يتركن الأشياء التي يجب أن يتمسكن بها: مواعيد الله وأمانته وشخصيته ومحبته وقوته الغافرة وخططه لمستقبلهن.

الحكيمات يتمسكن بوعود الله، ويتركن إحباطات الحياة. الجاهلات يتمسكن بالإحباطات إذ يحاربن لإثبات أنهن على صواب. الحكيمات يفهمن أنكِ لن تفوزي أبدًا وأنتِ تتسمين بالمرارة والإساءة. الحكيمات يفهمن أنه يمكنكِ أن تُثبِتي أنكِ على صواب، وتكونين مخطئة بالتمام. ففي النهاية، هل تريدين أن تحاربي، أم تريدين أن تفوزي؟ الحكيمات يعرفن كيف يفزن دون معركة.

مؤخرًا، وجدت نفسي وسط خلافات في علاقات اختبرت فيها -أكثر من مرة- الحزن والإحباط. وعندما رآني جون في هذا الصراع، حاول أن يساعدني على أن أستعيد نظرتي الصحيحة للأمور قائلًا: «يا ليزا، ما الذي يعيدكِ باستمرار إلى هذا؟»

في البداية، لم أكن أعلم بصدق؛ فقد غفرت وسامحت وباركت وفكرت وواجهت وصليت وصمت. قدمت العطايا ... لكن كان هناك شيء واحد لم أستطع التصالح معه. فقد كنت أبغض مسألة أنني لم أستطع أن أصلح الأمر. لم تكن لي السيطرة على النتيجة. وأيًا كان المدخل الذي كنت أتبعه، فقد كانت النتيجة دائمًا واحدة.

«إن كان ممكنًا فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس». (رومية ١٢ : ١٨)

اذهبي إلى أبعد ما تسمح لكِ به قوتكِ، وإذا لم يتغير شيء، فليس لديكِ خيار آخر سوى أن تتخلي عن الأمر. باركي ثم تحركي. استبدلي الإحباط بالإطلاق. اتركي ما في يديكِ حتى يمكن لله أن يُطلِق ما في يديه هو.

نساء الكتاب المقدس اللواتي قمن بهذه المُبادَلة

يشتمل الكتاب المقدس على قصص عدد من النساء اللواتي تُعتَبر حياتهن مثالًا لهذه المُبادَلة: فبقوة الحكمة، حفظن الحياة، وأوقفن الخراب، وضمنَّ الميراث.

حواء

أول واحدة في القائمة، هي صديقتنا حواء؛ فبعد الفشل العظيم، تخلت عن الموت والإحباط وتمسكت بموعد الحياة الذي يفوق اختياراتها. فاختارت أن تتطلع إلى ما لن تراه كاملًا، ودعت ابنها الثالث «شيث»، أو «نسل»، مؤكِّدةً بذلك وعد الله. لقد استبدلت الموت برجاء الفداء.

سارة

بعد ذلك، أود أن ألقي الضوء على سارة. اختارت سارة أن تترك وراءها الراحة

وتسافر نحو المجهول مع زوجها إبراهيم. وكانا يتطلعان معًا إلى شيء أكبر. عانت سارة لسنوات كثيرة من خيبة الأمل الناتجة عن العُقم. كانت ترجو أن تقدِّم لزوجها ميراثًا من خلال ابن. لكنها في الواقع عقَّدت الأمور بأن أعطت لإبراهيم جاريتها هاجر ليتزوجها، وكان إسماعيل هو النتيجة. كم من النساء يمكنهن أن يذهبن إلى هذا الحد لكي يرين تتميم مواعيد الله؟ أنا بالتأكيد لن أقدم لامرأة أخرى مكاني في الفراش! بالطبع لم يكن هذا هو قصد الله بالنسبة لإبراهيم وسارة بأي حال من الأحوال. فسيتمم الله وعده لهما كليهما من خلال ابنهما معًا، الذي هو إسحاق. إسحاق يعني «الضحك». لقد ضحكت سارة على وعد الله بطفل من إبراهيم. لكن لم يمر وقت طويل حتى استبدلت ضحك عدم الإيمان بضحك الفرح.

كلنا نثني على إبراهيم على أنه أبو الإيمان؛ لأنه قبل الوعد. لكن سارة هي التي حملت هذا الطفل وولدته في الوقت المُعيَّن. لقد استبدلت أمنا سارة الخوف بالإيمان، ويمكننا أن نكون بنات الموعد لها إذا تجرأنا على أن نفعل مثلها.

«التي صرتنَّ أولادها، صانعات خيرًا، وغير خائفات خوفًا البتة». (١بطرس٣: ٦)

ثامار

في الكتاب المقدس، توجد امرأة ذات عزم، ومخزية -إلى حد ما- اسمها ثامار. ترملت مرتين، ولم ترضَ بأن ينكر عليها حقها في أن تُعطى ابنًا. قتل الله زوجها الأول لأنه كان شريرًا، والثاني لأنه لم يرضَ أن يعطيها ابنًا. (لا تقولي لي إن الله لا يحمي بناته!) وبعد زوجين ميتين، كان الله لازال مصممًا على أن يُخرِج من حياة هذه المرأة نسلًا. وعدها حموها، يهوذا، بابنه الثالث، وصرفها لتنتظر إلى أن يصل للسن المناسب. وقد انتظرت. عاشت كأرملة في بيت أبيها، وعندما حان الوقت لتتزوج من الابن الثالث، لم يَدعُها أحد. ثم ماتت زوجة يهوذا وسمعت ثامار بهذا. وفي شجاعةٍ، ارتدت ثامار ثياب زانية وانتظرت، وهي مُقنَّعة، بجانب الطريق. لم يتعرف عليها يهوذا، وأراد أن يضطجع معها، لكنه لم يكن معه نقود يدفعها لها. فطلبت عصاه وختمه وعصابته إلى أن يرسل لها جدي المعزى الذي وعدها به. فاضطجع يهوذا معها، وحبلت.

بعد ذلك، خلعت ثياب الزانية مرة أخرى ولبست ثياب ترملها. وعندما أخبروا يهوذا أنها حُبلى من الزنا، طلب أن تُقتَل حرقًا عقابًا لها ... هذا حتى أرسلت إليه عصاه وختمه وعصابته.

«فتحققها يهوذا وقال: ‹هي أبرُّ مني، لأني لم أعطها لشيلة ابني›». (تكوين٣٨: ٢٦)

بعدها تغير كل شيء، أخذها يهوذا زوجة له لكنه لم يلمسها ثانية (أنا شخصيًا أعتقد أنه كان خائفًا من أن يفعل هذا). وَلَدت ثامار ابنين توأمًا (عوضًا عن الابنين اللذين لم يُعطَيا لها). وتُذكر هي وابنها فارص في سلسلة نسب المسيح. لقد استبدلت ثامار الترمُّل والخيانة بالأمومة والكرامة.

راحاب

مثَّلت ثامار دور الزانية، أما راحاب فقد كانت بالفعل زانية. هذه المرأة خبأت الجاسوسين الإسرائيليين وتسترت على هروبهما من أريحا. وفي المقابل، جعلتهما يقطعان لها عهدًا بأن يستحيياها هي وعائلتها كلها. استبدلت راحاب خوفها من الدينونة والموت بخوف الرب. ارتجت مدينة بأكملها من الرعب، لكن امرأة واحدة فقط، وكانت زانية، فهمت ما كان يجري حقًا.

«سمعنا فذابت قلوبنا ولم تبقَ بعد روح في إنسان بسببكم، لأن الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت». (يشوع ٢: ١١)

كان الجميع في أريحا يعلمون أن هذا حقيقي. لكن راحاب وحدها هي التي اقتنعت بهذه الحقيقة وفعلت شيئًا تجاهها. لقد رفضت ملكها الأرضي وأنقذت جواسيس شعب الله المختار. وكانت امرأة أخرى وجدت نفسها ونسلها (بوعز) في سلسلة نسب المسيح. بل إن راحاب أيضًا كانت من ضمن أبطال الإيمان.

«بالإيمان راحاب الزانية لم تهلك مع العُصَاة، إذ قبلت الجاسوسين بسلامٍ». (عبرانيين ١١: ٣١)

دبورة

لقد خصصنا فصلًا بأكمله لهذه المرأة المذهلة التي استبدلت الجلوس للقضاء بالوقوف في الثغرة إلى أن كان هناك المزيد (انظري الفصل ١٤).

راعوث ونعمي

هاتان المرأتان استبدلتا الموت وخيبة الأمل بالرجاء والوعد. استبدلت راعوث حب الذات برعاية حماتها، ووجدت حبيب حياتها. أما نعمي فقد سكبت قلب الأم واستبدلت الحزن والخسارة بالتبني والنسل.

حنَّة

بلا شك، يسأل الله كلًا منا: ماذا سنسمي المواضع الميتة والعقيمة في حياتنا. هل سنظل نسميها بائسة ويائسة؟ أم سنتكلم برجاء وموعد الحياة؟ أكثر من مرة يحدث أنه عندما تجد نساء عهد الله أنفسهن عاقرات (سارة، رفقة، راحيل، حنة، أليصابات، وهن قليلات من بين الكثيرات)، كان هذا يجعلهن يثابرن ويصرخن لأجل شيء أكبر. كنَّ يفهمن أن عقمهن لم يكن عقابًا أو رفضًا أو إنكارًا. فالحقيقة هي أنه كثيرًا ما يولِّد الله الوعد من خلال اشتياقاتنا.

يلد الله الوعد

«وأما حَنَّة فأعطاها نصيب اثنين، لأنه كان يحب حنَّة. ولكن الرب كان قد أغلق رحمها. وكانت ضرَّتها تغيظها أيضًا غيظًا لأجل المُراغَمة، لأن الرب أغلق رحمها». (١صموئيل ١: ٥-٦)

الله وحده يُخرِج الحياة من المواضع العقيمة. وكانت حنة عاقرًا كامرأة. وفهمت أنها كانت بحاجة إلى شيء أكبر مما يمكن لزوجها أن يقدمه لها. كانت تتمتع بالفعل بمحبته واحترامه. كان يكرم حنة بأن يعطيها، وهي زوجته العاقر، نصيبًا مضاعفًا في كل عيد. لكن لم يكن هذا كافيًا. كانت تتوق إلى شيء أعمق وأقوى. كانت ضرتها تغيظها لكي تحبطها. ولكن بدلًا من هذا، قادت هذه السخرية حنة إلى الهيكل وإلى صلاة عميقة.

رآها عالي -الكاهن السمين الفاسد- وظن خطأً أنها سكرى. لكن هذه المرأة

الحكيمة عرفت كيف تجتذب البركة من شخص أساء الحكم عليها. فردت على احتقاره بإكرام. ونالت استجابتها ورحلت من محضر عالي بابتسامة على وجهها. في المرة التالية التي رآها فيها خصومها، كان وجهها مختلفًا تمامًا.

«اتسع فمي (ابتسمت) على أعدائي، لأني قد ابتهجت بخلاصِكَ».
(١صموئيل ٢ : ١)

استبدلت حنة الاحتقار بالكرامة، والإساءة بالنصرة. وقد كرست ابنها للرب حتى قبل أن تحبل به. لقد تطورت صلاتها من «أعطني ابنًا لأجل زوجي» إلى «أعطني ابنًا لأنني مُعذَّبة من ضرتي» وفي النهاية إلى «يا رب، أعطني ابنًا، وسوف أعيده إليك». وكبر صموئيل أمام الرب، وأعطاها الله أولادًا أكثر ليملأوا بيتها.

«ولما افتقد الرب حنَّة حبلت وولدت ثلاثة بنين وبنتين. وكبر الصبي صموئيل عند الرب». (١صموئيل ٢ : ٢١)

هذه المرأة التي كانت عاقرًا، ولدت نسلًا من الأنبياء.

أبيجايل

ثم هناك أبيجايل. ما الذي يمكن أن تفعله المرأة عندما يتضح أن العدو هو زوجها؟ هذه قصة طويلة لأن هناك الكثير لنكتشفه:

كان هناك رجل يدعى نابال، وزوجته تدعى أبيجايل. كانت حكيمة وجميلة، لكنه هو كان فظًا وشريرًا. كان داود ورجاله مختبئين في البرية بالقرب من مسكن نابال. وكانوا يحرسون غنمه ومن له، من خلال العمل كسور حماية حول ممتلكاته. أرسل داود رجالًا قليلين ليسألوا إن كان يمكنهم أن يشاركوا في ولائم جز الغنم. لكن بدلًا من أن يقبلهم نابال، سبهم. ذهب أحد غلمان نابال وأخبر أبيجايل كيف تصرف زوجها بحماقة وعرض عليها هذه المشكلة:

«والآن اعلمي وانظري ماذا تعملين، لأن الشر قد أُعِدَّ على سيدنا وعلى بيته».
(١صموئيل ٢٥ : ١٧)

انقذينا يا أبيجايل! هناك كارثة ترفرف فوقنا، وسيدنا غبي جدًا لا يعرفها. كم أحب الطريقة التي تجاوبت بها هذه المرأة. لم تضيع وقتًا، بل جمعت وليمة بسرعة لتأخذها إلى داود ورجاله. علمت أن هذا كان هو رجاؤها الوحيد لتخليص بيتها من مذبحة أكيدة. قد تتساءلين: «كيف تجرأت على فعل هذا دون حتى أن تستشير زوجها؟» كانت أبيجايل تعلم ما كان في متناول يدها وما كان في سلطتها أن تقدمه. فبصفتها زوجته، كان لها السلطان أن تنفق نصيبها حتى إذا كان زوجها يرفض أن يشارك بنصيبه. فأنفقت بسخاء لكي تنقذ حياة الآخرين.

«فبادرت أبيجايل وأخذت مئتي رغيف خبز، وزقَّي خمر، وخمسة خرفان مهيَّأةً، وخمس كيلات من الفريك، ومئتي عنقود من الزبيب، ومئتي قرص من التين، ووضعتها على الحمير. وقالت لغلمانها: ‹اعبروا قدامي. هأنذا جائية وراءكم›. ولم تخبر رجلها نابال». (١صموئيل ٢٥ : ١٨-١٩)

عندما رأت أبيجايل داود، ركضت نحوه وسجدت عند قدميه. تخيلي هذه الصورة: محارب غاضب، محاط برجاله، يأتي لكي يسفك دماء كل ذكر في المسكن. ربما يكون الشيء الوحيد القادر على تشتيته هو امرأة جميلة تركض نحوه وتقع عند قدميه.

«عليَّ أنا يا سيدي هذا الذنب، ودع أمتك تتكلم في أذنيك واسمع كلام أمتك».
(١صموئيل ٢٥ : ٢٤)

كم هي مذهلة هذه المرأة ... لقد أوقفت جمعًا غاضبًا وتحملت اللوم. وبمجرد أن علمت أنها حصلت على انتباه داود الكامل، استخدمت قوة الكلام اللين. لاحظي طريقتها: «دع أمتك تتكلم في أذنيك». ما الذي كانت تفعله؟ لقد تجنبت خطية داود بهمسة. وأشارت عليه بصوت منخفض لا يمكن لرجاله أن يسمعوه. أخبرته ألا يفكر حتى

في نابال، الذي كان أحمق. وضعته في مكانة متدنية جدًا لدرجة أنه لا يستحق حتى اهتمام داود، ثم رفعت عيني داود إلى وعود الله من خلال مخاطبة حس التقوى لديه. وطلبت من داود ألاَّ ينتقم لنفسه ثم ذكَّرته بالسبب:

«لأن الرب يصنع لسيدي بيتًا أمينًا، لأن سيدي يحارب حروب الرب، ولم يوجد فيك شر كل أيامك». (١صموئيل ٢٥: ٢٨)

يا داود، لا تدع الشر يوجد فيك الآن وأنت على وشك أن تحظى بكل شيء. لابد أن هذا كان مصدر تشجيع هائل لداود. فقد جال في البرية وليس له سوى وعود الله لسنوات بينما كان لنابال والملك شاول الكثير. كم أحب كلماتها، ففيها نجد وعدًا لنا جميعًا. إذا حاربنا معارك الله، فسوف يرفع بيوتنا ويوسِّع نسلنا. لم يبقَ بيت نابال ولا بيت شاول. فقد مات نابال دون وريث، ومات بيت شاول بالسيف وكانت ابنته عاقرًا.

يجب ألاَّ نحارب لأنفسنا. يجب أن نحارب لأجل الله ونيابةً عن الآخرين. حفظ داود هذا المبدأ أمام عينيه لبقية حياته. فكان دائمًا يرفض أن يستخدم نفوذه وقوته ليعاقب من يسبُّونه. واستخدم موقع قوته فقط للتعامل مع من كانوا يسبُّون الله.

«ويكون عندما يصنع الرب لسيدي حسب كل ما تكلم به من الخير من أجلك، ويقيمك رئيسًا على إسرائيل، أنه لا تكون لك هذه مَصدَمةً ومَعثَرةَ قلبٍ لسيدي، أنك قد سفكت دمًا عفوًا، أو أن سيدي قد انتقم لنفسه. وإذا أحسن الرب إلى سيدي فاذكر أمتك». (١صموئيل ٢٥: ٣٠-٣١)

ذكَّرت أبيجايل داود بكلمة الله، ثم طلبت منه أن يذكرها عندما يجد نفسه في الموقع الموعود به. ما الذي يجعلها تطلب مثل هذه الطلبة؟ كانت تدرك أنكِ عندما تضعين الآخرين في حالة نوال الوعد، لا يسعكِ سوى أن تستمتعي بفوائده لنفسكِ.

«فقال داود لأبيجايل: ‹مبارَكٌ الرب إله إسرائيل الذي أرسلكِ هذا اليوم لاستقبالي، ومبارَكٌ عقلكِ، ومباركةٌ أنتِ، لأنكِ مَنَعتِني اليوم من إتيان الدماء وانتقام يدي لنفسي. ولكن حيٌّ هو الرب إله إسرائيل الذي منعني عن أذيتكِ، إنكِ لو لم تبادري وتأتي لاستقبالي، لما أُبقي لنابال إلى ضوء الصباح بائلٌ بحائطٍ». (١صموئيل ٢٥: ٣٢-٣٤)

عادت أبيجايل إلى بيتها ووجدت زوجها مخمورًا. وبحكمة، انتظرت حتى الصباح لتخبره بكل ما حدث. أتخيل أنه غضب بعض الشيء عندما سمع كلماتها، لكن الكتاب المقدس يقول إن قلبه مات بداخله وصار كحجر. وبعد عشرة أيام، ضربه الله فمات. حسنًا ... يوجد درس هنا: لا تعبثوا مع من يحاربون لأجل الله!

عندما سمع داود بموت نابال، طلب من أبيجايل أن تتزوجه! ربما يكون خطأ مني أن أقول هذا، لكنني أفضِّل أن أتزوج داود في البرية على أن أعيش مع شخص سيِّىء الطباع ذي أموال.

هذه المرأة الحكيمة استبدلت حماقة زوجها بحياة بيتها، وكانت مشيرة لملك بالرغم من أن زوجها لم يكن ليستمع لمشورتها.

ياعيل

ربما تكون ياعيل هي المفضَّلة لديَّ ... حسنًا، على الأقل هي المفضَّلة لديَّ في الوعظ. تعتبر ياعيل امرأة أخرى كان زوجها على الجانب الخطأ. فقد عقد اتفاقًا مع عدو إسرائيل. وفهمت هي أنه عندما يقترب العدو كثيرًا، يجب أن تقتليه. أدركت أن نصرتها لم تكن في أراضي المعارك الدامية، بل داخل جدران خيمتها. هدهدت قائد جيش العدو حتى نام، ثم استخدمت ببراعة ما كان بيدها - مطرقة ووتد خيمة. نام تحت حراستها ولم يستيقظ مرة أخرى. لقد استبدلت التحالفات غير التقية بالتحالفات التقية.

بشبع

وجدت هذه الزوجة الصغيرة والجميلة نفسها وسط فضيحة عندما

رآها الملك داود وأرسل يطلبها. اضطجع معها داود فحبلت. فرتب موت زوجها ثم أسرع فأخذها له زوجة لكي يتستر على فعلته. لكن لم يمكن إخفاء اختياراتهما عن الله. فلم يمر وقت طويل حتى واجه ناثان النبي داود، ومات ابنهما البكر. وبطريقة ما، عبر كل هذه الظروف، بقيت بثشبع الجميلة رقيقة. وحبلت مرة أخرى وولدت ابنًا ثانيًا، هو سليمان. وربته في خوف الرب وعلمته أن يطلب الحكمة أكثر من أي شيء آخر. لقد استبدلت الفضيحة والموت بالكرامة والحكمة والنسل والوعد.

أليصابات

هذه الأم البارة العاقر استبدلت سنوات الإحباط بوعد الله. فهي مثل سارة نالت وعد الله واكتشفت أن ما كان مستحيلًا على البشر كان مستطاعًا لدى الله. وحتى في حبلها، استبدلت إعجاب قومها بالانعزال للتقديس والملء المتجدد بالروح القدس. تحدثت هذه الأم الحكيمة بنبوة إلى ابنتها الروحية وأم ربنا، مريم، ونقلت إليها هذه البركة، التي بقيت لكل منا اليوم: «فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قِبَل الرب». (لوقا ١: ٤٥).

مريم

استبدلت مريم عدم اليقين والعار الناتج من كونها أمًا غير متزوجة بيقين وعد الله. استبدلت مخاوفها بإنعام الله. وتقف كلماتها مثالًا لكل الأزمنة: «ليكن لي كقولك». (لوقا ١: ٣٨).

ماذا عنا؟

كيف نتواصل مع الحكمة حتى يمكننا أن نصنع هذه المبادلات الإلهية؟ يخبرنا الجزء الكتابي التالي من أين نبدأ:

«رأس الحكمة مخافة الرب. فطنة جيدة لكل عامليها». (مزمور ١١١: ١٠)

«هوذا مخافة الرب هي الحكمة، والحَيَدان عن الشر هو الفهم». (أيوب ٢٨: ٢٨)

ترتبط الحكمة ارتباطًا وثيقًا بمخافة الرب، تمامًا كما يرتبط الفهم

بتجاوبنا مع الشر. ماذا تعني مخافة الرب؟ إنها تعني أن نحب ما يحبه (الحكمة والعدل) ونبغض ما يبغضه (الجهل والشر). ربما لم تسمحي للّٰه من قبل أن يودع خوفه المقدس في حياتكِ. سيكون هذا مفتاحًا، لأنه بدون الخوف المقدس، لا يمكن للحكمة حتى أن يكون لها رأس أو بداية.

عندما بدأت سعيي لاكتساب الحكمة والفهم، كنت آخذ توجيهات سفر الأمثال بشكل حرفي. كنت أسافر كممثلة دعاية لواحدة من أكبر شركات مستحضرات التجميل، وكنت أقضي أربعين أسبوعًا تقريبًا في السفر كل سنة. كنت أصعد للفراش كل ليلة ومعي كتابي المقدس وأفعل ما يقوله. كنت أعترف بطرقي الجاهلة. كنت أدعو الحكمة أختي. كنت أصرخ لأجل الفهم.

كنت أطلب مخافة الرب. وببطء لكن بيقين بدأت أرى مشورتها في حياتي. كانت حكمة اللّٰه واسعة جدًا ومتعددة الجوانب.

في سفر الأمثال، نجد أن اللّٰه هو مصدرنا ومواردنا الوفير:

«لأن الرب يعطي حكمةً. من فمه المعرفة والفهم. يذخر معونةً للمستقيمين».
(أمثال ٢: ٦-٧)

إن أبانا السماوي يذخر لنا حكمة، وينتظر منا فقط أن نسأله. إنه يشتاق إلى أن يسكب الحكمة على الجائعات والانتعاش على من يعطشن لأجل المزيد. وهو يَعِد بأن يقبل ما نقدمه إليه للمُبادَلة. نقدِّم جهالتنا ونَقصَ الحلول لدينا، ويعطينا هو في المقابل حكمته، وتوجيهه، ومشورته.

يصف لنا (أمثال٣: ١٣-١٨) كيف تنفع الحكمة حياتنا بالكامل:

«طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة، وللرجل الذي ينال الفهم، لأن تجارتها خير من تجارة الفضة، وربحها خير من الذهب الخالص. هي أثمن من اللآلئ، وكل جواهركَ لا تساويها. في يمينها طول أيام، وفي يسارها الغنى والمجد. طرقها طرق نِعَم، وكل مسالكها سلامٌ، هي شجرة حياة لممسكيها، والمُتمسِّك بها مغبوطٌ».

لا يمكن ولا حتى لكتابٍ بأكمله أن يغطي روعة وجمال حكمة الله. إنها كنز ثمين يمكن لكل واحدة منا أن تطلبه. أشعر بالامتنان أنني لا يجب أن أكون لامعة الذكاء أو على قدر عالٍ من التعليم حتى أصير حكيمة؛ فبحسب ما جاء في رسالة يعقوب، يعطي الله الحكمة لكل من يطلبها ببساطة:

«وإنما إن كان أحدكم تعوزه حكمةٌ، فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاءٍ ولا يُعيِّر، فسَيُعطَى له. ولكن ليطلب بإيمانٍ غير مرتاب البتة، لأن المرتاب يُشبِه موجًا من البحر تخبطه الريح وتدفعه». (يعقوب ١ : ٥-٦)

دعونا نسأل الله لأجل هذا الكنز ونكون حساسات لأية مبادلة يجب أن نقوم بها.

أبي السماوي،

اليوم أميل أذني إلى الحكمة وأضع قلبي على الفهم. أريد أن أكون امرأة تجسِّد الحكمة هنا على الأرض. سوف أدعو الحكمة أختي وصديقتي الحميمة. افتح أذنيَّ وقلبي لأقبل رأيك وتوجيهك. الآن، بقوة روحك القدوس، اظهِر لي المبادلات التي أحتاج أن أقوم بها. أريد أن أمسك بالحياة وبكلمتك وأترك كل ما يقود إلى الموت والخداع. أتخلى عن المرارة وعدم الغفران والغضب والألم والخوف والغيرة والبغضة والاضطراب والإحباط من ماضيَّ.

الق بنور حقك في باطني. أختار أن أنفق حياتي بحكمة. أريد أن أسلك سبل الحكمة ولا أتبع سبيل الجهل. امسحني بغِنَى الحكمة وكرامتها، ودعني أصبح مثل شجرة حياة لكل من يجدونني. أنا أعلم أنه لكي يبدأ أي شيء من كل هذه الأشياء، سوف أحتاج إلى أن تودع خوف الرب المقدس بداخلي. يا الله الآب، املأني بخوفك المقدس الآن بقوة روحك القدوس. أختار أن أطرد الشر وأتمسك بالفهم. آمين.

الفصل الثامن

الإستخدام الحسن للرضا والمجد

لقد تنبهنا لقوة تأثيرنا وقدرتنا الأنثوية على إعلاء الكثير من جوانب الحياة الأرضية. والآن يظهر السؤال، كيف يمكننا أن نقدم عطايانا بفعالية لعالم يشتاق إلى التأثير الذي يمكنها أن تُحدِثه؟ في هذا الفصل، أريد أن أتناول بشكل أكثر تحديدًا كيف يمكن للنساء أن يعطين أو يمنحن عطية الكرامة. أؤمن أن هناك مبادلة عظيمة تحدث عندما تقدم النساء هذا الإسهام الفريد والمحدد. ربما لم تعلمي من قبل أن لديكِ مثل هذا الكنز لتقدميه. إنه عطية تعود بالنفع على الشخص الذي يقدمها. ربما لم تدركي أنه يُشار إليكِ على أنكِ «رضا» و «مجد الرجل». أولًا، مسألة المجد:

«أما المرأة فهي مجد الرجل». (١كورنثوس ١١ : ٧)

إن الإشارة إلى المرأة على أنها «مجد» هي أعظم مجاملة يمكن أن تنالها. تصف هذه الآية مفهومًا خاصًا بالعلاقات، إنها أكثر من إعلان عن القيمة؛ فهي توضح دورنا العاكس الفريد. فكما أن الرجل يعكس القوة، فإن المرأة تعكس الجمال بصوره الكثيرة. وقبل أن تكون هناك فرصة لأية واحدة أن تكوِّن توجهًا ما، دعونا نراجع هذا في ضوء هاتين الحقيقتين: (١) النساء حل ولسن مشكلة. (٢) وصف المرأة على أنها مجد الرجل لا يُقصَد به أبدًا أن يحقر أو يقلل من شأن دورها أو إسهاماتها الأنثوية. بل يُقصَد به الرفعة من خلال نسب القيمة والكرامة لها.

يجب أن ننظر إلى كلمة الله في ضوء الفداء والاسترداد بدلًا من أن ننظر إليها من خلال تشويه السقوط وتدميره. فما هو المجد إذًا؟ المجد يشير إلى

العظمة، والروعة، والجمال، والدهشة. تمثل النساء بدقة هذا الانعكاس في مفهوم العلاقة بين الذكر والأنثى. كما يوصف المجد أيضًا على أنه الجمال الذي يثير مشاعر العجب والفرح. ألا يصف هذا بالضبط رد فعل آدم الأوّلي تجاه حواء؟ لقد انبهر من كل ما أيقظته بداخله. كانت هي الانعكاس والصورة لكل ما كان يشتاق إليه ولم يره في البيئة المحيطة به أو في نفسه.

لماذا إذًا استخدمنا كلمة الله التي تصف هذا المفهوم الجميل في العلاقات، لكي نقلل من شأن المرأة ونصفها أنها أقل من الرجل؟ كما تناولنا من قبل، فإنه يوجد شخص شرير لا يريد أن يعمل الرجال والنساء في أدوار تكميلية صحية؛ فهو يعلم أننا إذا أدركنا الحق، لن يمكنه فيما بعد أن يقسمنا. إنه يريد أن يظل الصراع بيننا حتى نظل نصارع بعضنا البعض للحصول على القوة والمكانة. مرة أخرى هذه هي عداوة الحية التي لا يمكن التصالح معها وهي تنشر جمودها المحيط في محاولة لتحريف ما نسمعه. كل الحق يأتي في النهاية بالحرية. إذا استطاع الرجال والنساء أن يفهموا هذا بالصورة الصحيحة ويتعلموا كيف يكملون أحدهم الآخر، فسوف ينتفع كل شخص وكل شيء تحت سيادتهم.

«لأن الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل. ولأن الرجل لم يُخلَق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل». (١كورنثوس ١١: ٨-٩)

هذا يؤكِّد مرةً أخرى على احتياج الرجل للمرأة؛ فإننا نضيف القيمة والمعنى لكل جانب من جوانب حياتهم. لقد خُلِقَت النساء على صورة الله، لكنهن يحملن مجدًا مختلفًا عن المجد الذي يعكسه الرجال. الرجال والنساء متساوون، لكن لا يحل أحدهم محل الآخر. فنحن لا نشغل مكانة بداية الخليقة، لكننا نحمل كرامة أننا التتويج الأخير. خُلِق الرجل من التراب، وخُلِقت المرأة بروعة لتكون في جنة.

خُلِق الرجل من التراب، وخُلِقت المرأة بروعة لتكون في جنة.

لم يَقُل الكتاب المقدس مطلقًا إنه ليس جيدًا أن تكون المرأة وحدها، بل قال إنه ليس جيدًا أن يكون الرجل وحده. لقد كانت حواء هي معينه،

والإنسانة التي عوضت كل ما كان ينقصه. إياكِ أن تشكّي في قيمة وأهمية هذا الدور. أتذكَّر عندما طلب مني جون الزواج، أنه كان وكأنه يقدم لي توصيفًا وظيفيًا: «هذه هي دعوتي في الحياة. هذا ما سوف أفعله. هل تريدين أن تساعديني على فعله؟» فاجأني هذا الكلام «هل الأمر هكذا؟ هل كنت فقط أفضل من تقدمت لشغل هذه الوظيفة؟ أين الشغف والرومانسية؟» قال لي جون إنني لست مضطرة أن أرد عليه على الفور، لذلك لم أرد. في تلك الليلة بكيت: «يا رب، ما هذا؟» وسمعت الروح يهمس: «أنتِ رغبة قلب جون». فقلت: «لكنني لا أرى هذا في الطريقة التي يتصرف بها». لكنني كنت عمياء. فقد كان يحبني بشدة، لكنه فقط لم يكن يعرف كيف يقول هذا. والآن، بعد حوالي خمسة وعشرين عامًا من الزواج، لازال يبتهج عندما يراني. لماذا؟ لأنني مجده.

هل مجد الرجل أعظم من مجد المرأة؟

هل نشعر بالاستياء عندما نسمع أن الرجل يشار إليه في «كورنثوس الأولى» على أنه مجد الله؟

«لكونه صورة الله ومجده». (١كورنثوس ١١ : ٧)

هل يستخدم الله قوة العلاقة ليتسلط بها على الذكور؟ كلا، فهو ببساطة مفهوم خاص بالعلاقات، ونقطة ابتهاج مستمرة بالنسبة لله. إنه ينظر إلى خليقته العظيمة، الرجل، ويبتسم! أجل، وعندما ينظر إليكِ، أيتها الابنة، يُسَر. وبالمثل، عندما ينظر الرجل روعة المرأة، يبتهج جدًا. هل يتسلط المُحِب على محبوبته؟ الرجل الأحمق فقط هو الذي ينسى أنها تُشبَّه بتاج على رأسه. عند الإشارة إلى المجد، يوجد مفهومان يردان في الكتاب المقدس. أولًا، هناك مجد البشرية وكيف نرتبط بالله. ثانيًا، هناك المجد الخاص بالعلاقات بين الرجل والمرأة. تحير داود كاتب المزامير من هذه العلاقة بين الله ومجده -الذي هو البشر- عندما طرح هذا السؤال:

«فمن هو الإنسان حتى تذكره؟» (مزمور ٨ : ٤)

وفي الآية التالية، يجيب داود على سؤاله ويرسِّخ الترتيب والكرامة:

«وتنقُصه قليلًا عن الملائكة، وبمجدٍ وبهاءٍ تكلله». (مزمور٨: ٥)

بينما كان داود يتأمل في روعة الخليقة، شعر بالذهول والرهبة من تجاوب الله معنا. فمسألة أن يكلِّل الله البشر المخلوقين من التراب -والذين نفخ فيهم الحياة- بالمجد والكرامة، بدت غير مفهومة بالنسبة لذلك الملك العابد. فالبشرية جمعاء تعكس مجد الله وكرامته. وبالمثل، فإن المرأة مكلَّلة بوصفها هذا الانعكاس للرجل. ودون الدخول في هذا الموضوع اللاهوتي الكبير، فإنني أرى أن هذا يعني -على الأقل جزئيًا- أن المرأة لها القدرة على أن تعكس كل ما يرجوه الرجل أو يتطلع أن يكون عليه. إن حضور المرأة غالبًا ما يُضيف المعنى والهدف لحياة الرجل وعمله. كما أن الكلمة المقدسة تبين بكل وضوح خطر وخطأ أن يهين الرجال والنساء ما خصصه الله للكرامة. تصف رسالة يعقوب هذا الصراع في الجسد فتقول:

«به نُبارِك الله الآب، وبه نلعن الناس الذين قد تكوَّنوا على شبه الله».
(يعقوب ٣: ٩)

يجب أن نُبارِك الله ونُبارِك أيضًا ما يباركه. إذا كنا نحن تاج خليقة الله، فما الذي يجعلنا إذًا نريد أن نهين بعضنا البعض ونتسلط بعضنا على البعض؟ ألن يكون هذا فعليًا عاملًا ضد مقاصد الله للرجال والنساء؟ عندما لا يحب الرجال النساء ويرعونهن، يؤذون أنفسهم (انظري أفسس ٥: ٢٨-٢٩). وبنفس الطريقة، إذا لم تكرم النساء الرجال ويحترمنهم فهن في النهاية لا يكرمن أنفسهن. لا أعلم إن كنتِ تتفقين معي أم لا، لكنني بالتأكيد لا أريد أن أجد نفسي في مشكلة مع الله أو معارضة له. أريد أن أضبط نفسي مع مقاصده. أريد أن أبني ولا أهدم أبدًا أولاده وبناته. أريد أن أقوِّي الرجال والنساء.

الطريقة التي تشعل بها النساء الرؤية

هناك شيء مذهل يحدث عندما تُعزِي المرأة انجذابها لحميمية العلاقة إلى القوة الجسدية للرجل. فموهبة الحدس والبصيرة الأنثوية لديها، لها

القــدرة علــى أن تراه ليس كما هو، بل كما يمكن أن يكون. هذا التعامل يوقظ رغبة نائمة داخل الرجل. فهو يشــتاق إلى أن يكون الرجل الذي تتصوره. وعادة ما يحدث هذا دون أن يدري. يا ترى هل هو مخطئ، أم أنه نال لمحة عن شكله المتغيــر في عينــي المرأة التي يحبها ســواء كانت زوجته أو أمــه أو أخته أو ابنتــه؟ عندما ينظر إلى عيني المرأة، يرى نفســه كما يمكن أن يكون، أو كما يجب أن يكون إذا قامت المحبة بدورها. إن الله يحرك قلب الأخ أو الأب أو الابن أو العريس. إنه اســتيقاظ آدم مرة أخــرى ليجد حواء. فهو يريد الفرصة ليُثبِت أنه وفيٌّ.

لنــا بعض الأصدقاء الذيــن لديهم ثلاثة أبناء، ثم نالوا بركــة أن ينجبوا ابنة جميلــة. بينما كانت تكبر، كانت حياة أبيها تتســع. كان يشــاركنا بالكيفية التــي أيقظت بها ابنته الجانب الحامي والرقيق بداخله، والذي لم يتحرك أبدًا أثناء تربيته لأبنائه الثلاثة.

في طفولتي، كان أبي قاسيًا وفظًّا في كثير من الأوقات مع أمي وأخي. كان هناك مقعد يجلس فيه دائمًا، يشاهد التليفزيون أو يقرأ الصحيفة بينما كان يدخِّن. كان الأمر وكأن هناك حاجزًا حوله يقول: «أنا هنا، لكنني لست مهتمًا». في مرات لا حصر لها، كنت أقترب من المقعد المشأوم وأتسلق لأجلس على ركبتي أبي. فكان يتمتم ويتذمر عندما كنت أضع رأسي على صــدره، متظاهرةً بأنني أهتــم بصحيفته أو برنامجــه. أحيانًا كنت فقط أســكت. وفي وقت قصير، كنت أشــعر به يســترخي، ويلين مزاجه قليلًا. وكأنه يقول: «أجل، كنت أحتاج إلى هذا، لكنني لم أكن أعلم». عندما كان يرجع للبيت مُرهَقًا، كنت دائمًا أنا التي يرســلونني لأدعوه للعشــاء. فقد كان صوتــي هو الصوت الوحيد الذي لن يتذمر عليه عندما يســتيقظ من النوم.

الدعوة للرقة

هناك رقة تدعو لشــيء أكبر في الرجل؛ فهو يريــد أن يكون لطيفًا بالدرجة الكافية للتعامل مع قطعة الكريســتال لأنه يفهم أنها قيِّمة وحساسة في الوقت ذاته.

يختلف هذا كثيرًا عن الطريقة التي حاولت بها تشكيل جون. كنت أريده أن يتحول إلى الصورة التي لديَّ عنه، بدلًا من أن أرعى الانعكاس الذي له عن نفسه. في نطاق الزواج، تتكون وحدة وتحالف يمكن من خلالهما للحياة والمحبة أن يستمرا. في الأب، تُثار الرغبة في أن يحمي ويرعى. في الابن، تتحرك الرغبة في إكرام أمه وأبيه. في الأخ، تتحقق الرغبة في أن يحمي ويفهم أخته واستجاباتها الأنثوية.

توضيحًا لذلك، أرجو أن تتخيلي فتاةً جميلةً تمد سيفًا كإشارة لمنح لقب «فارس» لشاب يجثو أمامها. يسجد كرجل ويقوم كفارس. ما هو التفاعل الذي حدث؟ لماذا يجثو هذا الرجل أمامها؟

لقد نقلت المرأة شيئًا غير منظور للشاب الجاثي أمامها. فقد ركع أمامها لأنها تُجسِّد سبب ورجاء تعهده. وأقسم بأن يحمي كل ما تمثله هي بحد سيفه وقوة اقتداره. إذا ظهرت حرب أو خطر أو احتياج شديد، لن يبخل بحياته لكي يحمي حياتها. لقد تعهد بشرفه بأن يحافظ عليها بوصفها طريقة أنبل للحياة، وأن يدافع عن بلادها وأيضًا عن كرامتها وتأثيرها. كم أحب هذه الصورة. فهي توصِّل قوة التأثير الأنثوي والجمال الذي يحرك الرجل إلى هدف أسمى. إنها صورة اللطف وهو يوقظ القوة من خلال تقديم المجد.

لا يخاف الرجل من السيف عندما يكون في يدها؛ فمعها لا يكون سلاحًا بعد، بل أداة للتغيير. لا يُقدَّم ليهدد الرجل أو يجرحه أو يضربه، بل يمتد ليفرز الرجل ويخصصه. لا يعود الرجل كما كان من قبل. فبوصفه فارسًا، قد امتدت حياته وتوسع اسمه ليشمل لقبًا، وفي النهاية، ميراثًا. لقد أطلق عليه اسم ونال ترقية. وهذا يعني أن اسمه قد أضيف إليه ثقل وكرامة. وهكذا فإن المرأة باستخدام السيف تنقل القوة وتمنح شيئًا لا يمكن لسواها أن يعطيه، وهو الهدف الأعلى والسبب الأسمى للحياة.

هذا الرجل لا يشعر بحد السيف عندما يكون في يدها، بل يشعر بالوزن

الكامل للسيف عندما ينتقل سطحه من كتف إلى الكتف الآخر. وبهذا الفعل وحده، تمنحه المرأة السلطان واللقب الضروريين. وهو الآن يحمل على كتفه مسؤولية وكرامة من يحمل السيف.

مسيرة جديرة بالسيف

كان الفرسان يؤتمنون على امتياز حمل السيف فقط بعد أن يتعهدوا بالشرف والسلوك المُبيَّن في مدونة قواعد الفروسية. هذه المدونة كانت تحدِّد كيف يمكن إعلاء العدل. كانت تعهدًا بحماية المملكة وكل من يحتمون داخل حدودها. وكان الفارس بسيفه الذي على جانبه يمثل سلطان الملك وقدرته. كان يخدم ملكه عن طريق حماية رعايا المملكة من الظلم وإهمال القانون. وكان استخدامه له بأمانة أمرًا ذا أهمية قصوى؛ لأن السيف في يدي الفارس لا ينفصل عن السلطان الذي يقف وراء هذا السيف. ليس السيف مجرد مفهوم عدائي، بل إنه مبدأ يخص المملكة. ولهذا كان يلزم قطع عهد أو التزام لضمان ألا يسيء الفارس تمثيل أو استخدام سلطان السيف.

«لأنه خادم اللّٰه للصلاح! ولكن إن فعلتَ الشر فَخَفْ، لأنه لا يحمل السيف عبثًا، إذ هو خادم اللّٰه، مُنتقِم للغضب مِنَ الذي يفعل الشر». (رومية ١٣ : ٤)

لكن للأسف، مهما كانت الاحتياطات، فهناك دائمًا مرتزقة ومتمردون يحملون سيفًا، بالرغم من أنهم ليسوا كلهم قد أثبتوا أنهم جديرون باستخدام السيف. فهم لم يخضعوا لمدونة قواعد السلوك، فما بالكِ بكلمة اللّٰه. وهم لا يحملون سلطانًا حقيقيًا ولا لقبًا حقيقيًا لأنهم لم يُخضِعوا أنفسهم للحق، بل يعيشون تحت راية الذات وطموحاتهم الخاصة. وهم لا يفهمون الولاء أو الوطنية، لأن مثل هذه المشاعر تتطلب الخضوع لملك أو لقواعد. يعتبرون التمرد حرية والخضوع قيودًا. لقد سلكوا الطرق السهلة واشتروا ما كان يجب أن ينالوه كمكافأة.

لكن هناك سيفًا آخر لا يمكن شراؤه، لأنه حي.

السيف الحي

«لأن كلمة الله حية وفعَّالة وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مَفرَق النفس والروح والمفاصل والمِخَاخ، ومُميِّزة أفكار القلب ونياته».
(عبرانيين ٤: ١٢)

لقد ائتُمِن الرجال والنساء على السواء على هذه العطية: «سيف الروح الذي هو كلمة الله» (أفسس ٦: ١٧). وهو ليس سلاحًا قويًا فحسب، بل إن له القدرة على أن يكشف أفكارنا وتوجهاتنا أيضًا. في ملكوت الله، يُقاس كل شيء بالدافع وراءه (انظري ١كورنثوس ١٣). والكيفية التي نخضع بها لكلمة الله أو سيفه ونتفاعل معهما غالبًا ما تكشف دوافعنا. في ملكوت الله، ما يجعل أبناء وبنات الله فرسانًا ويمنحهم السلطة هو الحكمة.

«وإنما إن كان أحدكم تُعوزه حكمة، فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاءٍ ولا يُعيِّر فسيُعطَى له». (يعقوب ١: ٥)

الحكمة هي الكيفية التي نستخدم بها كلماتنا وكلمة الله بالطريقة الصحيحة. وهي متاحة مجانًا لكل من يطلبها بإيمان. من لهم حقًا السلطان هم تحت سلطان الحكمة. وهم يفهمون أن القوة المطلقة تأتي ممن يخضعون لحكم الله. وبينما نخضع لمبادئ كلمته، نجد أنفسنا محميات. فالسيف يحرس كل من يحتمون في ظل رعايته. والعكس صحيح، فإذا لم نخضع لسيف كلمته، سرعان ما سنجد السيف ينقلب ضدنا. هناك من يستخدمون كلمة الله ليخدموا أنفسهم بدلًا من أن يمدوا ملكوت الله. وهم يستخدمون سيف كلمة الله كحرفٍ ناموسي يُدمِّر الروح ويجرح النفس.

«لأن الحرف يَقتُل ولكن الروح يُحيي». (٢كورنثوس ٣: ٦)

يمكن للسيف أن يقطع على الجانبين. كثيرًا جدًا ما رأيت سيف كلمة الله يُساء استخدامه عندما يتعلق الأمر بالعلاقات بين الرجل والمرأة. فإما أن تتم تعلية الرجال على حساب النساء، أو يتم إزاحة الرجال من مكانهم نتيجة غضب النساء وإحباطهن. فتسمعين عبارات مثل: «أيتها النساء،

ارجعــن لمكانكــن!» و «أيهــا الرجال، لقد حــان دورنا الآن!» عندمــا يتم تناول الســيف بأمانة، سيأتي دائمًا بالعدل وحفظ الحياة. لكن عندما يُنفَّذ القانون دون قلب الملك أو روحه، فسيجلب الموت لرعايا المملكة. عندما تم تعليم النســاء كلمــة الله المتعلقة بالأدوار المبنية على النــوع، غالبًا ما كانت من إطار مرجعية الحرف، بــدلًا من أن تكون من إطار مرجعية الروح المُحيي. لقد فسرنا الكتب المقدسة على أنها أوامر لتنظيم سلوك النساء اللواتي يثيرن المشــكلات بدلًا من أن تكون إرشــادًا حول الكيفية التي يجب أن يتعامل بها الرجال والنساء بعضهم مع بعض.

«غير أن الرجل ليس من دون المرأة، ولا المرأة من دون الرجل في الرب. لأنه كما أن المرأة هي من الرجل، هكذا الرجل أيضًا هو بالمرأة. ولكن جميع الأشياء هي من الله». (١كورنثوس ١١: ١١-١٢)

لاحظي عبارة «في الرب». هذه العبارة تســوي كل شــيء؛ ففي الرب، يعتمد الرجال والنساء بعضهم على البعض ويتواصلون بعضهم مع البعض. لماذا؟ لأن الذكر والأنثــى كليهما أصلهما هو من الله. يجب أن يُكمِّل الرجل والمرأة أحدهما الآخر ويعتمد أحدهما على الآخر. ففي نظر الله، المرأة ليســت فقط هي مجد الرجل، بل إنها رضا من الرب.

«من يجد زوجةً يجد خيرًا وينال رضى من الرب». (أمثال ١٨: ٢٢)

رضا الله لبناته

الخيــر والرضا كلاهما من مصادر القوة التي لا يمكن إنكارها. الله رائع؛ لأنه حتــى الآن يأخذ ســيف كلمته ويحــول الأمور لصالح بناته. إن الســيف الذي استُخدِم في بعض الأوقات ضدنا سرعان ما يحارب في صفنا.

«الرب مُجرِي العدل والقضاء لجميع المظلومين». (مزمور ١٠٣: ٦)

إن نصيب بنات الله هو العدالة؛ فالحكم يمثِّل قرارًا في صف الشــخص أو ضــده. الله وحده هو الذي يســتطيع أن يقرر العدالــة الحقيقية. حيث يكون

هناك قمع وخوف. سيكون هناك إطلاق أكبر، إذ يبدأ الله في أن يُنفِّذ العدل. إنه يُنفِّذ قراره بالمحبة الأبدية وإعادة الترتيب الصحيح وموضع الكرامة لأبنائه وبناته. ونحن نرى الرجال والنساء في العالم يوحِّدون قواهم لمنفعة أحدهم الآخر بدلًا من استخدام قوتهم ضد بعضهم البعض.

هل يجب أن نتصرف تبعًا للكيفية التي عُومِلنا بها أم بما يتوافق مع البر. هل يجب أن نهين الآخرين لأننا نحن أنفسنا تعرضنا للإهانة؟ كلا. فقد آن الأوان أن نعطي الكل لله. لقد جاء وقتنا كنساء لنقدِّم الكرامة واللقب. لا يمكن لأحد أن يأخذ هذا الامتياز منا، لأننا النسل الملكي لبنات سارة. إن مصيرنا هو أن نتوج يسوع بالكرامة التي لا يمكن لسوانا أن يقدِّمها له كملكنا المحبوب. لقد أعطانا اسمه الملكي، ونحن ببساطة نُقدِّم له كرامة النصرة التي فاز بها بالفعل. لقد ائتُمِنَت النساء على امتياز تزيين الجسد كعروس استعدادًا لعودة ربنا.

انظري حولكِ! النساء الصادقات ينهضن في كل العالم لإعلان محبة الله وحقه، واسترداد مجدهن السابق. أنا حل. أنا حكيمة وجميلة. لديَّ رضا وكرامة أقدِّمهما. أنا ابنة الله العلي، الذي يستحق الرهبة والروعة.

أبي السماوي،

آتي إليك في اسم يسوع، وأشكرك على امتياز وكرامة تقديم الرضا والمجد. أريد أن أرضيك في كل حياة ألمسها. أريد أن أعكس جمالك ورهبتك وروعتك. أريد أن أطلق عظمة السماء هنا على الأرض. سوف أمد سيف كلمة الله لأنقل الكرامة واللقب. سوف أتكلم وأوقظ ما هو نبيل من وسط ما هو معتاد. سوف أعلِّي خطتك وقصدك بينما تملأ معرفة مجدك هذه الأرض كما تغطي المياه البحر. والآن أقمني وامنحني القوة، أنا ابنتك الأميرة، في اسم يسوع. آمين.

الفصل التاسع

ما هي قوة المحبة؟

لقد أصبحت الأفلام لغة شائعة، وأصبحت قصص الحب فكرة محبَّبة. ربما تكون الأفلام هي الوسيلة التي لها القدرة على تحريك العالم المُنهَك من خلال إيقاظ الحواس التي تبلَّدت نتيجة سنوات الإحباط والتحفيز الزائد عن اللزوم. والله لا يخاف من هذه الوسيلة. بل إنه يُسَر كثيرًا بالتحرك من خلال هذه الطريقة متعددة الحواس لكي يجذب أولاده إليه.

وفي ظل تأثير الأفلام، يمكن للقلب البشري أن يُسبَى ويُنقَل بصفة مؤقتة إلى نطاق بعيد عن متناول العالم الخارجي وتأثيره. فالأفلام تتحدث مُباشَرةً للعقل بلغة القلب البليغة. يحدث هذا النوع من التفاعل بغض النظر عما إذا كانت الرسالة المُقدَّمة هي لفائدتنا أو ضررنا. فالأفلام لها القدرة على أن تستغل أعمق مخاوفنا أو تُحيي الأحلام التي ماتت فينا منذ وقت طويل.

يمكن لله أن يستخدم هذا المزيج من القصة والتصوير السينمائي الجميل والموسيقى القوية لكي يؤكد الحق ويشرحه. سوف نكون جاهلات بالفعل إذا لم نصغِ إلى صرخة ثقافتنا لأجل الرجاء والمحبة والصلاح. يمكن للثلاثة أن تتكلم إلينا في قصة فيلم ومشاهده، والتي عادةً ما توصِّل اشتياقًا كبيرًا ومؤلمًا لم يمكن التعبير عنه أو توصيله بلغة الكلمات وحدها.

يمكننا أن ندرك أن هذا المفهوم ليس جديدًا عندما نفهم أن كل حياة هي قصة، وكل مشهد، تم تسجيله في كتاب سماوي. لقد نسجكِ الله ضمن ملحمته الجميلة. وهذا يجعل القضية تتعلق بما هو أكثر بكثير من المرأة أو الثقافة أو المسيحية ... إذ تصبح مسألة هدف وقصد.

«رأت عيناكَ أعضائي، وفي سفركَ كلها كُتِبَت يوم تَصوَّرت، إذ لم يكن واحد منها».
(مزمور ١٣٩ : ١٦)

نحن نحدد القصص التي تحكيها حياتنا

أيتها الابنة، ما هي القصة التي تريدين أن تحكيها؟ أيتها الأم، ما هو الميراث الذي سوف تتركينه وراءكِ لأولادكِ؟ أيتها المحبوبة، ما هي قصة حبكِ؟ إن أولادي لديهم شيء أكبر بداخلهم. ألمح هذا في نظراتهم البعيدة. أسمع صوته في الموسيقى التي تحركهم. أريد أن تتكلم حياتي بالطريقة التي يفهمونها. المحبة وحدها هي التي تتخطى كل حدود الزمن.

ومع أنه لا يمكننا أن نحدد كيف تبدأ قصصنا، إلا أننا نمثل جزءًا كبيرًا من كيفية نهايتها. بلا شك، هناك مباراة مصارعة تجري حول الكيفية التي ستكون عليها خاتمة حكايتكِ. في أغلب الأحيان، تأتي النهايات السعيدة فقط بعد خوض معركة مع الشر. ففي عالمنا، قليل جدًا من الخير هو الذي يحدث دون أن يسبقه نوع ما من المُحارَبة. ويمكن تشبيه كل يوم بصفحة خالية. ونحن من نصنع القصص ونكتبها بكلماتنا واختياراتنا. وما هذا إلا سبب من الأسباب التي تجعل القصص تتحدث إلينا بقوة.

عندما كان يسوع يسير على الأرض كإنسان، كان بارعًا في سرد الحكايات. كان يجمع رسائل سرمدية في صور كلمات. كان يستخدم الأمثال، وقوانين الطبيعة، وخبرات الحياة الواقعية لكي يعلِّم من يسمعونه عن ملكوت أبيه. كان يريد أن يُسمِع الحق في إطار الصور الحية المتتالية. كان يأخذ المُجرَّد ويجعله ملموسًا ويمكن اعتناقه في الحياة اليومية.

يمكننا تقريبًا أن نقول إن القصص هي الشكل الأصلي للأفلام، لأننا مع تقدم سير الأحداث، نجد أفكارنا تتحرك من مشهد إلى آخر. فنحن لا نسمع القصص أو نقرأها فقط، بل نراها أيضًا بطريقتنا الخاصة. وفي مخادع قلوبنا وعقولنا، تتشكل القصص. وفي إطار خيالنا، تتمثل الشخصيات التي لا يمكن لأحد سوانا أن يتعرف عليها، وتتحرك بحرية وتملأ الفراغات أثناء تكشُّف القصة.

فماذا عن قصتكِ إذًا؟ قبل أن تتحقق أكثر الأجزاء تشويقًا في قصتكِ، يجب أولًا أن تكتشفي دوركِ. أخشى أنه في أحيان كثيرة جدًا لا يتم تحديد الأدوار أبدًا. فإننا نطفو عبر الحياة، على أمل أن يخبرنا شخص آخر بالدور الذي يجب أن نلعبه. لكن قد يوجد خطر كبير عندما نجعل الآخرين مسؤولين عن سعادتنا. إن الله هو القصَّاص الأعظم الذي يريد أن يكشف قصة محبته فيكِ؛ فقد كتب دوركِ وسرد رغبات قلبكِ.

عندما تُعلَن المحبة، يُعلَن الاعتماد المُتبادَل

شاهدت مؤخرًا قصة حب مؤثرة اسمها «القرية» «The Village». ووجدت أنها ثروة رائعة عن الجمال الذي لا يُعبَّر عنه والاشتياق الموضوع في عالم غير واقعي يشبه الأحلام. إذا كنتِ تظنين أنه فيلم رعب، فأنا أؤكد لكِ أنه ليس كذلك. فهو صحي ومثير للتفكير، وهو فيلم أوصي كثيرًا بمشاهدته. وبقدر استطاعتي، سوف أحكي لكِ مشاهد قليلة منه، أعتقد أنها تلمس جوهر المحبة والتراث.

المشهد: الوقت متأخر. اكتشفت أيفي، الفتاة الكفيفة المّرِحة، أن لوسياس جالس في شرفتها. كان الليل قد انقضى منه قدر كبير، وبدأ الضباب يرتفع. لقد جاء لوسياس ليحميها، وليبقى مستيقظًا بينما تنام هي ذلك القسم الأخير من الليل. لكنها خرجت وانضمت إليه. ثم أغاظته بأن سألته عن سبب وجوده على شرفتها بدلًا من أن يكون في شرفة أخرى في القرية. كانت توبخه في محاولة لأن تجعله يعلن محبته لها. وعندما لم تفلح هذه الطريقة، جربت طريقة أخرى، فسألته: «هل تجدني فتاة مسترجلة؟ أنا أحب أن أقوم بما يقوم به الصبيان ... إنه أمر ممتع للغاية».

وعندما لم يَرُد عليها، أكملت حديثها قائلة: «كيف تكون شجاعًا هكذا بينما نرتعد كلنا من الرعب؟»

فأجابها في لامبالاة قائلًا: «لا يهمني ما سوف يحدث، بل يهمني فقط ما يجب أن يُعمَل».

أعجبتها هذه الإجابة فصمتت للحظة، ثم قالت: «عندما نتزوج ... هل سترقص معي؟ أنا أحب الرقص كثيرًا».

فصمت. إنها تعلم أنه يحبها، لكنه لا يتحدث عن هذا الأمر. وعندما ظل سؤالها دون إجابة، أضافت بضيق: «لماذا لا تقول عما يدور في رأسك؟»

وكانت إجابته مُحبِطة. «لماذا لا تكفين عن أن تقولي ما يدور برأسكِ؟ لماذا يجب أن تأخذي أنتِ موضع القيادة عندما أريد أنا هذا الموضع؟ عندما أريد أن أرقص، سوف أطلب منكِ أن ترقصي معي. عندما أريد أن أتكلم، سوف أفتح فمي وأتكلم ... ما الفائدة في أن أقول لكِ إنكِ دائمًا في فكري منذ استيقاظي من النوم؟ ما الفائدة التي تعود من قولي إنني أحيانًا لا أستطيع أن أفكر بوضوح أو أقوم بعملي بالشكل الصحيح؟ ما المنفعة من أن أخبركِ أن المرة الوحيدة التي أشعر فيها بالخوف مثل الآخرين هي عندما أتصوركِ وأنتِ في خطر؟ لهذا أنا هنا في الشرفة، يا أيفى! إني أخشى على سلامتكِ أكثر من أي شخص آخر. وأجل، سوف أرقص معكِ في ليلة زفافنا».

ثم حل الهدوء على كليهما. كانت ترتعش مثل ورقة شجر من حدة هياجه. وفي أعقاب هذا الإعلان المليء بالمشاعر، سقطت دمعة. وتغير كل شيء بسبب الإعلان بحرية عن المحبة. والآن، لم يعد لأي منهما أن يجد طريق العودة دون الآخر. فمد يده وقبَّلها بلطف.

بالنسبة لأيفي، قد تحققت الوثبة؛ فلم تعد ترغب في أن تكون أحد الرجال. لقد أدركت هذا الجزء من نفسها في الرجل الذي أمامها. سوف تختلط حياتها الأنثوية بحياته بطريقةٍ لا يمكن لرجل آخر أن يرتبط بها معه. لقد وجدت حاميها ووجد هو حبيبته. إنها هي السبب وراء كل ما يفعله. وفي لحظة من الزمن أصبح الاثنان قلبًا واحدًا. تقابلت نقاط قوتهما ووجدت مكان راحة في وجودهما معًا. كانا مناسبين ومتوافقين بشكل كامل. وبينما كنت أشاهد هذا التفاعل، كانت الدموع تنهر على وجهي.

القوة تستدعي القوة

يوجد جمال عندما تفسح القوة المجال للقوة. هذا هو الموضع الذي يتم فيه تعويض ضعفاتنا وتضخيم قدراتنا. فالمرأة لا تخضع للرجل لأنها ضعيفة، بل تخضع لأنها قد وجدت المكان الآمن الذي تُودِع فيه أحلامها، وتُقدِّم قوتها وتجد حماية لنقاط ضعفها. إنه شيء ينعكس في عيني الشخص الذي تختاره لتفتح حياتها له وتحمل معه الفرح والأطفال والأحزان. إنه هو الإناء الذي يمكنها أن تسكب محبتها وحياتها فيه. يمكنها أن تُطلِق

كل الخير المخزون فيها له بأمان. لماذا؟ لأنه مستعد أن يبذل حياته لكي يحفظ حياتها.

في هذا المشهد، أعلن لوسياس أنها كانت هي نقطة ضعفه الوحيدة. وبهذا الإعلان أصبحت أيفي في الموضع الذي يجعلها تقدم له قوتها بحرية. لو كانت نوعًا مختلفًا من النساء، ربما كانت قد استخدمت احتياجه هذا ضده. لو كانت لها حرية الوصول إلى المشورة الحديثة، ربما كانت قد استغلت اشتياقه ومخاوفه لأهدافها الخاصة وحمايتها. كان يمكنها اختيار أسلوب المناورة معه. وقبل أن تشعري بالانجذاب نحو اختيار هذا المسار، اعلمي أنه في ألعاب المناورة، في النهاية، يعاني الطرفان من الخسارة؛ إذ تفقد المرأة قدرتها على التأثير، ويفقد الرجل مكانًا آمنًا يودع فيه قلبه.

إن احتياج أحدنا للآخر لم يُقصَد منه أبدًا أن يكون نقطة ضعف يمكن استغلالها، بل قوة محركة يجب تمجيدها. كلنا نتوق إلى مثل هذه الحالة من الأمان والحميمية. ما الذي نحميه؟ هل نحرس أماكن قوتنا أم نقاط ضعفنا؟ أي شخص يسيء إلى مصدر حمايته يُعَد شخصًا جاهلًا. فالنساء ضعيفات من ناحية القوة البدنية، والرجال غالبًا ما يجدون قلوبهم في خطر. يجب علينا نحن النساء أن نعتني بقلوب الرجال، تمامًا كما يجب على الرجال أن يحموا النساء ويسددوا الضعف الجسدي لديهن. أيتها النساء، هل هناك تكليف أنبل من أن تكنَّ حارسات لقلب شخص ما؟

أيتها النساء، هل هناك تكليف أنبل من أن تكنَّ حارسات لقلب شخص ما؟

ألم يكن آدم هو الذي أعلن أن حواء كانت كل ما يحتاج إليه بالتمام؟ لم تقل حواء هذا عندما رأت آدم. منذ البداية، ألم يشتاق الرجل إلى المعونة الفريدة التي تقدمها المرأة؟ لم يكن بحاجة إلى مساعدتها في عمله بقدر ما كان يحتاج إليها كرفيقة قلبية. كان وحيدًا بدون الإنسانة التي تشبهه وفي الوقت ذاته تختلف عنه بما يكفي لأن تحتوي قلبه الضعيف.

كوني منفتحة على المحبة

كل شيء له قيمة في هذه الحياة يحمل معه صورة من صور المخاطرة. فهناك خطر فقدان السيطرة ولعنة الفشل، لكن لا خوف في المحبة. لماذا؟ لأن المحبة لا تسقط أبدًا. وبالتالي، فعندما توجد المحبة، يجب حمايتها بأي ثمن. يجب أن تكون هي القوة الدافعة لكل ما نفعله. بمجرد أن تكون لنا المحبة، فلا يمكن أن تنفصل عنا دون أن تسبب لنا ضررًا عظيمًا. إنني أدرك أنني أرسم صورة لما يجب أن يكون وليس لما يحدث عادة. لكن في هذه الصورة أؤمن أنكِ سوف تلمحين قوة ما يمكن أن يكون، وتنتقلين من سلطان خيبة الأمل إلى نطاق الرجاء.

بمجرد أن يتم إعلان المحبة بوضوح، لا يكون هناك تراجع. يحدث هذا بين الرجل والمرأة كما بين المسيح وعروسه المحبوبة. لأنه مع المسيح، لا يوجد تراجع عن وعد المحبة الذي دفعه إلى أن يضحي بالكل. أعلم أن الرجال في الكثير من صورهم الضعيفة البشرية كآباء أو إخوة أو محبين أو أزواج قد سببوا لكِ الإحباط، لكن لايمكن أن يفعل الله هذا. لا يمكن أن يخذلكِ. الرجال يحبون، أما الله فإنه هو المحبة.

إذا أردنا أن ننتقل إلى ما هو أبعد من مجرد البقاء في علاقاتنا الإنسانية، فيجب أن نسمح لقلوبنا أن تظل مفتوحة على قوة المحبة المغيِّرة.

بمجرد أن علمت أيفي باشتياق لوسياس الشديد لها، لم تعد ترغب في أن تكون مكانه. فلن ينجذب إليها إذا كانت مثله، بل إنه يتمسك بها بسبب نقاط القوة التي أيقظتها في داخله. ومع أنها كانت مكتملة بمفردها من قبل، إلا أنها الآن ترفض أن تكون بدونه.

هل نطلب كنساء أن نكون رجالًا لأننا نشتاق إلى ما يمكنهم هم وحدهم أن يُحدِثوه في حياتنا؟ وفي يأسنا، هل نسينا أننا عندما نصير مكانهم في الصورة، نكون بهذا قد فقدنا الرفيق الحميم؟

أثناء انشـغالنا الكثير بتوجيههم نحو الكيفية التي يكونون بها رجالًا، هل نسينا معنى أن نكون نساء؟

هل نخاف من أنهم قد يخذلوننا بشـدة لدرجة أننـا لم نعد نأتمنهم على عطايا محبتنا وقوتنا؟ ما الذي يمكننا أن نرجو الحصول عليه من وراء منع ما خُلِقنا لكي نعطيه بسخاء؟ هل يجب أن نسلبهم كلماتهم ونتولى السيطرة فقط لأننا نخاف من أننا إذا لم نتكلم لن نُسمَع؟ ألا نزال مرتعبات لدرجة أننا نريد أن نتولى السيطرة حتى لا نُجرَح مرة أخرى؟

ارجعي معي مرة أخرى إلى القصة:

أصيب لوسـياس بجرح عميق، وكان هناك احتياج شـديد للمسـاعدة من خارج حدود القرية. لكن طلب هذه المسـاعدة قد يكلف المجتمع كله أمنه ووجـوده. ولتقليل هذا الخطر، يمكن أن يذهب شـخص واحد فقط ويعود بما يلزم. جاءت أيفي وعرضت قضيتها أمام أبيها.

«أنـا أحـبـه».

«أعـلـم هـذا».

«هـو يـحبـنـي».

«أعـلـم هـذا».

«إذا مات، فسـوف يموت معـه كل ما تبقى لي... أطلب منك الإذن بالسـفر لأسـتدعي المساعدة. أنت أبي. سوف أسـتمع إليك في كل الأحوال. وأنا أثق في قرارك».

ومع أنها كانت يائسة ومصممة، إلا أنه لا توجد في كلماتها مناورة أو تهديد. كانـت كلماتها تقول الحـق المغلف بالقوى السـرمدية للمحبة والعلاقات والثقة والطاعة والإكرام. كيف يمكن رفض توسلها النقي المُقنِع هذا؟

رأى والـد أيفي الحـق كما هو. أجل، إن حياة ابنتـه مرتبطة بحياة هذا الابن الجريح. لكن حياتها كانت في خطر أكثر من حياة لوسياس. كان توسل أيفى عـن «كل ما تبقى لي» يصف شـيئًا كثيـرًا ما يفوتنا فـي ثقافتنا اللحظية

الأنانية. إنها هي نسل أبيها. وبقوة المحبة فقط يمكنها أن تظل تعيش. لماذا؟ لأنه بدون المحبة، لا يمكن لأي شيء ذي قيمة حقيقية أن يستمر.

«إن... ليس لي محبة، فلستُ شيئًا». (١كورنثوس ١٣ : ٢)

يمكننا أن نترك لورثتنا أشياءً كثيرةً. لكن بدون دافع المحبة وحفظها، سوف تصير كل الأشياء في النهاية لا شيء. فالمال بدون المحبة يصير لا شيء. والعلاقات بدون المحبة تصير في النهاية ضحلة ووحيدة. المحبة تنقل الميراث تمامًا كما تخلق الحياة. الخوف هو عدو المحبة، تمامًا كما أن المحبة -بكل تأكيد- لها القدرة على التغلب على الخوف وأخذ مكانه.

«لا خوف في المحبة، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج».
(١يوحنا ٤ : ١٨)

كوني منقادة بالمحبة

وافق والد أيفي على إرسالها في طريقها، وجمع شيوخ القرية ليخبرهم بما فعله. وثار جدال .. كيف أمكنه أن يخاطر بحياة الكثيرين لكي ينقذ قصة حب اثنين؟ وبرر الأب اختياره بحماس فقال: «هل تخططون أن تعيشوا إلى الأبد؟ إن مستقبلنا فيهما ... أجل لقد خاطرت. أرجو أن أكون قادرًا دائمًا على المخاطرة بكل شيء لأجل القضية الصحيحة».

ثم ظهر سؤال وهو: لماذا هي؟ لماذا يرسل أيفي وهي كفيفة؟

«كيف أمكنك أن ترسلها؟ إنها عمياء!»

«إنها تنقاد بالمحبة. العالم يتحرك من أجل المحبة، إنه يركع أمامها في رهبة».

ليتنا نعرف هذا الحق ونسلك فيه. عندما نتعلم أن نحب بلا خوف، سوف نجد أنفسنا محبوبات بالصورة الكاملة. لا تخافي من كلماتي. قد لا يتغير المحيطون بكِ بطريقة سحرية، لكنكِ أنتِ ستتغيرين. سوف تصبحين حرة مرة أخرى. إن العالم يرتعد أمام المرأة التي تختار أن تحب بلا خوف. فالمحبة

إن العالم يرتعد أمام المرأة التي تختار أن تحب بلا خوف.

ليست مجرد واحدة من الأسلحة والقوى التي تحارب بها المرأة، بل إن المحبة هي نطاق سيادتها الذي يجب عليها أن تحميه. فهي تشبه كلمة الله في أنها سيفنا ووعدنا.

توقفي للحظة واسألي نفسكِ لماذا قد يصعب عليكِ أن تقدمي قلبكِ بالكامل لرجل ما؟

أعلم أنني كنت خائفة من أنني إذا أحببت زوجي بالكامل ثم تركني، فلن أتعافى من هذا الأمر. وكان هذا واضحًا في بداية زواجنا. كنت دائمًا أول من أنسحب عند العناق. كنت أقلل من وعده بالالتزام وأقول إن كل الرجال يرحلون... في يوم ما.

لقد خسر جون سنوات بسبب الألم الذي كان في ماضيَّ. أتذكر أنه سألني ذات مرة: «متى ستصدقينني أخيرًا عندما أقول لكِ إنني أحبكِ؟ كم ينبغي أن يكون عمرنا لكي تستريحي فعليًا وتستمتعي بحياتنا معًا... سبعين عامًا؟ أنا مستعد أن أنتظر، لكنني فقط أعتقد أننا نفقد الكثير ما بين الآن وذلك الوقت».

جذب هذا السؤال انتباهي. هل سأخاطر باحتمال الخسارة والفشل لكي أختبر المحبة؟ أم سأستمر في حدودي، وأحتجز دائمًا قدرًا ما لئلا يحدث شيء؟

أعلم أنكِ تريدين موضع الراحة. إن بإمكاننا أن نحب الآخرين؛ لأن المسيح أحبنا أولًا. دعونا نستسلم لقوة المحبة وندعها تزيل كل الخوف من علاقاتنا.

بناء الآخرين

بما أننا حارسات على القلب، فإن لدينا قدرةً مذهلةً على تقوية الآخرين وتشجيعهم. وعندما نقدم هذه العطية، لا يسعنا سوى أن نُرفع نحن أنفسنا. كيف يحدث هذا؟ إننا نرفع الآخرين من خلال التكلم بالقوة على ضعفهم. أنا لا أطلب منكِ أن تتبعي أسلوب الإنكار أو تتجاهلي العيوب أو الضعفات التي ترينها. لكنني فقط أطلب منكِ ألا تُدخليها في المحادثات.

وبــدلًا من التحدث عمَّــا هو خطأ، أدعوكِ إلى أن تأخــذي عطية الكلمات التي لديكِ وتقوي بها المناطــق الضعيفة. لقد آن الأوان لأن نتكلم بالحل بدلًا من المشكلة. معظم الناس يعرفون أين تكمن مناطق ضعفهم، لكنهم يتوقون إلى أن يســمعوا تفصيــلًا لمناطق قوتهم. أليس هذا هو مــا يفعله الله لنا؟ إنــه يحيطنا بكلمــات الرجاء والحياة والوعد والاســترداد. ما الذي يفعله؟ إنه يعطينا مثالًا لقوة إعادة بناء الآخرين.

«ومنكَ تُبنَى الخِرَب القديمة. تقيم أساسات دور فدور، فيسمونكَ: مُرمِّم الثغرة، مُرجِع المسالك للسكنى». (إشعياء ٥٨: ١٢)

هنــاك البعض بيننــا اللواتي يرفضن أن يصدقن أن مصيرنــا هو الدمار. أنتِ ابنة مؤهلة بالقــدرة على البناء، والإقامة، والاســترداد. يمكنكِ أن تكوني حلًا للثغرات وتعيدي تلك المسالك التي تربط مرة أخرى بين من يسكنون عالمنا.

يبدأ الأصحاح الرابع عشر من سفر الأمثال بهذه النصيحة:

«حكمة المرأة تبني بيتها، والحماقة تهدمه بيدها». (أمثال ١٤: ١)

هناك مقابلة واضحة هنا: يمكننا أن نبني بكلمات حكمتنا أو نهدم بأيدينا. تشير الأيدي إلى ما نفعله بقدراتنا الطبيعية. وهذا يشمل النقد والنكد. المرأة الحكيمــة تدرك أن المــوت والحياة ينطلقان من خلال قوة اللســان، وبالتالي تختار كلماتها بحكمة. غالبًا ما يحتاج الرجال والنســاء إلى التشجيع بطرق مختلفــة وفي مناطق مختلفة. تريد النســاء أن تشــعرن بالمحبة والتفهم، بينما يريد الرجال الاحترام والإعجاب.

وبغــض النظر عــن نوعنا، يمكنني أن أؤكــد لكِ أن النقد ســوف يعمل في النهاية ضد ما ترمين إليه. مع أنني أســافر وأتحدث إلى النســاء، إلا أن القوة المُحرِّكــة لبيتي قــوة ذكورية. فأنا المرأة الوحيدة في بيت به خمســة رجال. والحيــاة مع هذا العــدد من الذكور أمــر يدفعكِ للتفكير. صدقيني، ليســت النساء فقط هن الذين يُجرَحن من الكلمات القاسية.

الانتقاد يجرح مثل حد السيف. فهو يشق -دون تمييز- بأحكامه اللاذعة، ويجرح القلب البشري، ويخمد الروح. يقول (أمثال ١٢: ١٨): «يوجد من يَهذُر مثل طعن السيف». إذا كان الانتقاد والحكم يمثلان حد السيف، فيمكن إذًا تشبيه اللطف بسطح السيف أو وجهه الذي يرفع من خلال تقديم التشجيع والقوة. ولأننا مخلوقون على صورة الله، فقد عهد إلينا بعطية الكلمات. كلمة الله هي السيف المُطلَق الأقوى، لكن كلماتنا يمكنها أن تسبب الفوضى والضرر إذا لم تُستخدَم بمحبة. يصف سفر الأمثال قوة المرأة على ترقية الآخرين أو بنائهم بهذه الطريقة:

«تفتح فمها بالحكمة، وفي لسانها سُنَّة المعروف». (أمثال ٣١: ٢٦)

يوجد في هذه الآية أكثر مما قد يُفهم بصورة مبدئية. أولًا، يجب أن تكون الحكمة هي ما يدعونا أن نتكلم. فالحكمة دائمًا ما تُنهِض الآخرين بصور عن طريقة أفضل. تتمتع النساء بموهبتي الحدس والبصيرة، وهذا هو ما يعطينا الوعي بشيء على المستوى الإدراكي الحدسي دون دليل فعلي على وجوده - إنه لمحة في نطاق غير المنظور والممكن. لا يمكن لأحد أن يرى الإمكانيات الموجودة في حياة الرجل مثل المرأة. لا يوجد من يحظى بمكانة أفضل من الأم لكي تتكلم بالحياة المستمرة والانتعاش على أبنائها وبناتها، كما أنه لا يوجد ما يشفيكِ أكثر من أن تشعري أن امرأة أخرى تعرف ضعفاتكِ وتفهمكِ ومع هذا تشجع نقاط قوتكِ.

لا يمكن لأحد أن يرى الإمكانيات الموجودة في حياة الرجل مثل المرأة.

لكن قدرتنا على التأثير تحمل إمكانية التواصل إلى ما هو أبعد من هذا. فالحكيمات عطية بالنسبة لثقافتهن. لا يوجد مصدر إلهام أعظم من أن ترعى المرأة الجمال في حياتها وبيتها، وتتمتع بحسن التمييز، وتتبع التوجيهات الإلهية، وتقدم الحكمة. في اعتقادكِ، لماذا كانت سفن الرحلات تضع صور نساء على مقدماتها؟ ألم تكن هذه صورة للجمال الأنثوي وأيضًا للقوة التي كانت تحفزهم وسط العواصف والخطر؟ لماذا يشار إلى كل سفن السفر بصيغة المؤنث؟ ربما يكون الحضور الأنثوي هو الذي يرجعهم

إلى بيوتهم. فالنساء يحولن البناء المادي للمنازل إلى مناخ البيت عن طريق ملئه بالمحبة والرعاية.

تُعِد النساء أجوبة لينة تصرف الغضب. إنهن الأمهات اللواتي تعُلْن بيوتهن بمفردهن وتعرفن كيف ترضين بالفتات الساقط من على المائدة لكي تنال بناتهن الشفاء. إنهن نساء الأعمال القادرات اللواتي تدرن عملًا مربحًا. إنهن حازمات لكن لطيفات. إنهن الصوت المنخفض الخفيف وسط العاصفة. إنهن أغنية الهدهدة الناعمة في الليلة المظلمة المضطربة.

عندما تفسد قوة الخير

إذا كانت لنا القوة لنبني ونعزي ونشفي القلوب لأننا ندخلها على مستوى أعمق وأقرب، فسيكون من المنطقي أن تسبب كلماتنا غير المبالية ضررًا عظيمًا.

همس ابني في أذني ذات مرة وأنا أضعه في فراشه قائلًا: «أمي، أرجوكِ لا تدعيها تأتي». كنا أنا وجون قد خرجنا لنقضي وقتًا رائعًا ونادرًا بمفردنا، وعدنا للبيت بعد أن جاوزت الساعة العاشرة مساء. كان الأولاد سيذهبون للمدرسة في الصباح التالي، لذلك فوجئنا بأن نرى أصغر أبنائنا ينزل من على السلم ليقابلنا عند عودتنا. واضح أنه ظل مستيقظًا بانتظارنا، وكان يصغي جيدًا ليسمع صوت باب المرأب وهو ينفتح. عانقنا نحن الاثنين، ثم طلب مني أن أضع ضمادات على بعض لدغات الحشرات التي حكها فتحولت إلى جراح مفتوحة. فأخرجت الضمادات وذهبت إليه. شعرت أنه كان مضطربًا، لكنني ظننت أنه كان فقط يريد بعض الاهتمام قبل النوم. عند ذلك خرج كل أولادي من غرفهم وذهب جون ليعيدهم إلى غرفهم مرة أخرى. لكن آردن تباطأ.

«أمي، هل ستأتي وتقبليني؟»

فأكدت له قائلة: «أجل، سوف آتي إليك بعد دقائق قليلة».

وجدته محتميًا خلف سور من الوسائد في فراشه العلوي في السرير المزدوج. لم أستطع رؤيته، لكن وصلني صوته:

«أمي، أرجوكِ لا تدعيها تأتي». فتسللت السلم إليه.

سألته: «آردن، عمَّن تتحدث؟ ما الذي حدث؟»
فذكر فتاة صغيرة كنا نعرفها.
وأكمل قائلًا: «لقد قالت لي شيئًا مزعجًا حقًا».
كان أخوه «أليك» يصغي في فراشه السفلي فقاطع الحديث قائلًا: «ماذا قالت؟»
تردد آردن، وكان خجلانًا من أن يكرر كلماتها: «لقد قالت إنها تكرهني. قالت: 'يا آردن أنا أكرهك!'»

أرجو أن تلاحظي أن ابني هذا، نظرًا لأنه كان له ثلاثة إخوة أكبر منه، فقد كان معتادًا على أن توجَّه الشتائم له. لكن هذا كان مختلفًا تمامًا. فقد كان رفضًا مطلقًا وكاملًا له كشخص، وكان هو يعلم هذا. لقد اخترقت كلماتها جوهر كيانه. أشك أنها أدركت حتى أن هذه الكلمات اخترقته بهذا العمق.

«يا آردن، أنا واثقة أنها لم تكن تعني ذلك. أحيانًا، عندما تغضب الفتيات، يقلن أشياء لا يقصدنها حقًا».
بدا متشككًا، فأكملت حديثي قائلة: «حسنًا، أنا متأكدة أنها لم تقصد أن تجرحك. دعنا نصلي ونغفر لها».

وبينما كنت أنزل من على السلم، تساءلت:« لماذا جرحه الأمر بهذا العمق؟» وعندما فكرت مليًا، أصبحت أؤمن حقًا أنه جُرح بسبب حدة مشاعرها. وبالرغم من أن الإساءة حدثت خارج بيتنا، إلا أنه كان يريد مني تأكيدًا بأن هذه الإساءة لن تتكرر تحت سقفنا. بالحقيقة لا يوجد شيء مرعب أكثر من الشعور بعدم الأمان في بيتكِ.

قدرة المرأة على أن تجرح

فكرت مرة أخرى في الاختلافات بين النساء والرجال. أظن أن النساء يتواصلن بصورة أكثر حميمية على مستويات كثيرة مع مشاعرهن. وعادة ما تكون هذه نقطة ضعف لدى الرجال، الذين ليسوا مجهَّزين عاطفيًا مثل النساء. هذا يعني أننا كنساء لدينا القدرة على أن نجرح الرجال أكثر من أي شيء آخر؛ لأننا لنا القدرة على الدخول إلى هدف عميق ... وهو القلب. يجب أن أكون

صادقة - ففي قصة حياتي، شعرت بالإحباط من الرجال، لكنني جُرحت من النساء.

دعونا نرجع لنزور المدرسة الابتدائية. ربما دفعكِ الصبيان على أرضية الملعب في محاولة ليروا ما بداخلكِ. إذا دفعتِهم بالمثل، أو نهضتِ أو تعافيتِ دون بكاء، تكونين بهذا قد حصلتِ على قدر من القبول والاحترام. ففي أرض الملعب، كان الأولاد يقيمون العلاقات ويثبتونها بدنيًا. وهذا يفسر القدر الهائل من الرياضات وإظهارات هرمونات الذكورة النامية. أما أرضية الملعب بالنسبة للفتيات فكانت مختلفة. كانت الفتيات تتجمعن في مجموعات صغيرة من اثنتين أو أكثر قليلًا ويهمسن عن قرب ليكشفن أسرارهن ونفوسهن. وكنت إما تُضمين للمجموعة أو تُستَبعَدين. قد لا يدفعنكِ فعليًا، لكنهن قد يتجاهلنكِ أو يدرن ظهورهن لمحاولاتكِ أن تتواصلي معهن. وبينما كان الأولاد يسرون بعدم البكاء، فيبدو العكس مع الفتيات، فهن يردن منكِ أن تبكي.

لابد أن أتساءل إن كان هذا هو تجاوبنا مع مجتمع ظل لوقت طويل جدًا لا يقدِّر أو يعزِّز في بناته ما يتعلق بالجمال والرعاية والحكمة واللطف. فحتى نستطيع أن نعيش دون أن تكون لنا قيمة موروثة تختص بنوعنا، هل يمكن أن نكون قد تطورنا وتكيفنا من خلال تنمية بعض المهارات الشريرة بعض الشيء؟ إذا لم يكن باستطاعتنا أن نهزم الرجال على المستوى الجسدي، هل نهاجمهم من موقع قوتنا العاطفية والخاصة بالعلاقات؟ هل هذا هو معنى المحاربة في المعركة بين الجنسين؟ أن يستخدم أحد النوعين بحماقة نقاط قوته لمهاجمة النوع الآخر في المواضع التي يبدو فيها ضعيفًا؟ وما الذي نحارب لكي نفوز به؟

كثيرًا جدًا ما تكون النساء موصِّلات أفضل للمشاعر والعواطف عن الرجال. يجب أن يعني هذا أنهن أفضل في تعزيز العلاقات لمنفعة الجميع. معظم الأطفال من الإناث يتكلمن (ويُجدن استخدام دورة المياه) قبل أقرانهن من الذكور بوقت طويل. بل إنهن لا يشكِّلن الكلمات قبلهم فحسب، وإنما تستطيع معظمهن أن يقلن عبارات كاملة بينما يكتفي الأولاد بإكمال التواصل بالإيماءات والأصوات غير المفهومة.

لن أنسى أبدًا أول مرة رأيت فيها هذا التوضيح. كنت أراقب ابنة صديقتي ذات يوم، ووضعتها هي وابني (الذي كان يكبرها بستة أشهر) جنبًا إلى جنب على مقعدين مخصصين لتناول الطعام لإطعامهما. بدأت الفتاة تلتقط بحذر شديد بعض حبات البازلاء مستخدمة سبابتها وإبهامها وتضعها برقة في فمها. أما ابني، فكان يهشم الحبات بيده وبعدها يحاول أن يضع أول حبة في فمه. نظرت في صدمة وقلت: «إننا بلا شك مختلفون».

وبما أن المقصود في لعبة الحياة هذه من النساء والرجال أن يكونوا فريقًا واحدًا وليسوا خصومًا، فإننا نحتاج إلى المشاركة بنقاط قوتنا. وبدلًا من أن ننتقد الرجال بسبب ما لا يمكنهم التعبير عنه، يجب أن نعبِّر نحن عنه برقة نيابة عنهم. وبدلًا من الإشارة إلى نقاط ضعفهم، يجب أن نقدم لهم نقاط قوتنا. لندعهم يهشمون وسوف نثني بأناقة على نصرتهم.

مثال على ذلك: كان لي امتياز تحرير غالبية كتب زوجي؛ في البداية كنت أشعر بالاعتداد بنفسي بعض الشيء. كنت كثيرًا ما أشير إلى أخطائه أثناء تنقلي بين الفصول. تخيلت أني أساعده وأؤهله لمحاولات الكتابة في المستقبل، لكنني لم أكن كذلك. فقد كنت أهز ثقته وأعلِّي من أسلوبي الشخصي.

وأخيرًا، فهمت؛ لم تكن مهمتي أن أنتقد عمله، بل أن أضفي القوة عليه. وبهذا الإعلان، بدأت أعمل بتوجُّه مختلف. فبدلًا من أن أشير إلى كل المواضع التي اعتقدت أنه كان لا يفهمها، بدأت أستمع إلى قلب ما كان يقوله. أصبحت أقدم الفصول التي انتهيت من تنقيحها وأترك الغرفة لكي أدعه يقرأ بمفرده. قبل هذا، كنت أراقبه حتى يمكنني أن ألفت نظره إلى روعة عمل يدي. في هذه المرة خرج من الغرفة مبتسمًا وقال لي: «لقد قلتِ الكلام بالطريقة التي كنت أريد أن أقوله بها!»

كان مسرورًا أنني فهمت ما كان يريد أن يقوله ونقحت صياغته للكلمات حتى توصِّل الفكرة بأفضل ما يمكن. لقد ائتمنني على نقطة ضعف لديه، «أنا أعرف ما أريد أن أقوله، لكنني فقط غير متأكد من الكيفية التي يجب أن

أقوله بها». وقدمت أنا له نقطة قوتي. شعر بالتشجيع والبناء. فقد أمسكت بقلبه ووصلته للآخرين دون التشهير به.

أنتِ الحارسة لقلب الله. أنتِ سفيرة محبته لعالم مجروح ومائت. بدلًا من أن نتنافس مع الآخرين، هل يمكننا أن نلمح قلوبهم ونوقظ نقاط قوتهم؟ الرجال والنساء -على حد سواء- يراقبون وينتظرون أن يروا قوة محبة الله في حياتكِ. ما هي بعض الطرق التي يمكنكِ بها أن تتكلمي إلى الضعف وتقوي الآخرين؟ كيف يمكن أن يبدو هذا:

في حياة زوجكِ؟
في حياة أولادكِ وعائلتكِ؟
في حياة أصدقائكِ؟
وماذا عن حياتكِ؟ هل ستسمحي للمحبة أن تتكلم إليكِ وترفعكِ إلى موضع قوتكِ؟ التزمي بأن تقولي عن نفسكِ ما يقوله الله عنكِ:

«محبة أبدية أحببتكِ من أجل ذلك أدمت لكِ الرحمة. سأبنيكِ بعد».
(إرميا ٣١: ٣-٤)

«إياك قد اختار الرب إلهكَ لتكون له شعبًا أخصَّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض». (تثنية ٧: ٦)

دعونا نصلي:

أبي السماوي،
آتي إليك في اسم يسوع. أريد أن أعرف قوة محبتك. أريد أن تُظهِر حياتي هذه القوة في كل الجوانب والعلاقات. أريد أن أوقظ نقاط القوة، لا أن أنتقد الضعفات في الآخرين. أريد أن أستخدم كلماتي لأبني آخرين وأزرعهم، لا لأهدمهم. إني أقبل حياتك ومحبتك وأؤمن أنني مختارة وأنني كنز خاص بالنسبة لك. أؤمن أنك تملك القدرة على أن تبني حياتي. أقدم لك كل موضع مكسور ومنهدم. افعل ما تريد إذ أُخضِع لك ضعفاتي، أيها الآب. غطني بقوتك، وبقوة روحك القدوس اكشف محبتك في حياتي ومن خلالها. آمين.

الفصل العاشر

اثنان بقلب واحد

في وقت مبكر من هذا العام، حضرت مؤتمرًا أشارت فيه المتكلمة إلى الصحة الحالية لبيتنا الأرضي. وقد أثرت عبارة بسيطة قالتها عن أن «الأرض ليست بحالة جيدة» على حياتي على مستوى عميق. ووجدت أنني لا يمكنني أن أنفضها من داخلي. بالطبع، يمكن لنظرة واحدة إلى ما حولنا أن تجعل هذا الإدراك يصدمنا جميعًا. لكن لم يكن هذا هو ما جذبني. بل إن ما أثار اهتمامي كان هو السؤال عن السبب وراء مرض الأرض.

تعتبر مفاهيم المحبة والاحترام والحماية والكرامة أكثر من مجرد مفاتيح للزواج الناجح والعلاقة الحميمة. فهي مبادئ سرمدية لها القدرة على استعادة شيء حيوي ضاع من الرجال والنساء، وهو قوة السيادة. لاحظي أنني لم أقل السيطرة؛ فالسيطرة هي تحريف لعطية القوة والسلطان التي أعطاها الله.

«السماوات سماوات للرب، أما الأرض فأعطاها لبني آدم». (مزمور ١١٥ : ١٦)

ترتبط السيادة بالقوة الحاكمة، أو السلطان، أو التحكم. وهي تصف منطقة النفوذ. وتُعرَّف أيضًا على أنها أرض يحكمها حاكم، والسلطان على منطقة معينة. ما الذي فعلناه بسيادتنا؟ كل السلطان، سواء المعهود إلى الرجل أو المرأة، مُعطى لكي يخدم الآخرين لمنفعتهم ونموهم. تأسس النمط المطلق للسيادة في سفر التكوين عندما سلط الله الرجل والمرأة على الأرض وأوصاهما أن يخضعاها ويكثراها ويملآها. كانت سيادتهما هي لخير الأرض ومخلوقاتها. أما السيطرة فهي تفيد المسيطِر فقط على

حساب من يسيطر عليهم. عندما خسر الرجل والمرأة سيادتهما أو نفوذهما، عانى كل ما كان تحت سيادتهما أو في نطاق رعايتهما.

«وباركهم الله وقال لهم: ‹أثمروا واكثروا واملأوا الأرض، وأخضعوها، وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدبّ على الأرض›. وقال الله: ‹إني قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرًا على وجه كل الأرض، وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرًا. لكم يكون طعامًا› ... ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدًا». (تكوين ١: ٢٨-٣١)

كم أحب كلمات هذه البركة. يمكنكِ أن تسمعي حماس الله وهو يمنحهم السلطة. لا يمكنني أن أوفي هذه النقطة حقها من التأكيد: إن الله يباركهما معًا ويقول إن هذا «حسن جدًا». فمعًا لم يكن هناك نقص أو ضعف. كل جانب من الحياة كان كاملًا.

ما يقدمه الرجال والنساء

لازالت البركة حاسمة اليوم، لأنها لها القدرة على أن تستدعي للوجود ما قد تحتاجينه أيًا كان. لقد أعطى الله لآدم وحواء الشيء الأكبر؛ فقد نالا الأرض بملئها، وبصفتنا نسلهما، فإننا لم نختبر قط الأرض وملأها.

مؤخرًا، بينما كنت في جبال ألاسكا، أذهلني منظر الجمال الشامل. لم أستطع أن أتخيل أي شيء محتفظ بنقائه أكثر من هذا. ولكن بعد آلاف السنوات من الانحدار، فإن كل ما نختبره هو جزء من روعة أرضنا السابقة. حصل الزوجان الأولان على كل شيء. فقد امتلكا كل شيء لازم لبداية الترتيب حتى يمكن للأرض أن تزدهر. بدأ آدم هذه العملية عندما حدد الأسماء. وبهذا أرسى التحديد والمكانة والموقع في الخليقة. على سبيل المثال تحولت المصطلحات العامة مثل «مخلوق» و «حيوان» إلى عدد من الكائنات المحددة -فرس، كلب، نسر، سمكة، وهكذا- وتمت تسمية كل كائن، وترتيبه في أزواج، ووضعه في مكانه.

ثم أتت حواء إلى المشهد وجلبت معها عطية العلاقات. فعززت من ارتباط

آدم. وتشـمل الأمثلة على ذلـك الصداقة، والحميمية الجنسـية، والأطفال. فبدون حواء، كانت لدى آدم البذرة، لكن لم يكن لديه البسـتان الذي يزرع فيه هذه البذرة. لم يمكن لبذاره أن تأتي بثمر. فبدون المرأة، يكون للرجل وفرة من الطعام دون أن يكون له شـخص يستمتع معه بهذا الطعام - شخص يفهم مذاق هذا الطعام بالنسـبة له. لم يكن هناك من يمكنه أن يحلم معه. بدون حواء، كان آدم وحده، لكن حواء وسعت حياته على كل الجبهات. منذ البداية، يهتم الرجال بالمكانة والموقع، وتهتم النساء بالعلاقات والمناخ.

إن السـلطان السـليم يهتم بالإمـداد والحماية والتوجيه ونـادرًا ما يتولاه بالكامل شـخص واحد بمفرده. إذ يتم تفويضه وتوليه بصورة عامة بضوابط وتوازنات. ورموز السلطة أو الأنظمة موضوعة لكي ترسي الترتيب حتى يمكن للبيئات من كل الأنواع أن تزدهر. إذا أُسـيء استخدام السلطان، فسوف يعمل في النهاية ضد هدفه.

على سبيل المثال، فإن أصحاب الأعمال الذين يسيئون استخدام مناصبهم سـرعان ما سـيجدون الموظفين يعملون فقط للحصول علـى أجرٍ بدلًا من أن يعملـوا بدافع الالتزام ببناء شـيء ناجح. مثل هـذه الإدارة قد يكون لديها الانطبـاع الخاطئ أنها في الحقيقة لا تحتـاج إلى عامليها، مما ينمي توجه أنهم يحسـنون على الموظفين بأنهم يسمحون لهم بالعمل. إذا فشل القادة في أن يضمنوا للعاملين لديهم إحساسًـا بالشمول، فسرعان ما يُسلب من العاملين أي إحسـاس بالإنجاز. ومع نقص الإشـباع هذا، يموت اسـتمتاعهم بالعمـل، ويصبـح مجرد وظيفة. ويتحول السـلبيون إلـى روتينيين لا يبذلون أقصى جهدهم. ويشـعر الرئيس بالإحباط نتيجة مـا يعتبره نقصًا في الأداء. ويشعر كما لو أنه يحمل عبء الشركة بأكملها ويجرّهم لكي يتحركوا معه. غالبًا ما يكون هذا النوع من المديرين غير واعٍ بخطئه الجسـيم. فإنه عندما ينكر علـى موظفيه إحساسـهم بالقيمة، يظل وحده. كانوا سيُسـرُّون بأن يحملوا معه العبء إذا شـاركهم به بإحسـاس من القيمـة والتمكين. وهذا خطر آخر محيط بالرؤسـاء المتغطرسـين. إذا كان هنـاك قادة محبطون في الصفوف، فسوف يحاولون تدمير الإدارة. لماذا؟ لأنه لا يمكن لأحد أن يعمل إلى الأبد نحو نجاح لن يشاركه مع غيره.

القيادة المشتركة

هناك مفهوم مشابه لهذا في الزواج: فالرجل ليس هو الرئيس الذي تعمل المرأة لديه. بل إنه القائد الذي يعمل معها. في الواقع، إذا كان حكيمًا، فسوف يخبرها مرارًا وتكرارًا أنه لا يستطيع العمل بدونها. كم أحب أن يخبرني زوجي أنه يحتاج إليَّ. ما الذي يفعله؟ إنه يمارس موهبته في أن يسمي الأشياء فيسميني «ضرورية». وهذا يجعلني أشعر بأن لي سلطانًا فريدًا لأن أوفِّر له أي شيء ينقصه. وإذا لم أعرف كيف أكون تلك المرأة، فسوف أفعل كل ما باستطاعتي لكي أعرف كيف يمكنني أن أكون هكذا. فأنا أزدهر عندما يسميني أساسية.

إذا أساء الرجل استخدام سلطانه، سوف ترين هذا ينعكس في زوجته وأولاده. وإذا أساءت المرأة استخدام نفوذها، سوف ترين هذا ينعكس في زوجها. سوف ترين زوجين يشعران بالمرارة وعائلات تعاني من الصراعات. في هذا الفصل، سوف أركز على الزواج وكيف يريد الله أن يرد السيادة، التي هي قوة اثنين بقلب واحد.

إذا تسلط الرجل على زوجته، سوف تتجاوب عادة بطريقة من اثنتين: إما أن تنكمش وتنسحب، أو تقف ضده وتتمرد عليه. أحيانًا قد يشتمل هذا أيضًا على استيلاء عدائي. تختلف السيطرة كثيرًا عن القيادة؛ فالقيادة تشتمل على كرامة الاختيار، أما السيطرة فتطالب دون تقديم خيارات.

سوف تتعرفين على الفور على النساء اللواتي يتعرضن للسيطرة. ومما يُخجِلنا أنه كثيرًا جدًا ما تملأ صفوفهن الكنيسة. وبعد سنوات طويلة من إساءة المعاملة السرية، يبدو أنهن ينكمشن داخل أنفسهن. يمكنكِ أن تشعري فعليًا بعدم موافقة أزواجهن أو رفضهم في سلوكهن الجسدي. وبدون وجود شبكة دعم نشطة، يمكن أن تصبح هؤلاء النساء ظلالًا لما كنَّ عليه قبل الزواج.

عادة ما تكون ثقتهن مصابة، ويكنَّ قد توقفن منذ فترة طويلة عن

الإضافة إلى علاقة الزواج؛ لأن كل ما كان لديهن قد أُخِذ منهن. لم يعدن يقدمن الأفكار أو الآراء لأنهن تعرضن للتقليل من شأنهن أو الرفض لسنوات طويلة. وأصبحت قوة حدسهن الأنثوي مُشوَّهة في صورة شعور غير واضح من الشك بالنفس والارتياب. وعادة ما ينفصلن ويغلقن على أنفسهن جنسيًا؛ لأنه يصعب عليهن أن يعطين بحرية ما يُطالَبن به. المرأة التي لا تشعر أنها محبوبة أو جميلة سرعان ما تجفل من أية لمسة حميمية.

تبدو مثل هذه المرأة مشوَّشة وغير قادرة تقريبًا على اتخاذ القرارات. وفي خوفها، تشعر بالحاجة إلى أن تذهب بكل شيء أولًا إلى زوجها لكي تأخذ منه الإذن أو الرأي. أنا أشجع كثيرًا كل الأزواج والزوجات أن يتخذوا قراراتهم معًا، لكنني لا أشجع أن يتخذ الرجل كل القرارات نيابة عن زوجته وليس معها. هذا الزوج في غضبه عادة ما لا يريد أن يمنح زوجته الإذن، ولا يمر وقت طويل حتى تكف هي عن الطلب. بل قد ترتد المرأة أيضًا عن سلطانها المُعطَى لها من الله كأم. غالبًا ما يكون هذا لأن الزوج لا يساند الزوجة عندما تصحح أو تؤدب الأطفال. فبدلًا من أن تعاني الأم من احتقار أطفالها، تلتزم الصمت. أحيانًا، لا تمارس المرأة سلطانها لأنها تشعر بشدة بعدم القيمة، ونتيجة عدم نوالها السلطة ويأسها، تفكر أنه ربما سيكون أولادها أفضل دون تداخلها معهم. يعكس وجهها هزيمة حزينة. لديها القليل جدًا من الأصدقاء القريبين بسبب العار السري الذي تحمله. وبما أنها زوجة غير محبوبة، فسرعان ما تذوي من التلامس مع الجميع. لقد نسي زوجها أن يطلق عليها اسمًا يُشبِّه محبته لها. فاسم «المحبوبة» و «الضرورية» ليسا على شفتيه.

اسم «المحبوبة» على شفتيه

لا تخافي يا ابنة، فهناك تعويض. يوجد شخص آخر يشتاق أن يطلق عليكِ اسمًا:

«لا تخف لأني فديتك. دعوتك باسمك. أنت لي».
(إشعياء ٤٣: ١)

إن خالق السماء والأرض يدعوكِ ويسميكِ خاصته. وأيضًا:

«لأنه كامرأةٍ مهجورة ومحزونة الروح دعاكِ الرب، وكزوجة الصبا إذا رُذِلتِ، قال إلهكِ». (إشعياء ٥٤: ٦)

أيتها المكسورات، يوجد رجاء لكُنَّ؛ لأن هناك شخصًا يشتاق لا لأن يلمس حياتكن ويشفيها فحسب، بل سوف يحارب عنكن في مجال أو آخر.

«تحت ثلاثة تضطرب الأرض، وأربعة لا تستطيع احتمالها: تحت عبد إذا ملك، وأحمق إذا شبع خبزًا، تحت شنيعة (غير محبوبة) إذا تزوجت، وأمة إذا ورثت سيدتها». (أمثال ٣٠: ٢١-٢٣)

هل ترين هذا؟ لقد أسس الله الأرض بحساسية تجعلها تضطرب للظلم الذي تتعرض له المرأة المُرَّة غير المحبوبة. إنها تتزلزل عندما تأتي أمة (معيَّنة لكي تخدم) وتحل محل سيدتها (التي يفترض بها أن تقود). لماذا يتسبب هذا في أن تهتز الأرض؟ هل لأن صحة الأرض مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمحبة والسيادة السليمة للرجل والمرأة؟ عندما يعيث السلطان والمحبة في الأرض فسادًا، يتألم العالم. عندما يُستخدم السلطان الممنوح لنا من الله ضد الحلفاء بدلًا من أن يستخدم ضد العدو، تدخل الطبيعة كلها في الصراع والعذاب الناتجين عن هذا. ومما يخجلنا، أن معدل الطلاق في الكنيسة ليس أفضل مما في خارجها. لماذا لاتزال الديانة غالبًا هي الأقل حساسية تجاه المرأة؟

لقد أسس الله الأرض بحساسية تجعلها تضطرب للظلم الذي تتعرض له المرأة المُرّة غير المحبوبة.

حزنت مؤخرًا أثناء عودتي لوطني أستراليا من مقالة قرأتها، كانت تناقش مسألة ضرب الزوجات وكيف أن البعض يعتبرونه أمرًا شرعيًا. كنت أعلم أن هذه الأمور تحدث في بعض دول العالم، لكن ما كسر قلبي هو الإعلان عن الألم السري لمثل هؤلاء النساء. كان ما يحدث هو بمثابة خطة تخلو من المشاعر للسيطرة على الزوجة. الخطوة الأولى فيها هي منع العلاقة

الجنسية، التي أظن أن البعض يراها مرادفًا للمحبة. وإذا لم يفلح الأمر، فيمكن اللجوء إلى الضرب.

هل تضطرب الأرض الآن من طريقة معاملة هؤلاء البنات؟ إن كل دولة تقريبًا تعاني من اضطراب اقتصادي مذنبة بانتهاك حقوق النساء. إياكِ أن تتخيلي للحظة أن هؤلاء النساء لسن غاليات ومحبوبات في نظر الآب السماوي. إنه يلاحظ. لماذا تعد الدول التي تنتهك حقوق النساء بين أكثر الدول غير المستقرة اقتصاديًا وحكوميًا بالرغم من أنها كثيرًا ما تكون غنية في الكثير من الموارد؟ إنها دول غير رابحة لأن بها الكثير من السيطرة السياسية والدينية وليس السيادة. لكن الله ليس قاسيًا أو بعيدًا عن بناته الواقعات في شرك هذه المواقف. بل إنه يحزن عندما يرى امرأة غير محبوبة.

«ورأى الرب أن ليئة مكروهة ففتح رحمها». (تكوين ٢٩: ٣١)

عادة ما يفتح الله الأرحام لكي يرد القلوب المغلقة. فقد أعطى ليئة ابنًا، لكي يحافظ على المحبة حية بداخلها ويطلق سهمًا من النسل إلى مستقبلها. السيطرة تُنتِج الطلاق، والانقسام، والخسارة. أما السيادة فتعطي الميراث. إن المعركة بين الحية والمرأة لم تنتهِ بعد لأن النصرة الكاملة لم تتحقق بعد.

أين المحبة؟

أين استرداد العلاقات؟ أين ملء النصرة التي اشتراها يسوع المسيح، الذي كان هو نسل حواء؟ متى سنُعرف بحبنا بعضنا لبعض؟ هل جاء يسوع فقط لكي يعطينا حياة بعد الموت؟ لا، لقد أتى لكي يرد ما قد فُقد في كل علاقة.

«وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل». (يوحنا ١٠: ١٠)

وأيضًا،

«لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلِّص ما قد هلك». (لوقا ١٩: ١٠)

لا يبدو أن هذا يشير إلى مجرد البقاء إلى أن نصل إلى السماء. بل يبدو أنه يشير إلى الفيض والاسترداد في الوقت الحاضر. يجب أن تكون العلاقات مليئة بالحياة واستعادة ما فُقد. كثيرًا جدًا ما نكون في غاية التدين لدرجة أننا نسمع (لوقا ١٩: ١٠) على أنها تصف فقط الحملات التبشيرية التي تحمل الوصية بالمزيد والمزيد. سمعت مؤخرًا أحد القادة يدعو أصحاب الأعمال أن يكتشفوا مفهوم «ما قد هلك» ويكفوا عن الشعور بالخجل إذا كان الله قد أعطاهم موهبة القدرة على النجاح. وبينما كنت أستمع، قفز قلبي في داخلي. لماذا لا نمد هذا الحق إلى العلاقات أيضًا؟ يمكن للرجال والنساء أن يعيشوا كواحد مرة أخرى! هناك إمكانية للاسترداد في كل علاقة اختبرت الخسارة. استخدم بولس مثال الزواج لكي يوضح علاقة المسيح بالكنيسة. وهذا يعني أنه يمكننا أن نختبر هذا الشفاء في زيجاتنا الآن!

«أيها الرجال، أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضًا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، ... كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه». (أفسس ٥: ٢٥، ٢٨)

خلاصة القول هي أن الزوجة مخلوقة لكي تُحَب. كيف يحب المسيح الكنيسة؟ لقد بذل حياته لأجلنا وهو يحبنا بصفتنا خاصته. الرجل الذي يحب زوجته يحب نفسه. هل يعني هذا أن الرجل الذي يبغض زوجته يبغض نفسه؟ أعلم أن الرجل الذي يتسلط على زوجته يسلب نفسه من كل ما لها لتقدمه له. فهو من خلال التحكم فيها، يغلق ينابيع الحياة لديها ويفقد مواهب البصيرة والرقة لديها. أحيانًا تُترك المرأة ولها رجاء واحد فقط - أن يسمع الله أنها غير محبوبة. تعلي رسالة أفسس من شأن العلاقة بين الرجل والمرأة بمقارنتها بالمسيح والكنيسة:

خلاصة القول هي أن الزوجة مخلوقة لكي تُحَب.

« من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسدًا واحدًا. هذا السر عظيم، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة. وأما أنتم الأفراد، فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه، وأما المرأة فلتَهَب رجلها». (أفسس ٥: ٣١-٣٣)

من أين يقتبس بولس القول «من أجل هذا»؟ إنه يقتبس من سفر التكوين. فهو يعيد ترسيخ القصد الأصلي وأبعاد العلاقة الأصلية. هنا يتضح دور الرجل أكثر حتى من دور المرأة. يجب على الأزواج أن يقدموا المحبة، ويجب على الزوجات أن يقدمن الاحترام، لأن النساء يحببن أن ينلن المحبة، والرجال يحبون أن ينالوا الاحترام.

إن الفداء له القدرة على استرداد كل ما فُقِد في تعدي السقوط. فالسقوط لم يفصلنا عن محضر الله فقط، بل وجدنا أنفسنا أيضًا منزعجين في صحبة أحدنا الآخر. إذا كان الفداء قويًا بما يكفي ليرد علاقتنا مع الله، فهو بالتأكيد ملزِم بما يكفي لأن يصالحنا بعضنا مع بعض. يبدأ الاسترداد عندما نخضع لحق كلمة الله ونختار بإرادتنا أن نفعل الأمور بطريقة الله. هل نجرؤ على أن نصدق أن الأزواج سوف يحبون زوجاتهم والزوجات سوف يحترمن أزواجهن مرة أخرى؟ هل يمكن استعادة المحبة والاحترام المفقودين منذ زمن طويل؟ أجل، لكن ليس بدون الاسترداد الشافي من الله. لديَّ رغبة شديدة أن أرى كل زواج مباركًا وعائدًا إلى حالة وحدة المشاعر وميراث السيادة. يجب أن يوحِّد الزوجان حياتهما لأنهما معًا أقوى مما يكون عليه كل منهما بمفرده.

أنا وجون لدينا نقاط قوة ونقاط ضعف أيضًا، لكن عندما يبني أحدنا الآخر في محبة، تصير المناطق الضعيفة قوية والمناطق القوية رقيقة.

عندما يتعارك الزوجان

إن الله يبحث عن اثنين يمكنه أن يباركهما، لكن المسألة ليست مسألة العدد، بل مسألة القلب وحالة القلب. غالبًا ما يكرر الناس المواعيد ويعرفون معناها، لكن يبدو أنه لا يوجد شيء ينجح معهم. الأزواج والزوجات يحاربون بعضهم البعض، ثم يتساءلون لماذا يبدو وكأن الله لا يصغي. ربما شعرتِ بهذا الشعور. أنتِ تعلمين أن الله موجود وحقيقي، لكن يبدو أن هناك نوع من المسافة الكونية بينكِ وبينه. تشعرين وكأنكِ لا تبذلين أقصى طاقتكِ، بل تعيشين فقط بدلًا من أن تزدهري. لم تعد المسيحية مغامرة، بل قائمة طويلة من الأوامر والنواهي.

عندما تنظرين حولكِ إلى أهل العالم، يبدو كل شيء رائعًا بالنسبة لهم. فأعمالهم تنجح. وزيجاتهم والحياة الجنسية لديهم تبدو مدهشة. تبدو حياتهم مثل احتفال ضخم، فهم لا يشعرون بالذنب، ولا يعولون الهم، بل يتسوقون دون توقف ويرجعون لبيوتهم ليعيشوا في منازل واسعة. لكنكِ على الجهة الأخرى تصارعين مع الشعور بالذنب عندما تقتصدين لتدخري.

إذا كانت أي من هذه المشاعر تنطبق عليكِ، فأنت لستِ وحدكِ. بل ربما يكون الوقت قد حان لفحص القلب. دعونا ننظر إلى مثال من سفر ملاخي. ساءت الأحوال جدًا بالنسبة لشعب إسرائيل لدرجة أنهم بدأوا يتهمون الله أنه غير عادل. ربما لم يسبق لكِ أن أطلقتِ هذه الشكوى نحو السماء. (أعلم أني على الأقل فكرت فيها حقًا بصوت عالٍ). دعينا ننظر إلى رد الله ونرى إذا كان يمكننا أن نستخلص بعض الحكمة لحياتنا اليوم.

«قلتم: عبادة الله باطلة، وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره، وأننا سلكنا بالحزن قدام رب الجنود؟ والآن نحن مطوِّبون المستكبرين وأيضًا فاعلو الشر يبنون. بل جَرَّبوا الله ونجوا».
(ملاخي ٣: ١٤-١٥)

إن الله لا ينام، لكنه يجد أن الشكوى المستمرة متعبة. أغلب الظن أن الناس كانوا يظنون أن الله كان معجبًا بالكيفية التي صاغوا بها طلبهم في صورة صلاة. فيكمل ليشرح أنه ليس ظالمًا ... لكنه ربما يكون غير مسرور بهم بعض الشيء.

لم يكن الله هو مشكلتهم، وقد كان رحيمًا بالدرجة التي جعلته يخبرهم ببعض الأسباب التي لأجلها ساءت الأمور. أولًا، لقد سلبوه من خلال عشورهم وتقدماتهم (انظري ملاخي ٣: ٨). فقد ضنوا عليه وأعطوه البقايا وأسوأ ما لديهم. هل ندرك مدى خطورة أن نسلب الله؟ بعدها كانت هناك إساءة أخرى، تضايق الله حقًا:

«وقد فعلتم هذا ثانية مغطين مذبح الرب بالدموع، بالبكاء والصراخ، فلا تراعى التقدمة بعد، ولا يقبل المُرضِي من يدكم. فقلتم: ‹لماذا؟› من أجل أن الرب هو الشاهد بينك وبين امرأة شبابك التي أنت غدرت بها، وهي قرينتك وامرأة عهدك. أفلم يفعل واحد وله بقية الروح؟ ولماذا الواحد؟ طالبًا زرع الله. فاحذروا لروحكم ولا يغدر أحد بامرأة شبابه. لأنه يكره الطلاق، قال الرب إله اسرائيل، وأن يغطِّي أحد الظلم بثوبه، قال رب الجنود. فاحذروا لروحكم لئلا تغدروا». (ملاخي ٢: ١٣-١٦)

لم يكن الله يكرم صلواتهم لأنهم كانوا يسيئون معاملة زوجاتهم. أتت الوصية للأزواج مرتين أن يتحذروا لأنفسهم ويظلوا دائمًا أوفياء لزوجاتهم. إن الله يحضر عندما يصير رجل وامرأة واحدًا. وهو يحضر لكي يدمجهما معًا، تمامًا كما كان موجودًا عندما صار الواحد اثنين. لا يحب الله أن يعبث أحد مع بناته أو أولاده؛ فالزواج عهد يخلق واحدًا من اثنين. ويكره الله الطلاق لأنه يدمر الأطفال. وفي هذه الحالة، كان الطلاق يعرض الأمهات أيضًا للرفض.

يقول دارسو الكتاب المقدس إنه خلال تلك الفترة كان الرجال معتادين على أن يتحرشوا بزوجاتهم لدرجة أنه عندما كانت النساء تأتين أمام الرب، كان كل ما يستطعن فعله هو البكاء. ويصير الوقت الذي يفترض أن يكون وقتًا للاحتفال بصلاح الله، وقتًا للنواح والضيق.

إلى أي درجة يختلف الحال عن يومنا هذا؟ كم من الزوجات تقضين وقت صلاتهن كله في البكاء أمام الله بسبب ألمهن بدلًا من الاحتفال بزواجهن؟ كم منهن يشبهن المرأة التي تجلس في الاجتماعات والدموع تجري على وجهها بينما يجلس زوجها السابق في الجهة الأخرى مع زوجته الجديدة الأصغر سنًا؟

أشكر الله أنني أرتاد كنيسة تحب النساء وتحميهن. فالله الآب يكره أن يعطينا شيئًا لخيرنا (عطية الزواج) ونحوله نحن للشر (تمزيق الاثنين اللذين كانا واحدًا). واليوم، كما كان في أيام ملاخي، يريد الله من شعبه أن يأتوا أمامه

بالشكر، مملوئين وفائضين بالمحبة والتقدير لكل ما باركهم به. هؤلاء النساء اللواتي كن في زمن ملاخي كن تعيسات للغاية، وكان الشكر هو آخر شيء يمكن أن يشعرن به. كن يشعرن بالرفض والثقل. لم يعدن محبوبات. كثيرًا ما كان الرجال يطردون زوجاتهم أو يطلّقونهن بسبب نساء غريبات وغير شرعيات.

الزواج: جنة المساندة

كانت خطة الله لزيجاتنا دائمًا هي أن تكون ولائم فرح ومحبة، وليست نوعًا من الواجبات والالتزامات. فالله يبغض أن يطلق الزوجان بعضهما البعض عاطفيًا، تمامًا كما يبغض أن يحدث هذا قانونيًا. إنه يريد أن تكون زيجاتنا هي جنات من الدعم والمحبة يستقي منها الطرفان القوة من أحدهما الآخر. إنه يريد أن يتربى أولادنا في جو من المحبة والضحك. أنا لا أعني أن تبقى أية امرأة في زواج يتسم بالإساءة، لكنني أعني أن نغير الطريقة التي ننظر بها إلى الزواج بالكامل.

في حياتي، اختبرت النوعين. كان والداي يعيشان كغريبين في بيت واحد. لقد سمعت تعاليم عن الخضوع ترعب الفتيات الصغار حتى من التفكير في الزواج. فمن التي ترضى أن تلقي بنفسها في حياة الأعمال الشاقة وفقدان الهوية الشخصية؟ كما رأيت أيضًا رجالًا يُحكَم عليهم بالسجن والتحقير من زوجاتهم. يجب ألا يعني الزواج الخسارة لأي من الطرفين. فقد خلق الله جوعًا في آدم للرفقة، ثم شكّل حواء لكي تملأ هذا الاحتياج. كان الله، وليس الإنسان، هو الذي قرر في الأصل أنه ليس جيدًا أن يكون الرجل وحده، والله هو الذي بارك ما كانا يفعلانه معًا.

يجب ألا يعني الزواج الخسارة لأي من الطرفين.

توجد قدرة على الزيادة في كل مرة يكون فيها الاثنان واحدًا. والزيادة ليست قاصرة على إنجاب الأطفال، بل إنها تشمل كل شيء. ما الذي يمكن أن يحدث عندما نسير كواحد؟ سوف يكسب الجميع.

في وقت ما، عانى زواجنا من الصراع الشديد وعدم الاتفاق. وصلنا أنا وجون

إلى طريق مسدود. وبدلًا من أن نواصل المحاربة بصراحة، دخلنا في حالة حرب باردة. واعتبرنا أننا اثنين قد وصلا في محبتهما وصداقتهما إلى حد معين، ولن يزيد هذا الحد أكثر من ذلك. كان جون منشغلًا بالسفر، وكنت أنا منشغلة بالأولاد. كانت مداراتنا تدور منفصلة كل على حدة. بدا هذا أسهل وأكثر أمنًا. شعرت أنني إذا أظهرت له أنني أحتاج إليه حقًا، سوف أعطيه بذلك فرصة أخرى أن يجرحني ويخذلني. للأسف، اعتقدت أن جون يشعر بالمثل. كنا على استعداد أن نمد أيدينا ونلمس الآخرين، لكن ليس أحدنا الآخر. حدث انفصال. كان الأمر وكأننا قد اختبرنا طلاقًا سلميًا دون أوراق رسمية. وفي صباح أحد الأيام، استيقظت مبكرًا وكنت أكتب مذكراتي عندما حرك الروح القدس قلبي بالآية التالية:

«هل يسير اثنان معًا إن لم يتواعدا؟» (عاموس ٣ : ٣)

لقد كنا نسير دون اتفاق. كنا متفقين فقط على أن نختلف، وبصراحة، هذا ليس جيدًا بالنسبة لزوج وزوجة. شعرت بالتحريض يستمر داخلي: ما أريد أن أفعله لن يحدث إذا كان كل منكما يعمل بمفرده ... أريد اثنين يصيران واحدًا، لأن هذا هو ما يمكنني أن أباركه.

بعد هذا، شاركت جون بما شعرت أن الله كان يقوله لي. فأخبرته أنني معه ولأجله، وأنني لا أرغب في أن أعيش الحياة بدونه. رقّ جون وشاركني برغبته أن يفعل الشيء ذاته. فأمسك كل منا بيد الآخر وبقلبه. وتخلينا عن كل شيء - عن الابتعاد، والآراء، ومن كان على صواب، ومن كان مخطئًا. قدمنا الكل للآب في صلاة: «أيها الآب القدوس، باركنا مرة أخرى ... اجعلنا واحدًا». كانت هذه نقطة تحول محددة وقوية في علاقتنا وعائلتنا ومالياتنا وخدمتنا.

عندما تسيء الزوجة استخدام قوتها

«اثنان خير من واحد، لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة». (جامعة ٤ : ٩)

كل طرف في الزواج يُفتَرض به أن يجلب الزيادة والبركة إلى حياة الآخر.

تحدث السيطرة عندما يساء استخدام السلطان والقوة من قِبَل الزوج. لكن ما الذي يحدث عندما تسيء الزوجة استخدام قوتها؟

المرأة لها القدرة على التأثير وخلق بيئة ترعى العلاقة الحميمة في الزواج. عندما يفسد التأثير، يتحول إلى شيء مخيف يسمى المناورة. غالبًا ما تكون المناورة هي السبيل الذي يقع عليه الاختيار لأن الزوجة قد تخاف من أنها إذا لم تكن هي المسيطرة على الأمور قد تؤذى. فتتحرك بدافع حماية النفس بدلًا من المحبة.

معظم البنات اليوم لم يتعلمن الحكمة والتأثير. فكل ما عرفنه هو المناورة وفن الإغراء. مناورة شيء ما تعني استغلال الضعف الذي فيه لصالحكِ. وفي حالة مناورة الزوج، غالبًا ما يكون هذا الضعف هو قلبه أو قدرته على التواصل بفعالية. الديناميكية الصحية تقول إن المرأة يجب أن تكون حساسة للأنا الذكورية، بدلًا من أن تتلاعب بضعف زوجها.

يمكن أن تأخذ المناورة عدة أشكال؛ فقد تمنع المرأة احترامها عن زوجها وتجعله يشعر بالضعف والعري. كما يمكن للمرأة أن تتملق زوجها لكي تحصل على ما تريده. وكلا العمليتين تستغلان ضعفًا فيه. فهو لديه احتياج شديد أن يحظى بالإعجاب والاحترام. وعادة ما يكون الإطراء الفارغ تعبيرًا عن محاولة شخص ما أن يرشي شخصًا آخر.

يختلف هذا تمامًا عن مدحكِ لزوجكِ بصدق. يجب على كل الزوجات أن يمدحن أزواجهن بانتظام وبصدق لكي يُبنوا. فهذا يخلق جوًا من الأمان بالنسبة للرجال (والأطفال). وبالمثل، فإن الأزواج الأذكياء يمدحون زوجاتهم لكي يحيطونهن بمحبتهم. وعندئذ تزهر الزوجات بالمحبة والجاذبية.

إليكِ مثال على ذلك: كان شمشون ضعيفًا أمام النساء. كان مرهقًا ويبحث عن مكان ليسند رأسه فيه، بينما استغلت دليلة ضعفه لمصلحتها. عندما تفسد العلاقة الحميمة، تتشوه وتصير إغراء، ويُستغل احتياج الرجل إلى

المرأة ضده بدلًا من أن يستخدم لصالحه. في هذه الحالة، تقل قوة الرجل بدلًا من أن تتضاعف. لكن ليس الرجال فقط هم الذين عاملوا شريكات صباهم بالخيانة.

«لإنقاذك من المرأة الأجنبية، من الغريبة المتملقة بكلامها، التاركة أليف صباها، والناسية عهد إلهها. لأن بيتها يسوخ إلى الموت، وسبلها إلى الأخيلة. كل من دخل إليها لا يؤوب، ولا يبلغون سبل الحياة». (أمثال ٢: ١٦-١٩)

هذه المغوية تستخدم كلماتها لكي تتملق وتخدع، بدلًا من أن تبارك وتبني. فهي تهجر زوجها وتكسر العهد مع الله. وكأن هذا لا يكفيها، فتقود أيضًا الآخرين إلى الضلال. يظن ضحاياها أن طرق اللذة والعلاقات الجنسية غير المشروعة هي الحياة، في حين أنهم يدخلون فعليًا إلى نطاق الموت. إن الحكمة تنادي الجميع بوضوح، لكن الإغواء يهمس في السر.

«أغوته بكثرة فنونها، بملث شفتيها طوحته». (أمثال ٧: ٢١)

الكلام المغوي والكلمات الملقة هي أدوات الإغراء. لاحظي أنه يُسبى بكلماتها. فالكلمات لها القدرة على الإمساك أو الإطلاق، وعلى البناء أو الهدم. المرأة المغوية تسرق الحياة، بينما المرأة الحكيمة تحفظ الحياة. لأن الحكمة شجرة حياة.

كوني خبيرة في نقاط قوة زوجكِ

لا يمكنني أن أحصر كل المناطق المكسورة والمجدبة في الحياة التي دخلت بها إلى زواجي. كان لجون مناطق مثلها خاصة به أيضًا. لكن المناقشة لم تكن مجدية؛ إذ كان كل ما نفعله هو الإشارة إلى ضعفات بعضنا البعض. لا توجد علاقة قريبة مثل علاقة الزوج والزوجة. لم يقصد الله أبدًا أن يكون الأصدقاء القريبون خبراء في ضعفات أحدهم الآخر.

أنا أعلم مواضع ضعفي، وجون يعلم مواضع ضعفه، وكل منا موجود

في حياة الآخر لكي يساعده على أن يحول هذا الضعف إلى قوة. أين القوة في تسليط الضوء أو التركيز على ضعفات شركاء حياتنا؟ كما ناقشنا من قبل، فإن التركيز على نقاط القوة يخدم الجميع بصورة أفضل. إذا كانت حماية مدينة ما هي في السور القوي المحيط بها، فكيف يمكن تقوية هذا الدفاع من خلال الإشارة إلى العيوب أو الكسور؟ سوف تكون الأماكن المكسورة هي نفسها المواقع التي يجب أن نقويها ونحصنها. إننا نصلح الأمور حتى تصير المناطق الضعيفة قوية، بدلًا من أن نظل نسميها ضعيفة.

عند نقطة معينة في الزواج، اكتشفت أنا وجون أن النقد الصريح لم يكن وسيلة ناجحة، ولهذا فبدلًا من الإشارة إلى عيوب أحدنا الآخر، بدأنا إعادة بناء حياتنا من خلال التوسع في نقاط قوة أحدنا الآخر. كان هذا يعني التركيز على الحسن والمثير للإعجاب. كما كان يشتمل أيضًا على تغيير واسع على مستويات متعددة:

أولًا، غيرت طريقتي في التحدث إلى جون. ثانيًا، غيرت ما كنت أقوله للآخرين عنه. ثالثًا، اخترت بإرادتي ألا أخرج مع النساء اللواتي كنَّ ينتقدن الرجال. وهذا في الحقيقة شيء منطقي، لأنني لا أريد أن يخرج زوجي مع الرجال الذين لا يكرمون النساء. فمهما كانت درجة المناعة التي تظنين أنكِ تتمتعين بها، فإن تلك التعليقات المليئة بالانتقاص من قدر الرجال سوف تؤثر في النهاية على وجهة نظركِ. إن سحق الرجال ليس أمرًا لطيفًا، حتى إذا كنتِ لا تضيفين على تعليقات الأخريات. اعلمي أن مثل هذه التعليقات سوف تعوقكِ في سعيكِ وراء الحق والكرامة.

كما أني أختار أيضًا ألا أقضي الوقت مع النساء اللواتي يناقشن حياتهن الجنسية بصراحة مع الأخريات. أنا لا أتحدث عمَّن ينصحن غيرهن أو من يطلبن المساعدة أو المشورة. بل عن النساء اللواتي يخبرنني بتفاصيل خصوصية حميمة عن أزواجهن. كانت هناك أشياء لم أرد أن أسمعها، وفي المرة التالية التي كنت أقابل فيها أزواجهن، كنت أشعر ببعض الحرج لأنني سمعت هذه الحكايات.

إن مـا يحدث في الزواج وفي فراش الزوجية يجب أن يكون مصدر قوة وحياة ومؤازرة. كثيرًا ما يشبِّه سفر الأمثال العلاقة الحميمة في الزواج بنبع مفرح للحيـاة. كيـف يمكن لهـذه المياه أن تظل عذبـة إذا شـاركناها مع آخرين كثيرين؟ إن الحديث عن الخبرات الحميمة كما لو كانت مسـابقة أو شـيئًا داخل مجلة نسـائية ليس من التقوى. تعلق رسالة يعقوب على قوة كلماتنا هكذا:

«ألعل ينبوعًا ينبع من نفس عين واحدة العذب والمر؟ هل تقدر يا إخوتي تينة أن تصنع زيتونًا، أو كرمة تينًا؟ ولا كذلك ينبوع يصنع ماءً مالحًا وعذبًا».
(يعقوب ٣: ١١-١٢)

سوف نظل دائمًا نُخرج ما بداخلنا. إذا كان ما بداخلنا عذبًا ومحييًا، فسوف يكون منعشًـا. لكن إذا بدا مثل المياه لكنه لا يستطيع أن يحيي، فاحترسي. لا يمكنـكِ أن تشـربي ماء مالحًـا. فهو يؤلم العين ويجفـف الجلد. إنه جيد للسـباحة، لكنه لا يقدم أيـة راحة حقيقية للعطشـان. الله وحده هو الذي يستطيع أن يجعلنا نفيض في مائه الحي.

«اشـرب مياهًا من جُبِّك، ومياهًا جارية مـن بئرك. لا تَفِض ينابيعك إلى الخارج، سواقي مياه في الشوارع. لتكن لك وحدك، وليس لأجانب معك. ليكن ينبوعك مباركًا، وافرح بامرأة شـبابك، الظبية المحبوبة والوعلة الزهية. ليروك ثدياها في كل وقت، وبمحبتها اسكر دائمًا».
(أمثال ٥: ١٥-١٩)

كـم أحب هذا الوصف الشـعري والحميـم للمحبة في الـزواج. فهي تجري نقية وطاهرة في بيوتنا. يجب أن يكون للمرأة القدرة على أن تأسـر زوجها بمحبتها. عندما يفيض الزواج في الشوارع من خلال الزنا، أو الصور الإباحيـة، أو المحادثـات غيـر الطاهـرة، يصير موحلًا ويكـون من نصيب الغرباء. والشـيء الذي يعتبر جميلًا بين اثنين يصبح قذرًا وسط الكثيرين. عندما نشـارك بحياتنا الحميمة مع الأخريات، فنحن بهذا ندمر النصيب المقدس.

مقاومة العواصف

لا يُفتَرَض بنا أن نكون فقط في نفس الفراش، بل أن نكون معًا لنجلب الدفء والحماية.

«أيضًا إن اضطجع اثنان يكون لهما دفء، أما الوحد فكيف يدفأ؟ وإن غلب أحد على الواحد يقف مقابله الاثنان، والخيط المثلوث لا ينقطع سريعًا».
(جامعة ٤: ١١-١٢)

لا يَعِدنا الله بحياة خالية من العواصف، لكن يمكننا أن نقرر كيف نقاومها جيدًا. فعلى مدار أكثر من عقدين من التجربة والخطأ، وجدت الحقيقة التالية تثبت صحتها المرة تلو الأخرى: إن الطقس السيئ والعواصف خارج زواجي لا تمثل لي تهديدًا حقيقيًا، طالما كان هناك مكان للأمان والدفء بداخل زواجي. فالعواصف داخل الزواج لها القدرة على أن تهددنا وتغرقنا. لهذا فمهما كان الهياج الذي نواجهه طوال يومنا، ففي نهاية اليوم يجب أن نقرر أن نستلقي أحدنا مع الآخر في دفء.

أنا على يقين أنكِ تعلمين أنكما يمكن أن تناما في نفس الفراش ولا تختبرا أية مشاعر. عندما يوسع الزوجان حدود فراشهما الكبير في محاولة لحجب الراحة أحدهما عن الآخر، سوف يخسر الاثنان. أنا لا أعلم ما مر به زواجكِ. لا أعرف العواصف التي تهيج خارج نافذة غرفة نومكِ مباشرة. صحيح أنه لا يمكنكِ التحكم في ما هو بالخارج، لكن يمكنكِ أن تختاري ألا تسمحي له بالدخول. وإذا كنتِ قد سمحتِ للضغوط الخارجية أن تدخل، فيمكنكِ أن تغيّري هذا الليلة.

يجب أن ينال أزواجنا الاحترام بصفتهم أقرب أصدقائنا. يجب أن يهيم الأزواج بزوجاتهم ويعهدون إليهن بما في قلوبهم. يجب أن تزداد محبة الزوجين مع تقدم الزواج وتصير أكثر مما كانت في البداية.

«الخيط المثلوث لا ينقطع سريعًا».
(جامعة ٤: ١٢)

أرى أنــه يوجد مثال على هــذا الخيط المثلوث في ضفيــرة الزوج الذي ينال الاحترام مع الزوجة التي تتمتع بالمحبة وبذار أو ورثة وحدتهما. نتيجة للخراب الذي تســبب فيه الطلاق، لم ترث الكثيرات منا ميراث الماليات الســليمة أو المحبة أو الحياة. لكن اليوم يمكن أن يتغير هذا. فإن إعادة تأســيس الميراث وإمكانية حدوثه متاحان مرة أخرى لكل جيل. دعونا نحارب كشخص واحد.

أبي السماوي،

آتي إليك في اسم يسوع. اخلق في زواجنا من جديد ديناميكية الاثنين اللذين لهما قلب واحد. باركنا مرة أخرى بقوة السيادة، وسامحنا على استخدامنا لنقاط قوتنا ضد أحدنا الآخر. أختار أن أحترم زوجي بالقول والفعل. أريد أن تنسج حياتنا ميراثًا لأولادنا. أيقظ محبتنا مرة أخرى. أعد الدفء والقوة والحميمية مع زوجي. طوِّقني بالأصدقاء الأتقياء الذين يشجعون نموي في زواجي. أعطني التمييز لأعرف التغييرات والتعديلات التي أحتاج إلى أن أراها تتحقق. سامحني إن كنت قد أسأت استخدام كلماتي ونفوذي بأية طريقة أو شكل أو صورة. سامحني لأني اشتكيت عليك. أيها الآب، أنت أكثر من سخي وصالح. أتعهد بأن أخلق في بيتي المناخ الذي يمكنك أن تباركه. أختار أن نسلك كواحد ونسترد قوة سيادتنا. آمين.

الفصل الحادي عشر

المحاربة لأجل الجمال

حتى في وسط الهياج الذي يجتاح العالم كله تقريبًا توجد بعض الثوابت. فالاشتياق إلى الشباب والجمال يظل كما هو. في كل مكان تنظرين إليه، ترين صرخته اليائسة مع استمرار هذا المطلب بلا توقف. يجب أن نتساءل، لماذا كل هذا التأكيد على الجمال الذي لا يشيخ؟ أظن أن الإجابة موجودة في ارتباط الجمال باشتياقنا الإنساني الأعمق ... الذي هو الصرخة اليائسة للحصول على المحبة. يصعب أن تنتقي مجلة أو تشاهدي برنامجًا تليفزيونيًا أو تدخلي متجرًا دون أن يواجهك هذا الجوع.

ونحن لا نريد أن نكون جميلات فقط ... بل إننا نريد أيضًا أن يحيط بنا الجمال. نريد أن نختبره في كل ما نراه ونلمسه ونتذوقه ونشمه. وهكذا بدأ تغيير أو تجديد البيوت والأجساد وخزانات الملابس والحدائق والغرف، وفي بعض الحالات المدن أيضًا. لكن هل هذا الدافع وهذه الرغبة نحو التجديد خطأ؟ ربما تكون الطريقة مضللة بعض الشيء، لكن الرغبة ليست كذلك. لأن الله هو الذي أنشأ هذا السعي نحو الجمال والذي يشمل كل شيء، كما أنشأ أيضًا رغبتنا في أن نراه يتحقق.

«صنع الكل حسنًا (جميلًا) في وقته.» (جامعة ٣: ١١)

لاحظي أن هذه الآية لا تقول إنه سوف يصنع كل شيء جميلًا في وقته، بل إنها تعلن أنه قد صنع كل شيء جميلًا. فإن كل الأشياء، وليس فقط بعضها ، وكل إنسان، وليس فقط البعض، بداخله بذرة الجمال. نحن نحمل وعد ورجاء الجمال بداخلنا. إن مصيرنا المحدد مسبقًا هو الروعة والجمال. لم يعد هناك

سؤال حول ما إذا كان هذا الجمال الذي لا يشيخ يمكن أن يتحقق ... فسوف يتحقق. لكن أصبح السؤال هو مسألة متى وأين. ففي وقت ومكان آخرين، لن يكون الجمال معيارًا للتمييز بين الناس، يُمنح للبعض ولا يُمنح لغيرهم. بل هناك سوف يعطَى الجمال للجميع. وهذا يثير سؤالًا آخر: إذا كان الجمال للجميع، فمتى سيأتي دورنا؟ كم من الوقت سيمر قبل أن يكتسي كل إنسان وكل شيء بالروعة مرة أخرى؟

إن مصيرنا المحدد مسبقًا هو الروعة والجمال.

بالإضافة إلى مطلب الجمال، فقد خلق الله بداخلنا رجاء مستمرًا أن يصير القديم بطريقة ما جديدًا. لاحظي أنني لم أقل أن يصير القديم شابًا، بل أن يصير القديم جديدًا. فالرجوع إلى الشباب لا يكفي. هناك من قد يجادلن بخصوص هذه النقطة معي. لقد ارتحلن في الحياة لسنوات أتعبتهن وأنهكتهن. وقد يحركن رؤوسهن ويتمتمن قائلات: «إنني متعبة. لقد عشت طويلًا بما يكفي. لا أريد أن يكون عليّ أن أكرر هذا من جديد.» أرجوكِ أن تفهمي، أنا لا أتحدث عن الرجوع للخلف في الحياة حتى يمكنك أن تبدأي من جديد. كما لا أعني استرداد الشباب بالفوائد الإضافية للمعرفة والدروس التي تعلمها لنا الحياة. لا يمكن لأي من الطريقتين أن توضح جوهر أو اتساع ما أتحدث عنه. بل إننا نبحث عن شيء يزيد عن كونه إحلالًا زمنيًا أو قناع الشباب الذي نرتديه فوق حكمة السن. كلا. إن مصيرنا محمل بشيء لم تره عين بشر، ولهذا فإنه شيء نادرًا ما نأمل أن نصدق أنه موجود. لكن يمكننا أن نثق في هذا لأن الكتاب المقدس يخبرنا قائلًا:

«ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه.» (١ كورنثوس ٢ : ٩)

إننا ننتظر ما لم نره. ونستمع إلى أصوات غير مألوفة بالنسبة لنا، ونمتد إلى ما وراء أنفسنا لكي نعتنق الأحلام والأفكار التي لا يمكن لعقولنا أن تقبلها في صورة بذار. هذه العظمة المذهلة لهذا الوعد تتحدى حدود تخيلاتنا. منذ وقت طويل، زرع الله هذه الاشتياقات في تربة قلوب البشر، عالمًا أنها في يوم ما سوف تعيدنا إليه.

لكل الذين يحبونه

إننا من خلال الزائل، نتوق إلى غير الزائل والأبدي. توجد بداخلنا رغبة فطرية لشيء خارج نطاقنا ومتناولنا بشكل هائل، ولا يسعنا سوى أن ننبهر به. لا يمكن أن يكون هذا أبدًا شيئًا تخيلنا أن نصل إليه من قبل. وأنا أتعجب من جمال وبساطة ما يؤهلنا لمثل هذه النشوة التي لا يمكن تخيلها. لقد أعد الله هذا للذين يحبونه.

قد أرتعب وأخاف من عدم الأهلية إذا كانت هذه الاستعدادات لمن يحبهم هو. لكن لا حاجة لنا أن نخاف. إنها وليمة مذهلة تشمل جميع من يحبونه. أنا حتى لا أصدق أن لنا القدرة على صياغة محبتنا له في كلمات. عندما أشعر أنه لا يمكنني التعبير عن محبتي تجاه أحد أولادي بالقدر الكافي ، أقول فقط: «أحبك أكثر من الكثير.» لكن بصدق، بقدر ما أحبهم حقًا، فإن تعبيري عن المحبة الحانية ليس كاملًا. ربما عندما أعانقهم ينالون لمحة خاطفة عن المحبة الكاملة لشخص آخر هو الله.

إن جوعنا يفوق قدرتنا على التخيل. غالبًا ما يكشف لنا الله عدم الكمال لكي يخلق الرغبة لكماله. ومع أننا لم نر أو نسمع، إلا أن هناك إعلان لمن يجوعوا للمزيد.

«فأعلنه الله لنا نحن بروحه.» (١كورنثوس ٢: ١٠)

يوجد مكان له القدرة على أن يدرك هذا الإعلان ... وهو القلب. إنه المكان الذي يهمس فيه الروح ويتودد فيه إلينا (يتحدث بأسرار مجيدة) بينما يتلاشى برقع السماء والأرض مع مرور الزمن.

إننا نراقب وننتظر تجديدًا تحوليًا عميقًا يستطيع أن يحررنا من كل محدوديات البشرية وقيودها. ومصيرنا هو أن ننال مقابلة قوية تفكنا من قيود الزمن نفسه. هذا هو نوع التجديد الذي ينتظره كل واحد من أولاد الله.

لماذا زُرعت الأبدية في قلوبنا؟

إن صرختنا الحالية للجمال والاسترداد هي مجرد لمحة. أؤمن أننا سوف نختبر تغييرًا كاملًا ومطلقًا على كل المستويات. لقد رأيت هذه الصرخة حتى في نهاية الحياة عندما يُفقد كل رجاء في الشباب. رأيت انعكاسها عندما قبلت جدتي قبلة الوداع لآخر مرة. كانت ظلًا محنيًا للجمال الذي كانت عليه في الماضي. كانت هناك هالة ناعمة من الشعر الأبيض تزين رأسها. وكانت اليد التي أمسكت بها مكسوة بجلد مليء بالبقع وفي سُمك الورقة لدرجة أنني جاهدت لكي أتذكر تلك المرأة الاجتماعية السمراء كما كانت في الماضي. ولكي أعزي نفسي، تخيلت أن جلدها كان يرقّ استعدادًا لرحيلها. فسرعان ما سوف تتحرر من الثوب الرقيق والعتيق الذي لم يعد باستطاعته أن يحتويها. لقد سقطت. ولم أعد أتعرف على ابتسامتها لأن أسنانها كانت مكسورة ولونها متغير. لم يكن أبنائي الصغار قد سبق لهم أن رأوها من قبل. فتراجعوا قليلًا في خوف عندما قبلت جبهتها وأرحتها في سريها للمرة الأخيرة. عندما اقتربت منها أدركت أن كل العبير الذي كان يحيط بها في شبابي قد اختفى. كنت أعلم أنني لن أراها ثانية إلى أن يصير القديم جديدًا.

«صنع الكل حسنًا في وقته وأيضًا جعل الأبدية في قلبهم...» (جامعة ٣: ١١-١٢)

ما الذي جعل الله يضع الأبدية في قلوب أولاده الزائلين؟ هل هذا لكي يحبطنا؟ لا. أرى أن هذا لكي يجعلنا نرفع عيوننا إلى ما وراء نطاق المنظور والمسموع والمتخيَّل. فالأبدية في قلوبنا تجعلنا نحيا في ما وراء هذه اللحظة ونحيا لأجل زمان ومكان لم يُرَ بعد.

إن الموت ثوب غير مناسب لأبناء وبنات آدم وحواء. كما أننا لا نحب أن نكتسي بفساده، لأنه في الحقيقة عدونا. هل يمكن أن يكون هذا هو السبب في أننا لا نريد فقط أن تكبر البطة السوداء لتصير بجعة جميلة، لكننا نريد أيضًا أن نرى البجعة العجوز المتعبة بطريقة ما تحتفظ بمكان الكرامة والوقار طوال حياتها! إن الشيء الصحيح فقط لنا كأولاد وبنات آدم وحواء، هو أن نحارب الموت والدمار وسرقة الجمال على كل الجبهات. ولتحقيق هذه الغاية، نتوق أن نرى الضعف والهشاشة يتحولان إلى قوة، والمرض يُشفى،

والدمار والفقر يتبدلان. وبالمثل فإننا نصارع في قضايا الهدف والسلطان لأن جنّتنا قد تم الاستيلاء عليها وأصبحت سيادتنا في خطر. عند مستوى معين، نرغب كلنا في أن نحفر بالعمق الكافي لنزيل التراب من فوق كنزنا المدفون ... وسوف نفعل هذا.

إننا نتوق إلى أن نرى الحياة المشوشة والحجرات المشوشة يعلوها النظام، وسكانها يتمتعون بالسلطان. تعجبت مؤخرًا بينما كنت أشاهد برنامجًا تليفزيونيًا تحولت فيه غرفة امرأة محظوظة من الفوضى التامة إلى سماء الإبداع. وبينما كانت المرأة واقفة لتتفحص عمل يدي المصممين، بدا حتى شكلها مختلفًا. فقد بدت بطريقة ما مستقيمة أكثر، وأقل تشويشًا، وراسخة. لقد أصبحت متناسبة مع الغرفة، لأنه أصبح باستطاعتها الآن أن تمد يدها وتجد أدواتها وأحلامها وممتلكاتها. يمكنها أن تستمتع بما كان لها طوال الوقت ولم تكن قادرة على استخلاصه من كل الفوضى التي لديها. كان كل ما تريده موجودًا طوال الوقت، لكنه كان فقط يحتاج إلى إعادة ترتيب وتجميع منطقي. وعندما وقف شخص آخر بجانبها ونظر إلى الغرفة نظرة مختلفة، استطاعا معًا أن يواجها ما كان كثيرًا جدًا عليها ولا تستطيع أن تواجهه بمفردها.

كلنا لدينا حق الوصول إلى هذا الشخص الآخر الحكيم.

«وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد.»
(يوحنا ١٤: ١٦)

إن مشورة الروح القدس ليست مجرد مشورة برنامج تليفزيوني لمدة أربع وعشرين ساعة مصحوبًا بالكاميرات والشخصيات التليفزيونية. فإن آجلًا أو عاجلًا سوف تتوقف الأحداث ويرجع المشاركون إلى الروتين اليومي. لا أريد أن أكون سلبية، لكن مهما كانت شدة التغيير الذي حدث لغرفة ما، فلا بد أن يتدرب من يسكنها أو يتغير لكي يحافظ على هذا التجديد.

كم من المسيحيات تشبهن مثل هؤلاء المتسابقات اللواتي يبحثن عن

التجديد؟ ففي لحظة أو اجتماع، يختبرن تحولًا جذريًا مغيرًا للحياة. وبعدها يرجعن مرة أخرى إلى عاداتهن وطرقهن القديمة بمجرد أن يخمد هذا الحدث. لقد أصبح تجديدهن من الموت إلى الحياة مجرد ذكرى. فإن تغيير اللحظة لا يفرض نفسه على حاضرهن. وهذا هو عكس ما يجب أن يكون بالتمام.

التغيير الذي يدوم

«أما سبيل الصديقين فكنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل.»

(أمثال ٤ : ١٨)

كانت هذه الآية من الآيات المفضلة لدي دائمًا. فهي تقدم نظرة شعرية على رحلتي. بالنسبة لنا، يجب ألا تكون لحظة التغيير هي النقطة الأشد إشراقًا بل أن تكون مجرد البداية. يجب أن تكون هي النقطة التي تخفت فيها أضواؤنا بأقصى درجة وتفسح المجال للطريق الذي أمامنا. وفيما يشبه طريق الحجارة الصفراء في قصة ساحر أوز، يجب أن نجد أن طريقنا يزداد إشراقًا كلما اقتربنا من محطة وصولنا.

لن أنسى أبدًا رد فعل ابني على زيارة قمنا بها لإحدى ضحايا الإيدز التي كانت تعيش في بيت منعزل داخل مقطورة. كانت أمًا شابة غير متزوجة طُردت من بيت والديها وعاشت مع الصديق الذي استغلها والذي حبلت منه بابنها وهو الذي نقل إليها المرض.أحضرت ابني معي عندما جلبت لها خزانة صغيرة، وبعض الثياب، وطعامًا لها وللطفل. في ذلك الوقت لم يكن ابني يكبر عن ثماني سنوات، وارتعد فعليًا عندما نظر حوله إلى القذارة والفوضى واشتم رائحة المقطورة. كنت أريد أن أعلمه كيف يقتدي بي في الذهاب إلى الناس، لكنني بدلًا من هذا شاهدته وهو ينكمش داخل نفسه، وكان الاشمئزاز واضحًا عليه.

في طريق عودتنا للبيت، سألته لماذا كان رد فعله بهذه الطريقة. فأجابني بصدق قائلًا: «يا أمي، لقد أخافتني.» فكرت للحظة، وبالحق، أنا أيضًا شعرت بالخوف الشديد من اليأس الذي يحويه هذا المشهد. فقد كان الموت والإهمال يلقيان بظلالهما على حياة الرضيع، بينما كان الشاب والفتاة الأنانيان يتجهان

بسرعة نحو الدمار. كل شيء في مسكنهما كان ينطق باليأس، بدءًا من الثياب الملقاة على الأرض إلى ما كان على المائدة من شيكات حكومية لم يتم صرفها وقسائم طعام لم يتم استبدالها بطعام حقيقي. لقد كانا غير مكترثين بما لديهما، ولذلك كانا أفقر مما يمكن تخيله. كثيرًا ما يأتي أعظم فقر عندما نفشل في إدراك ما لدينا، تمامًا كما أن أعظم خداع يأتي عندما لا نعرف من نحن.

«صنع الكل حسنًا في وقته وأيضًا جعل الأبدية في قلبهم التي بلاها لا يدرك الإنسان العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية.» (جامعة ٣: ١١)

الاشتياق إلى الفداء

لقد وضع الله هذا الاشتياق والرجاء للفداء في كل منا، لكن الأمر المرعب هو عندما يغيب هذا عن نظرنا. فبدونه، لا تكون لنا نظرة حقيقية. ومن أفضال الأبدية أننا نرحب بالرغبة في أن نرى الترتيب وهو يخرج من الفوضى. وينبت الشباب من الشيخوخة عندما يلبس القديم الجديد.

هذا هو السبب الذي لأجله تحتل الصور التي تشرح «ما قبل وما بعد» مثل هذه المكانة المدهشة بالنسبة للكثيرات منا. فإننا، على مستوى أو آخر، نحب مفهوم التجديد بكامله، وأتعلمين؟ لقد خلقنا لهذا.

لابد أن أتساءل إذا كان هذا الاهتمام قد حيك داخل نسيج كل شخص في الخليقة. فنحن نرى هذه الديناميكية تعمل حتى في لحظة الولادة. فبصفتنا أولاد وبنات آدم، تبدأ رحلتنا نحو الموت مع أول نفس لنا. أعرف أن مجرد قول هذا يبدو غير مناسب إلى حد ما، مع أنني أعرف أنه حقيقي، إلا أنه غير مريح لمعظمنا. فإننا كأولاد نور لن نلبس الموت والتآكل أبدًا للنهاية. لأن الحقيقة هي أننا لم نخلق أبدًا لهذا. فمن بين كل الخليقة ، نحن (رجالًا ونساء) وحدنا الذين خلقنا على صورة الله، مانح الحياة. لذا سيكون منطقيًا أن يكون الموت وكل شيء آخر يسرق قدرتنا على الحياة معارضًا لطبيعة الصورة التي خُلقنا عليها. وهذا أحد الأسباب التي يجب لأجلها أن نحارب دائمًا لكي نحافظ على الحياة.

نحن وحدنا، ذروة خليقة الله، الذين نصارع مع ظلال الخوف من الموت ونشن حربًا على لعنة تجاعيد الشيخوخة. هل يمكن لهذا الصراع أن يكون قد نبع منا عندما فقدنا غطاءنا؟ فإننا مخلوقات لا فراء لها، ولهذا تتضح علينا نحن فقط علامات التقدم في العمر ومرور الزمن وكأنها خريطة الطريق لحياتنا.

إزالة رعب الموت

الحيوانات لا تخشى الموت، بل تحاربه. ويختلف دافعهم للبقاء على قيد الحياة عن دافعنا. فالحيوانات لا تجاهد ضد قبضة الموت أو تشكو من الدمارالذي ينزله بأجسادها.

بالنسبة لها، لا يعتبر الموت عدوًا تخشى منه، بل هو مجرد عدو آخر يجب أن تحاربه في محاولة للبقاء على قيد الحياة. والبقاء على قيد الحياة هو هدفها، لأن كل ما تعيش لأجله موجود على الأرض. لكن البقاء على قيد الحياة وحده لا يجب أن يكون كافيًا لنا. إننا نريد النصرة على الموت، لأن الموت هو عدونا الأخير.

«آخر عدو يبطل هو الموت.» (١كورنثوس ١٥: ٢٦)

وأيضًا،

«...فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة.» (١كورنثوس١٥: ٥٤)

فهم الله أبونا ذلك الرعب الذي سيمثله ظل الموت لكل منا، ولذلك فقد واجه هذا الخوف، وبقوة الصليب غير اسمه ... لأنه توجد قوة هائلة في الاسم. لقد غير يسوع اسم الموت، والذي يعني «الخسارة» إلى الرقاد، الذي يعني «الراحة». فالموت بالنسبة لأولاده الأحباء لم يعد يمثل النهاية، بل أصبح بداية حلم. ونجد مثالًا لهذا عندما خاطب يسوع الحزانى النائحين في متى ٩: ٢٤ قائلًا: «تنحوا. فإن الصبية لم تمت لكنها نائمة. فضحكوا عليه.» كان في ذلك الوقت ينذر بالوعد الآتي. فإن كلمة الله تقول لنا:

«هوذا سرّ أقوله لكم. لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغيّر.» (١كورنثوس ١٥: ٥١)

ألا نرقد كلنا لننام كل يوم؟ واضح إذًا أن بولس لم يكن يشير إلى الراحة الليلية أو اليومية. بل إنه اتبع لغة الروح، وبدأ في كتاباته يسمي الموت «الرقاد». يقول لنا إننا لن نرقد (نستريح) كلنا، لكننا كلنا سوف نتغير. وكلمة نتغير يمكن أن تعني «نتبدل، أو نتحول، أو نثور». والكلمة اليونانية المستخدمة في «نتغير» تعني في الكثير من التطبيقات «أن يتم تغييرنا». هناك طريقتان لهذا النوع من التغيير: الرقاد أو الاختطاف عند ظهوره.

ولأسباب معروفة للآب فقط، عادة ما تكون الراحة نذيرًا بتغيير عميق. بعضنا لن يختبروا أبدًا رقاد الموت، لكن كل من هم لله لهم الوعد بهذا التغيير. لقد اختبر يسوع عذاب الموت بكامل شدته حتى لا نختبر نحن رعبه. بالنسبة لأولاد الله، يوجد فقط الرقاد ثم التغيير، والبعض ينتظرهم التغيير فقط.

سوف نرى الجمال الحقيقي

لم ير العالم مثل هذا التغيير على الإطلاق. سوف يكون اختبار «ما قبل وما بعد» شديد الحدة لدرجة أنه لن تستطيع أية صورة أو برنامج مدته ساعة أن يأمل في التقاط أوجهه المتعددة أو مداه. أؤمن أننا سوف ننظر إلى أنفسنا ونرى فعليًا جمالًا حقيقيًا للمرة الأولى. سوف ننظر إحدانا إلى الأخرى ونلهث في تعجب من جمال وقوة الأمر كله. وأتخيل أننا سوف نتعانق ونبكي ونصرخ مثل الأطفال: «هل هذا أنت؟ ... لأن هذه هي أنا حقًا!»

إنه الشيء نفسه الذي نلمحه هنا في صورة ظل. فالظلال ليست خطأ، لكن المشكلة هي أنها ليس لها وجود دائم وتهرب أمام الضوء الساطع. وبدلًا من الجلوس ووضع تفسير لميزات أو عيوب ديناميكية التجديد ككل، سواء كان متطرفًا أم لا، فقد آن الأوان أن نقر بأنه سيحدث تغيير نشتاق إليه كلنا. العالم يعرفه في عالم الظلال هذا، لكن هل نعرفه حقًا في النطاق الفعلي؟ بما أننا بنات الله، فنحن وكيلات على حق رائع. وقد حان الوقت أن نسمح له أن يغيرنا.

«ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة.» (١كورنثوس ١٥ : ٥٤)

عندما تأملت في هذا الأمر، وجدت أن التشابهات كثيرة. فكري في هذا. من يجرين عمليات تجميل أو تجديد كبير من أي نوع يتلقين المشورة أولًا بشأن رغباتهن وتوقعاتهن. ثم تجري مناقشة واقعية لهذه التوقعات. قد يقول الجراح: «يمكننا أن نفعل هذا، لكنه سيبدو هكذا وليس هكذا. لا يمكنني أن أعطيك نفس وجنتي آشلي جود، لكن يمكننا أن نقترب منها بهذا القدر.» (لقد أدت ابتسامتها الجميلة إلى أن أصبحت وجنتاها هما الأكثر طلبًا). بعدها تتم مناقشة معظم الإجراءات، مثل الزرع و/أو الجراحة، بالتفصيل. بعدها هناك فترة من الزمن لعملية التعافي وما يحيط بالعملية من مخاطر. وأخيرًا، يتم الاتفاق على مقدار المال الذي سيكلفه تحقيق هذه النتائج. وبعد ذلك يجب على المريضة أن تزن الوعد في مقابل الألم والتعافي والثمن.

مثل هؤلاء يتم تنويمهن بالكامل، ومع أنهن يدركن أنهن سوف يستيقظن منتفخات ومتألمات، وفي معظم الأحوال بعلامات وندبات، إلا أن الوعد بحدوث الاختلاف يظل قائمًا. سوف يتم تغيير أو إعادة ترتيب شيء ما، وبالرغم من أنهن قد يتألمن، إلا أنهن إذا احتملن الشفاء وانتظرن بصبر حتى يختفي الورم، سوف يكتشفن الجمال بعد انتهاء العملية.

يعتبر وعد الله بالنسبة لنا نسخة معكوسة من هذا المثال. ففي تجديد الله لنا نخلد إلى النوم ونحن نعاني الجراح والندبات، والشيخوخة والتعب، وربما أيضًا الوهن والورم، ونستيقظ بدون ألم، وجديدات، وشابات، ومنتعشات، وقويات.

تعرضت للتخدير مرتين. والتخدير هو صورة من الحياة المعلقة. فهو نوم عميق للغاية يفقد فيه المريض كل التواصل مع الألم والحقيقة التي يعرفها. ويختبر الجسد كل أنواع الأشياء، لكن العقل لا يدركها. أول مرة تم تخديري فيها، كانت عندما استأصلوا عيني في سن الخامسة. نمت ولي عينان واستيقظت بعين واحدة. ومؤخرًا تم تخديري لإعادة أنفي إلى مكانها بعد أن كسرتها أثناء ركوب الأمواج. كانت هناك مشكلة كبيرة في التنفس وفي جودة السمع نتيجة إصابتي. كان عمري وقتها ثلاثة وأربعين عامًا، لكن بسبب الجراحة السابقة التي اجتزتها في سن الخامسة، وجدتني مرتعبة

من توقع التعرض للتخدير مرة أخرى. إنه فقدان تام للسيطرة! أتذكر أنني حددت موعد العملية مع موظفة الاستقبال، ثم بدأت أرتعش بصورة لاإرادية.

كان لدي طبيب رائع ومهتم، وكنت أعلم أنني كنت بحاجة إلى فعل هذا، لكن مع هذا ظل الخوف بداخلي. طلبت من جون أن يبقى معي إلى أن يدفعوني إلى غرفة العمليات. تحدث معي الطبيب برقة أثناء نزولي وكان موجودًا ليشجعني عندما أفقت. آخر ما أتذكره هو أنهم سألوني: «كيف كسرت أنفك حقًا... هل لكمك زوجك؟»

وقبل أن أستطيع الإجابة، كنت قد نمت. وأفقت وأنا أجيب على السؤال «كلا، أنا التي كسرتها ...!»

ثم أدركت أنه كانت هناك وثبة في الزمن . وتحولت إجابتي إلى سؤال في منتصف الجملة: «... هل أجريتم العملية حقا؟»

فأجابني الطبيب اللطيف قائلًا: «أجل، وقد قمت بعمل رائع!»

ارتحت كثيرًا عندما علمت أن الأمر انتهى، كنت مصابة بدوار.

أتى جون إلى غرفة الإفاقة وقلت له ما قاله الطبيب: «عزيزي، لقد قمت بعمل رائع!»

في تلك المرة لم أعانِ من الخسارة، بل تم إصلاحي. وطوال الطريق إلى البيت كنت فخورة بنفسي. فقد انتهت العملية. ولم يستأصلوا شيئًا، بل استعادت الأنف صلتها وأصبحت سليمة.

أؤمن أن هذا ظل لنوعية العملية التي تنتظر كلًا منا إذا سمحنا للروح القدس أن يفعل ما يريده. سوف ندخل ونحن خائفات، لكن عندما نستفيق سنجد أن العملية قد اكتملت بينما كنا نحن نستريح فيه.

«لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يومًا فيومًا.»
(٢كورنثوس ٤: ١٦)

ما يراه الله

هل يمكنك أن تصدقي أن الله يستطيع أن يجددك ويبدلك من الداخل إلى الخارج؟ أؤمن أن النساء المسيحيات يمكن أن يصرن جميلات طوال حياتهن. نحتاج إلى أن نظهر هذا للعالم. فبجانب رغبتنا في الجمال، يوجد مقدار من التحريف. يبدو أن تميز الفرد يتعرض لهجوم عنيف. دعونا ننظر إلى هذا من جانب آخر. هناك بالتأكيد شيء ناقص. أؤمن أن عدو نفوسنا يخاف من أن ننهض ونتبع هويتنا الحقيقية.

ماذا غير هذا يمكن أن يجعل النساء (الصغيرات والعجائز أيضًا) تتعرضن للإزعاج المستمر لكي يفرغن أنفسهن من كل ما له قيمة ويركزن على ما هو خارجي؟ لماذا تتخلى النساء عن نقاط قوتهن من الحكمة والميراث لكي تعتنقن الجهل واللذات اللحظية الزائلة؟ في هذه الزوبعة مما هو غير حقيقي وغير متحقق، ماذا يجب أن يكون شكل المرأة المسيحية؟ كيف يجب أن تتصرف؟ كيف يجب أن يكون شكل ثيابها؟ كيف يجب أن يكون صوتها؟ هذه هي الأسئلة التي أريد أن أساعدك على الإجابة عليها. لأنه يوجد بداخلك قطعة، وجزء، ودور، وصوت، وتصميم، بل وأيضًا نظرة نحتاجها كلنا.

كنت في مؤتمر مؤخرًا ولّد فيها الروح هذه الكلمة، التي تعبر عن الكيفية التي يرانا بها:

عندما أنظر إليكن أرى شيئًا أكثر ... أرى الوعد.
أرى جيلًا من البنات مرعبًا للغاية للعدو مما يجعله يفعل كل ما باستطاعته لكي يشوه صورتكن، ويفسد جمالكن، ويسلب منكن قوتكن.
إنه أبو الأكاذيب ويتكلم إليكن عبر زجاج معتم. لكن أبا الأنوار يشتاق إلى أن يتكلم إليكن وجهًا لوجه.
إنه يريد أن يلمس المناطق المظلمة حيث يوجد الجرح العميق والخطير الذي يهدد وجودكن نفسه.

سوف يمد يده إلى ما وراء الزجاج ويدعوكن جميلات بالكامل وله بالتمام.

اسألن، وسوف يسمح الله لكن بأن ترينه. سوف يمد يده إلى ما وراء الزجاج ويدعوكن جميلات بالكامل وله بالتمام.

«فيشتهي الملك حسنك لأنه هو سيدك فاسجدي له.» (مزمور ٤٥: ١١)

كيف نكرم ربنا عندما يتعلق الأمر بجمالنا؟ بأن نقبل كلماته على أنها الحق المطلق. لقد قال إن جمالك آسر. هل تتجرأين على أن تقولي إنه كاذب؟ هل ستتشجعين بما يكفي لتقبلي محبته؟ ليت هذه الأفضلية تشملك. في الواقع، لا يمكنك أن تثقي في المرآة، فأنت أكثر بكثير مما ترينه! دعونا نصلي.

أبي السماوي،

آتي إليك في اسم كامل الجمال، يسوع المسيح. إنك تجددني من الداخل إلى الخارج. أريد وجه امرأة ترفض أن تفسح المجال للخوف. سامحني على قول أشياء مناقضة لكلمتك الحية. أيها الآب، أنت الطبيب العظيم، والشخص القادر على تكميل كل منطقة في حياتي.

نحن النساء يمكن أن نكون جميلات أمامك وأمام الآخرين مهما كان عمرنا. إنني أتوب عن النظر إلى منحوتات وصور هذا العالم في الوقت الذي يجب فيه أن آتي إليك للحصول على القوة. أرفض قبضتها وتأثيرها. أطرد انطباعاتها من فكري وأوهامها من أمام عيني. يا رب، أزل برقعها من على عينيّ. أريد أن أراك ولا سواك. ليت صورتك تسطع أكثر من أية صورة أخرى في حياتي. اختمني بعمق أكثر من أي شيء آخر. اكشف نفسك لي بطريقة حميمة وحقيقية. أعطيك الحق في أن تغزو هذه المنطقة الخصوصية والشخصية من حياتي. آمين.

الفصل الثاني عشر

مهيبة لكن أصيلة

أثناء سفرياتي، أسمع كلامًا كثيرًا عن أهمية أن نكون واقعيات. وبمرور الزمن، تعلمت أن أتساءل إذا كانت «الواقعية» كافية حقًا. كلنا نعلم أن التزييف لن يوصلنا إلى حيث يجب أن نكون. وبالرغم من أن الله وحده هو الذي يعرف الكل، إلا أن عددًا غير قليل منا قد حاولن الإبحار عبر الحياة من خلال ما هو غير واقعي. دائمًا ما أجد نفسي أشعر بجوع لا يهدأ للمزيد. ويظل هناك اشتياق لديناميكية تشمل نطاق شيء أعمق وأكثر دوامًا.

ظللت لمدة سنوات أسمع شكلًا أو آخر من هذه التعليقات بعد التحدث في المؤتمرات:

- «أحب تحررك الشديد ... وواقعيتك الشديدة.»
- «شكرًا لكونك واقعية.»
- «كم أحب الشفافية الشديدة التي تتحلين بها.»

التحرر جيد، والشفافية مهمة، لكن صفة الواقعية هي ما كانت دائمًا تعترضني. أريدك أن تنتبهي إلى أنني أدرك أن كل هذه العبارات المقصود منها أن تكون مجاملة. لكنني أحيانًا ما أجد نفسي أتمنى شيئًا أكبر، مثل: «إنك عميقة التفكير جدًا» أو «أنت عميقة حقًا». وربما في بعض الأحيان ستكون عبارة مثل «كان تقديمك سليمًا للغاية من الناحية الفكرية ومتخصصًا» لطيفة. لكنني بدلًا من ذلك أتلقى معانقة وذلك التعليق المتكرر: «أيتها الأخت، شكرًا لأنك أبقيت الموضوع واقعيًا.»

بالطبع، أنا لا أريد بديلًا سيئًا لصفة الواقعية. فمن هي العاقلة التي تريد أن تسمى مزيفة أو محتالة؟ أنا بالتأكيد لا أريد أن أُدعى محتالة. لكنني فقط كنت أرجو أن أُدعى شيئًا غير معتاد أو يصعب الحصول عليه. أثناء عودتي في الطائرة من إحدى الخدمات تأملت مرة أخرى في هدف «الواقعية» بأكمله. وشعرت بالروح القدس يتحدث إلي.

> يا ليزا، إنني أبحث عن شيء أكبر. يمكنك أن تكوني قطعة واقعية من الخشب، وعندما تدخلين في النار تخرجين في صورة كومة واقعية من الرماد. لكنني أبحث عن ما هو أكثر من «واقعي» فيك: أريد أن أعمل مع صفة الأصالة.

أدركت من هذا أنه يمكن أن يكون هناك شيء واقعي ولكن ليس أصيلًا. فنسخة لوحة رسام شهير هي نسخة واقعية، لكنها ليست أصيلة. كانت هذه رؤيا، إذا استطعت أن أسميها هكذا، وكنت أعرف معناها؛ أنني كنت عائدة إلى نار من نوع ما. ربما كانت صفة «الواقعية» مريحة بالنسبة لي أكثر مما كنت أدرك في البداية.

في اختبار حياتي المسيحية كان مصطلح النار يترجم عادة إلى امتحان، أو إلى امتحانات كما في حالتي. وفي كل مرة تقريبًا كان ينتهي بي الحال بأن يعاد عليّ الامتحان في صورته الأصعب، لأنني لم أفهم من أول مرة. إلا أنني كنت أشك في أن الأمر يتعلق بالامتحان، لأنكِ عادة لست مضطرة لأن تمتحني شيئًا ما لتكتشفي إذا كان واقعيًا وحقيقيًا أم لا، إذ يمكنك عادة أن تعرفي هذا من خلال اللمس، أو من خلال الرائحة في بعض الحالات.

على سبيل المثال، هل مجموعة الزهور هذه حقيقية؟ يجب أن تعرفي، ولذلك تقتربين منها وتستنشقينها أو تلمسينها بلطف ... كلا، إنها اصطناعية. هل هذا زجاج حقيقي؟ عندما تلتقطينه، تجدين وزنه خفيف كما يبدو مفرغًا بعض الشيء عندما تخبطينه. كلا، إنه بلاستيك. هل الفراء الذي ترتديه هذه المرأة حقيقي؟ دائمًا ما أشعر بالرغبة في أن ألمسه، وعندها بالطبع أعرف.

يجب أن أكون صادقة. لقد سئمت من الزهور المصنوعة من الحرير وعبيرها البلاستيكي المترَّب. فالأوراق الاصطناعية غالبًا ما تمتص رائحة ما حولها بدلًا من أن تبعث عبيرًا من داخلها. ظللت لوقت طويل أريد أن أشتم جمال الرب وأشعر بمحضره. فهذا هو المكان الذي أجد نفسي فيه حية بالحق!

لقد تعبت من الجمال الذي يتم التحكم فيه. أعلم أن الزهور الحية تكلف الكثير للحفاظ عليها، لكنني أفضل أن أشعر بزهرة واحدة حقيقية على باقة كاملة من الحرير والبلاستيك. أريد أن تخبرني الزهرة إذا كانت تشعر ببعض الذبول. أريد أن أضع أوراقها الهشة في صفحات كتابي المقدس وأن أعلق الزهور رأسًا على عقب لكي تجف داخل خزانة ملابسي. بل إن الأفضل من هذا، أن تعطيني شيئًا حيًا وينمو، وتدعيني أكون جزءًا من جعله يتفتح ويُزهر.

هل توافقينني في هذا الأمر؟ هل تبحثين عن ما هو أكثر من نسخة الزهرة الاصطناعية في واقعك المسيحي الحاضر؟ هل رضينا بغير الواقعي وغير الحقيقي لأننا نخشى من أن نرجو شيئًا أكبر؟ هل نظن أنه قد يكون كثيرًا علينا أن نطلب الشيء الأصيل؟ أين هو التغيير الأصيل؟ أين الشخصية الأصيلة؟ أين القوة؟

رؤية الشجرة من خلال الثمرة

منذ سنوات، دعوت الله أن ينسج باستمرار عدم رضاه الإلهي في نسيج حياتي. أعطيته الحق في أحد الأيام أن يفرغ حياتي، وينقب بعمق ويهتم بأمر بعض المسائل المختصة بالجذور. كنت قد تعبت من قطف الثمرة المنظورة للقضايا الأعمق والتظاهر بأن الشجرة لم تكن موجودة. قبل هذه المقابلة مع الحق، كنت قد رفعت صلوات تدعو الله أن يرتب فقط ظاهر حياتي ويجملها بالحليّ. كانت الصلوات تشبه هذه العبارات: «أيها الآب، طوِّق حياتي بالأشياء الجميلة والمحببة. زيّن حياتي بالجمال لأنك تحبني».

أردت أن أبكي من جماله بدلًا من أن أنظر إلى صلاحه.

لكن تغير كل هذا في لحظة. أردت أن أنتقل

إلـى ما وراء كوني محبوبة منه. أردت أن أحبه بكل قلبي وأعبده بالروح والحق. أردت أن أبكـي من جماله بـدلًا من أن أنظر إلى صلاحه. كنت أعلم أنني أحتاج إلى أن أرفع عيني من على الأرضيات واسمح له أن ينقب في تربة قلبي. فأنقياء القلـب هم الذين يعاينـون الله. كنت أريد أن أراه وأختبره على مسـتوى أكثر حميميـة وأصالة. لم أعد قانعـة بترديد وعوده فقط. بل كنـت أحتاج إلى أن أسمع قلبه. وبهذه الصلاة بدأ عمل صفة الأصالة ولازال مستمرًا حتى اليوم.

الأشـياء الأصيلة عـادة ما يتم اختبارها على مسـتوى أعمق من اللمسـة السـطحية. على سـبيل المثال، فإن ما تشـعرين به عندما تضمي شيئًا أو تشميه ليس له قيمة في بحثك عن شيء أصيل. فالأمر أعمق من هذا. أتذكر أنني سمعت كيف أن واحدًا من زملائي في الكلية كان يدّعي مهارات أكاديمية لـم تكـن لديه وحظي بناء على ذلك بوظيفة رائعـة. كل ما فعله هو أنه ذكر معلومات زائفة في سيرته الذاتية، ولم يتحقق أحد ليرى إذا كانت أصيلة أم لا. هكذا الأمر أيضًا في مناطق في حياتنا، فإننا أحيانًا ما نجد شيئًا يبدو شكله أصيلًا وصوته أصيلًا، لكننا عندما نتحقق من المراجع، ندرك الحقيقة.

أعتقـد أن البعض منا من المتمرسـات في الواقعية يجـب أن يتحذرن لئلا تكون واقعيتهن جسـدية. فقد سـمعت أعذارًا للسـلوك الجسدي بالقول: «أريد فقط أن أكون واقعية!» لكن السـلوك الجسدي لا يتسم فقط بأنه غير جـذاب، بل إنه أيضًا لا يعد تمثيلًا دقيقًا لقيمتنا أو الثمن الذي دُفع لكي يُثبت أصالتنا ونسبتنا لله.

أحيانًـا ما أظن أن الوصلة بيـن عقلي وفمي قصيرة جدًا. فأقول شـيئًا دون تفكيـر ثم أندم بعد ذلك. إذا كان الأمر كله يتعلـق بأن نكون واقعيات، فلماذا إذًا يحذرنـا الله مرارًا وتكرارًا أن نحترس لكلماتنا؟ إذا لم نكن أصيلات، فإن ردود أفعالنا الطائشة قد تحير الآخرين.

«فإذًا أيها الإخوة نحن مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون. ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون. لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله.» (رومية ٨: ١٢-١٤)

إن القدرة على أن نحيا بما يفوق الأوامر وردود الأفعال اللحظية العاطفية (بغض النظر عن التقلبات الهرمونية) هو عطية نعمة ممنوحة من الله ومنفوخة فينا بالروح. عندما لا ننقاد فيما بعد بالاحتياج البشري الأرضي لأن نكون مقبولات، سوف لا نشعر أننا منساقات لأن نثبت أننا على صواب المرة بعد الأخرى. يمكننا أن نتسامى فوق هذا وننال القدرة على أن نتحول عن الفخاخ التي توقع بالآخرين. يجب أن تكون ديناميكيات العلاقات المسيحية ثورية في عالم غارق في الإساءة، والافتراء، والانتقام. يجب أن نبدو مختلفات.

القدرة على مباركة لاعنينا

«باركوا لاعنيكم. وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم. من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضًا. ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضًا.»
(لوقا ٦: ٢٨-٢٩)

من العاقل الذي يريد أن يبارك من يلعنه؟ من الذي يستمتع جسديًا بأن يُلطم ولو حتى مرة واحدة، ناهيك عن تحويل الخد الآخر؟ سوف يكون رد فعلك الفوري «الواقعي» هو: «حسنًا، لقد نلت ما يكفي. سوف ألعنك وأرد على لطمتك بلطمة أقسى!» الأولاد الأصيلون فقط، الذين ينقادون بروح الله القدوس، هم الذين يمكنهم أن يباركوا ويبتهجوا عندما تكون رغبتهم الحقيقية هي أن يلعنوا ويضربوا. غالبًا لا يكون هذا هو رد فعلك الأوّلي، لكنه يجب أن يكون هو ما تواصلين العمل لتحقيقه.

عندما يتكلم أحد مرة بعد الأخرى ضدك، فأمامك اختيار. يمكنك أن تحاولي السيطرة على الضرر بنفسك، أو تشركي الله في الأمر. قد يكون الأمر مختلفًا معك، لكنني تعلمت أنني لا أجيد السيطرة على الضرر. فأنا دائمًا أحمل الانطباع الخاطئ بأني إذا استطعت فهم الأمر، فسيمكنني إصلاحه. والحقيقة هي أن هناك مقدارًا معينًا يمكنك أن تفعليه، وبعده يجب أن تسلمي الأمر للآب. هناك مقدار معين يمكنك أن تقوليه، وبعدها تكونين قد قلت أكثر من اللازم.

في بعض الأوقات كنت أرسل للبعض تعليقًا من جملتين للبركة. في كل

مرة كنت أسمع فيها ازدراء، كنت أرسل بركة في الاتجاه المقابل. لماذا؟ هل كان هذا هو ما رغبت في فعله واقعيًا؟ إطلاقًا ... فلم تكن هذه هي مشاعري الواقعية، لكنها كانت استجابة أصيلة، تدعو محبة الله إلى حياة الطرفين. هل أحب بالحق ذلك الشخص الآخر حتى عندما لا يعجبني ما يفعله؟ يجب عليّ ذلك، لأن هذه هي الطريقة الوحيدة للحفاظ على روحي صافية. إذا خضعنا لأحكام كلمة الله بأن نحب، عندها سوف يتدخل هو في ما يحدث. وبعد هذا يكون الأمر راجعًا له.

«وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات. فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين.» (متى ٥: ٤٤-٤٥)

إن ردود أفعالنا واستجاباتنا تجاه أعدائنا تبرهن على أننا أولاد أصيلون. غالبًا ما تكون الحقيقة المؤلمة هي أننا قد تصورنا وجود أعداء في جسد المسيح. وأنا أقول تصورنا لأنه هل يمكن حقًا لأي جزء من جسد الإنسان أن يكون عدوًا لبقية الأجزاء؟ للأسف، فإننا كمسيحيين غالبًا لازلنا نحاول أن نكون لطفاء بعضنا نحو بعض ونحو أحبائنا.

إن استجابتنا تجاه الأعداء، سواء المفترضين أو الفعليين، هي الكيفية التي نحاكي بها أو نقتدي بها بسلوك الآب في هذا العالم. الله حق، وبالتالي فهو مثالنا المطلق في معنى الأصالة. هذا يعني أنه ثابت في صفة صلاحه للأبرار والأشرار أيضًا. وهو لا يتغير من نحونا تبعًا لتغيرنا أو أمانتنا تجاهه. وهذا يأتي بنا إلى نقطة أخرى هي: الأشياء الأصيلة ثابتة. لا يمكن أن يكون الشيء أصيلًا في لحظة وزائفًا في لحظة أخرى.

لهذا، فإن الأفراد الأصيلون يظلون كما هم أيًا كان مكانهم. لا يتحكم فيهم مناخهم أو بيئتهم ولا يمليان عليهم صلاحهم أو نقص صلاحهم. بل يظلون في تعاملاتهم التجارية كما في كنيستهم. ويظلون في السر كما هم في العلن. الأشخاص الذين يتسمون بالأصالة يعيشون بالحق والأصالة.

وهذا يميزهم بوصفهم فوق المستوى السطحي لما هو واقعي. أتذكرين مثال الخشب الذي أشرت إليه في بداية هذا الفصل؟ الخشب لا يظل كما هو في النار وخارجها بالتأكيد! أما الأشياء الأصيلة والأفراد الأصيلون فيخرجون من النار أقوى، بينما تخرج الأشياء الواقعية من النار وقد تكبدت الخسارة.

معاملة الأشياء – والناس – تبعًا لقيمتهم

غالبًا ما تستخدم كلمة أصيل و خالص عند الإشارة إلى الكريستال أو الجواهر أو الأحجار الكريمة أو الذهب أو الفضة أو المعادن النفيسة الأخرى. نادرًا ما تسمعين شخصًا يقول: «هذا الكأس من زجاج أصيل.» يمكن استخدام كلمة أصيل عند الإشارة إلى الكريستال، الذي يمر بعملية تنقية ومعالجة أكثر من الزجاج ولهذا فإن ثمنه أغلى. بحسب ما فهمت، فإن الكريستال يبدأ من حالة أنقى ويظل في النار لفترة أطول من الزجاج العادي.

بالطبع، هناك أوقات في هذه الحياة لا يفلح فيها الكريستال ولا الزجاج. وبما أن لدي أربعة أبناء، فقد كسرنا عددًا لا يحصى من الزجاج الواقعي. لهذا اشتريت أربعة وعشرين كوبًا بلاستيكيًا لأنه يمكنها أن تُلقى على الأرض وتظل تبدو مثل الزجاج إلى أن تمسكي بها فعليًا.

كقاعدة عامة، كلما زاد تكرير أو تنقية شيء ما، زاد التعامل معه بعناية وكرامة. فالكؤوس الكريستال لها طريقة مختلفة حتى في غسلها عن الكؤوس الزجاجية. يمكنك أن تضعي الزجاج والبلاستيك كليهما في غسالة الأطباق، لكن الأفضل ألا تضعي الكريستال. إذ يمكنك أن تتلفي بريقه أو حتى أن تكسريه. والمزيد من التكرير والتنقية لا يعني بالضرورة أن الشيء سيكون أكثر تحملًا. هذا التشبيه يذكرني على الفور بالطريقة التي وصف بها الله التعامل الحذر والرقيق من قبل الزوج لزوجته:

«كذلكم أيها الرجال كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الإناء النسائي كالأضعف معطين إياهنّ كرامة كالوارثات أيضًا معكم نعمة الحياة لكي لا تعاق صلواتكم.»
(١بطرس ٣: ٧)

انتظري لحظة. لماذا نكرم شيئًا ضعيفًا؟ إننا عادة ما نحتقر ما هو ضعيف. إذا درسنا الكلمة المقدسة بدقة، سوف نجد أن التأكيد ليس على ضعف الإناء، بل على ما يوجد بداخله. فما هو الإناء بأي حال من الأحوال سوى مجرد حاوية؟ إن محتويات هذه الزهرية المنقاة أو هذا الإناء المنقى هي ما يجب أن يُعطَى الكرامة. يمكن إعادة صياغة الآية بدقة لتكون: «بالرغم من أن زوجتك أضعف منك بدنيًا، إلا أنها وارثة مساوية معك لنعمة الحياة.» وكأن الله يحذر الرجال أن يكونوا رقيقين لأنه إذا بدت المرأة متكسرة أو محطمة، فستكون هناك مشكلة بين الله والرجال وصلواتهم.

هذه الآية لا تتعلق بأن المرأة جبانة وضعيفة وعلى وشك الإغماء بقدر ما تتعلق بالمعاملة والكرامة. يجب التعامل مع المرأة على أنها أكثر هشاشة بسبب عملية التكرير والتنقية الإضافية الموجودة في طبيعتها. لقد كان الرجل من التراب، وكانت المرأة من تراب الرجل المنقّى. وهذا يعني عادة أن الرجال «يقفزون» أفضل قليلًا من النساء. أحب أن أشبه الرجال على أنهم الخزف والنساء على أنهن الكريستال. قد لا أكون دقيقة للغاية في هذا، لكنني أحب أن أتخيل الأمر هكذا. كما أن هذا يخبرنا أيضًا أن النساء الأصيلات لسن قاسيات وجامدات، بل رقيقات وينكسرن بسهولة. وبالطبع يمكن لكل امرأة أن تزيد من قيمتها من خلال تنمية شخصية أكثر نبلاً، وعندها ستبلغ قيمة الياقوت.

أن النساء الأصيلات لسن قاسيات وجامدات، بل رقيقات وينكسرن بسهولة.

الشخص المعيب هو شخص أصيل

نظرًا لأن هناك قيمة متزايدة مرتبطة بالأشياء الأصيلة، فإنها غالبًا ما تكون غالية الثمن، تمامًا كما أن الكريستال أغلى من الزجاج. كلنا نعلم أيضًا أن الأشياء الثمينة غالبًا ما تتطلب درجة من التضحية للحصول عليها.

حتى يستطيع زوجي جون توفير المبلغ المطلوب لشراء خاتم خطبتي الماسي، ظل يتناول وجبات أغلبها من البطاطس لمدة شهرين. هذه التضحية من جانبه نبعت من إجابتي على سؤال طرحه علي جون مسبقًا أثناء البحث عن الخاتم.

كنا نقف خارج محل مجوهرات، ننظر إلى نافذة العرض ونبدي إعجابنا بالموديلات المختلفة وأحجام خواتم الخطبة الماسية قبل أن ندخل المحل. عندها أشرت إلى خواتم قليلة أعجبتني، كانت كبيرة وغير معتادة أكثر من الخواتم التي كان جون منجذبًا إليها. أخيرًا، توقف جون عن التلميح وسألني بوضوح.

«ما الذي يعجبك أكثر - الماسة التي تبلغ نصف قيراط أم قيراطًا كاملًا؟ أعتقد أن الماسة ذات القيراط تبدو كبيرة أكثر من اللازم.»

ولم أتردد لحظة بل قلت: «بالتأكيد تعجبني الماسة ذات القيراط أكثر!»

دخلنا إلى المحل، وبعد أن عرفنا ثمن الخواتم التي تحمل ماسة حجمها قيراط، يمكنني أن أقول إن جون أصيب بالإحباط. فقد كان ثمنها أكثر بكثير من ميزانيته.

فحسبت أنني قلت أكثر من اللازم عما أفضله، وفي ذلك الوقت وفي ذلك المكان قلت له إنني سأحب ما يعطيني إياه أيًا كان، واقترحت عليه ألا نتفرج على الماس معًا بعد الآن. كنت أحب حقًا أن يفاجئني.

في تلك الليلة، اتخذ جون قرارًا. لن يحدث أبدًا ألا يشتري لي الخاتم ذي الماسة التي تبلغ قيراطًا، وعلى الفور وضع خطة لتحقيق هذا. فبدأ يتصل ببائعي الجملة للماسات.

طلبني جون رسميًا للزواج يوم عيد ميلادي. ربما لأنه لم يكن لديه المال الذي يكفي لشراء هدية عيد الميلاد. كان متشوقًا جدًا أن يقدم لي الخاتم، وشعرت أنا بالذهول التام! بعد ذلك ذهبنا إلى شقته، حيث أراني شهادة الماسة. كانت هذه الوثيقة المعتمدة تحدد شكل الماسة ولونها ودرجة نقائها.

كانت وثيقة رسمية. لقد حصلت فعليًا على ماسة أصيلة، لكن

حقيقة أن كونها أصيلة لم يكن يعني أنها خالية من العيوب. في الواقع، يندر جدًا أن يتم تقدير ماسة أصيلة على أنها خالية من العيوب. فمعظم الماسات بها على الأقل عيوب طفيفة، وهذه العيوب في الحقيقة هي ما يعطي للماسة أصالتها. أراني جون العيوب الظاهرة في ماستي، والتي كانت تظهر في صورة ظلال كربونية بالقرب من مركز الماسة.

يجب أن يترجم هذا إلى أخبار سارة لنا جميعًا: فلكي نكون أصيلات أو خالصات، ليس علينا أن نكون بلا عيوب! بل إن عيوبنا في الحقيقة هي ما يعلن أننا أصيلات. في الواقع، إذا قدمنا أنفسنا على أننا بلا عيب، فمن المؤكد أننا نعلن أننا زائفات. لا يوجد شخص كامل أو صالح إلا الله.

لماذا تعدّ المعيبة أفضل

بالطبع إذا لم تحبي خيار الأصالة مع العيوب، فهناك خيار آخر. هناك شيء كامل وبلا عيب يمكنك أن تشتريه. يمكنك أن تشتري الزركون. هذه الأحجار متوافرة، واصطناعية، وبدون عيب، وهل ذكرت أنها ... رخيصة؟ لا تُستخرج هذه الأحجار من المناجم في أعماق الأرض، حيث يكون للحرارة والضغط دورهما في تشكيلها. بل تُصنع في مناخ المعامل المعقم الذي يتم فيه التحكم في كل شيء. يمكنك أن تحصلي على زركون حقيقي، لكن سيكون خطأ أن تطلقي على الزركون أنه «خالص» أو «أصيل». أعلم أنهم قد يشيرون إليه بهذه الكلمات في شبكات التسوق المنزلية. لكن الزركون الحقيقي هو في واقع الأمر ماسة زائفة. يمكنك أن تضعي الزركون في خاتم ذهبي وترتديه على أنه ماسة، ومعظم الأخريات تفعلن الشيء نفسه. لكنك إذا اشتريت ما اعتقدت أنه ماسة واكتشفت لاحقًا أنه زركون، فقد تعرضت بكل تأكيد لعملية غش. وحقيقة كونها بلا عيب لن يعوضك عن حقيقة أنها ليست لها قيمة حقيقية.

إن العين المجردة غير المدربة لا يمكنها التمييز بين الزركون والماس لأن الفرق لا يمكن ملاحظته على الفور. الشخص الذي له العين المدربة هو فقط الذي يمكنه أن يعرف الفرق.

في مثال على ذلك، عاد جون من الفلبين ومعه هدية من أحد الأشخاص لي. بدت خاتمًا وقرطًا ياقوتيًا. وقد أكد مقدم الهدية له أنها كانت خالصة. لكننا نحن الاثنين شككنا في الأمر. قبلنا الهدية على أنها لفتة لطيفة وتعبر عن الاهتمام، بغض النظر عن أصالة الأحجار. وأتى وقت كنت فيه أريد أن أقدم هذه المجوهرات لامرأة أخرى كهدية مني. وقتها كنت بحاجة إلى معرفة الحقيقة.

يوجد محل مجوهرات بجانب صالون التجميل الذي أرتاده، وفي أحد الأيام أخذت الخاتم إلى خبيرة المجوهرات وسألتها عن رأيها. وبينما كانت تقلّب الخاتم كانت تهز رأسها في شك، لكن تحت الميكروسكوب زالت كل الشكوك. إنها ليست فقط ياقوتة غير أصلية، وإنما تم تزييفها بشكل رديء. واكتشفت عند تكبيرها أنها كانت مليئة بكل أنواع الفقاقيع الهوائية. وعلقت الخبيرة على الأمر بأنها تبدو وكأنها تجربة علمية لأحد الأطفال. كان لازال بإمكاني أن أقدمها لغيري، لكنني لن أقول أبدًا إنها أصيلة. بل يجب أن تقدم على أنها مجوهرات مقلدة.

تحت التكبير وفحص الضوء الشديد، ربما نجد كمالًا زائفًا، أو محاكاة رديئة، أو كشفًا للعيوب. الأفضل دائمًا أن تكوني أصيلة ومعيبة عن أن تقدمي نفسك على أنك كاملة وبالتالي زائفة.

أعتقد أنه لوقت طويل كانت النساء المسيحيات تشعرن بضغط غير معقول أن تظهرن بصورة كاملة. وهذا جعل الكثيرات منا لا يمكن الاقتراب منهن وأيضًا غير أصيلات. وجعل الآخرين يشعرون بعيوبهم وعدم الراحة في حضورنا الزركوني اللامع. وفي تظاهرنا هذا، أصبحنا كلنا مجرد ضجيج، ولم يستطع أحد أن يسمع ما نقوله عبر المحادثة السطحية كلها. فقد تخيلنا بجهل أن التظاهر أننا كاملات سوف يلهب الكمال بداخلنا، لكننا بدلًا من أن نرفع الآخرين، وضعنا عليهم أثقالًا جذبتهم لأسفل.

أصيل. تستخدم كلمة أصيل لوصف شيء خالص وأصلي، وهي النقيض للشيء المزيف أو النسخة طبق الأصل. الشيء الأصيل هو شيء صحيح

قانونيًا. هذا يعني أن الشيء الأصيل لا يمكن أن يكون متكلفًا، لكن يمكن أن يكون مزورًا في حياتك. أحب أن أعبر عن هذه الفكرة على أنها عيوب مغلفة بالجمال والنور.

أما تعريف كلمة واقعي فلا يبلغ مثل هذا العمق. الواقعي يعرَّف أولًا على أنه له فقط وجود مادي فعلي.

إن الله يبحث عن الأصالة الخالصة في بناته. وهو يدعونا أن نعكس الجمال والثمن المدفوع مقابل خلاصنا، وأن نكون أحجاره الكريمة التي سمحت لعيوبها أن توضع في أحجار من النور والنار. الواقعي مرتبط بالحقائق، لكن الأصيل والخالص مرتبط بالحق والمعالجة.

عندما كتب جون كيتس عن العلاقة بين الحق والجمال، لا يمكنني أن أتخيل أنه فكر في إمكانية السعي وراء الجمال بالانفصال عن الحق. في تلك الأوقات الأكثر وضوحًا، عندما كان الشخص يطلب الحق، كان يكتشف الجمال في حضوره. إذا كان كيتس محقًا وكانت الصفتان مضفورتين معًا، فما الذي نجده عندما نطلب الجمال خارج نطاق الحق؟

ربما يكون أفضل توضيح لهذا هو ما يحدث في حياتنا اليوم. أؤمن أن ثقافتنا قد اختارت أن تطلب الجمال من منظور الواقعية بدلًا من أن تطلبه من منظور الحق. سيكون صعبًا أن نجد تناغمًا شعريًا في الكلمات: «الجمال هو الواقع، والواقع هو الجمال». لماذا؟ لأن هذا ليس صحيحًا. فالواقع نادرًا ما يكون به جمال، وبالنسبة لمعظم عناصر الحياة، فإن الجمال ليس واقعيًا. استطاع كيتس أن يربط الجمال بالحق لأن الحق مرتبط بصورة مطلقة بطبيعة الله، التي لا تجعله جميلًا فحسب، بل غير متزعزع أيضًا. إن الواقع يتلاشى، وبالتالي فإنه يرتبط بزمن محدد أو لحظة محددة.

ولكي نفهم هذا الأمر بصورة أفضل، يجب أن نناقش بعض المصطلحات. أولًا، هناك كلمة الحق. ويشتمل تعريفها على كلمات الصدق، والإخلاص،

والاستقامة، والأمانة. عندما ننظر حولنا، نجد أن الحق سلعة نادرة. وفي كل مرة يعلن فيها الحق، يتطلب منا قرارًا. هل نعتنقه ونتغير، أم نلتفت إلى الراحة النابعة من الأكاذيب التي تتطلب قدرًا أقل من المواجهة؟ الحق فقط هو الذي يوقف تقدم الأكذوبة.

لم يكن هناك وقت كان الاحتياج فيه للجمال والحق أشد من الآن. فالناس في كل مكان مصابون بالإحباط. ولم يعودوا يعرفون ما الذي يجب أن يؤمنوا به. فقد تعرضنا لوابل مستمر من الأكاذيب على كل الجبهات تقريبًا يقلل من شأن كل مستويات الحياة. هذه الأكاذيب قد أدت إلى خيبة أمل واسعة النطاق، وتخلى الكثيرون عن سعيهم وراء الحق ورضوا بالواقع بدلًا منه. أرجوك ألا تخلطي أبدًا بين الواقع والحق. فالحق جوهري، أما الواقع فهو في أفضل صوره غير ثابت.

إن الواقع يتحول إلى صورة ما يحيط به ويتكيف مع ثقافته وزمنه. لكن الحق يقف راسخًا لا تحركه التأثيرات الثقافية. فإن الحق يبقى مطلقًا، مما يدعو ثقافتنا أن تعتنق أساس حكمته. الواقع يرفع معيار ما هو كائن، في حين يرفع الحق راية ما يمكن أن يكون. مشورة الواقع تشجعنا بحماقة أن نقبل ما هو كائن بالطريقة التي ستظل عليها الأمور دائمًا.

إن إعلان الحق يوقظ الرجاء في شيء أكبر من هذا بكثير. فالواقع يقول إن كل إنسان يكذب ويلفق قصته الخاصة حول الأشياء ... هذا هو ما يحدث. وقبول هذا الواقع على أنه الحق يعطينا الإذن عند مستوى معين بأن نكذب. أما صوت الحكمة فيرفض أن يقبل الواقع على أنه الحق ويدعونا كلنا أن نسمو فوق ما هو معتاد، ويشجعنا على أن نتكلم بصورة مختلفة. تحذرنا الحكمة في سفر الأمثال قائلة:

«لأن حنكي يلهج بالصدق ومكرهة شفتيّ الكذب. كل كلمات فمي بالحق. ليس فيها عوج ولا التواء. كلها واضحة لدى الفهيم ومستقيمة لدى الذين يجدون المعرفة.» (أمثال ٨: ٧-٩)

اتصال قلبي

أثناء سفري للتكلم في المؤتمرات أو لحضورها، تتاح لي الفرصة أن أتصل على مستوى شخصي بالنساء. وقد وجدت أن النساء تسمعن رسالتي بطرق كثيرة ومختلفة. فقد تسمعن ما أقوله على مستوى التوجيه الذهني. فهن يقبلن رسالتي على أنها معلومات ويقيّمن جدارتها: هل سمعن هذه الرسالة من قبل، وهل هي منطقية، إلخ... إذا اجتزت الامتحان سوف تتم معالجة كلماتي بجانب كل المعلومات الأخرى المخزنة ذهنيًا لديهن.

كل شيء يتم التعامل معه تحليليًا، وفي أغلب الأحوال تصغي هؤلاء النساء إليّ لتتصيدن لي الأخطاء. غالبًا ما يتم هذا لأسباب الأمان الشخصي. فهو اتصال عقلي. وللحق، فقد وجدت أنه عندما يصغي الناس إليّ بتوقع أنني يمكن أن أرتكب خطأ أو أقول شيئًا أحمق، فأنا لا أخيب أملهم أبدًا.

هناك طريقة أخرى قد يسمعنني أتكلم بها إليهن وهي على مستوى الشخصية. ويحدث هذا عندما يسمعن ما أقوله ويتفاعلن معه عاطفيًا. فهن يقدّرن كلماتي إذا أعجبن بي أو ارتبطن بي على المستوى الشخصي. قد يكون هذا لأنهن وجدن أني مسلية، وهذا الارتباط ينبع في أغلب الأحوال مما إذا كنت أحفزهم وأجذب انتباههم عاطفيًا ... إنه اتصال نفسي.

ثم هناك الاتصال الأعمق والأبقى، وهو الاتصال القلبي. ويحدث هذا عندما تجلسين بين المستمعات وتشعرين كما لو أن المتكلمة تحيي وتصوغ في كلمات أفكارك واشتياقاتك غير المنطوقة. ربما تقول المتكلمة في العلن نفس الأشياء التي همس بها الله إليك في الخفاء. في هذه الحالة لا تكونين حاضرة عقليًا وعاطفيًا فقط، بل يتعمق الاتصال إلى ما هو أكثر من هذا، إذ تتواصلين لأن هناك صدى داخل روحك لما يقال. قد لا تحبين طريقة المتكلمة في اللبس، أو طريقتها في الحديث، أو الأفكار الرئيسية لما تقدمه. ربما لاحظت بعض الأخطاء، لكن عندما يحدث هذا الاتصال، لا تتدخل أي من هذه الأشياء في الرسالة، لأنك قد نزلت بالفعل إلى الأعماق إلى قلبك. وفي المستوى الأعمق، لا يكون هناك شيء مهم في العظة مثل ما يقال. عندما

يحـدث لي هذا النوع من الاتصال في خدمة ما. غالبا ما أسـمع الروح يتكلم إليّ بأمور أشعلها شيء آخر قالته المتكلمة.

المسـتوى الأول هـو الاتصـال العقلـي المعلوماتي. المسـتوى الثاني هو الاتصـال العاطفـي أو الشـخصي. والمسـتوى الثالث هو الاتصـال الروحي والقلبي. بالطبع يمكنك أن تتصلي بالناس على المسـتويات الثلاثة وسـوف يحدث هذا. فالمسـتويات الثلاثة كلها صحيـة وضرورية. لكن العمل الأعمق واليقظة الأعمـق يحدثان عندما يحدث الاتصال القلبي. الواقع لا يُحدث مثل هذا الاتصال العميق. ... لكن الحق والجمال يفعلان هذا.

هذه الأرض ليست كافية

لن يكون الواقع كافيًا. يجب أن نتخطى ما كان ونصرخ لأجل استرداد جمال الحق. نرى هذه الفكرة تتكرر في حياة الملك داود. فمقارنات حياته تشبه هذا: «يـا رب، هذا هو ما لدي في الواقع، لكنني بالحق أشـتاق إلـى هذا.» كثيرًا ما أعلن داود أن حق الله يفوق واقعه الحالي.

«إن نـزل عليّ جيش لا يخاف قلبـي. إن قامت عليّ حـرب ففي ذلك أنـا مطمئن. واحدة سـألت من الرب وإياها ألتمس. أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرس في هيكله.» (مزمور ٢٧ : ٣-٤)

كان واقـع داود هو حياة مليئة بالحرب والأعداء من الداخل ومن الخارج. لكن في وسـط هذا كله، كان الله يكفيه ويزيد. فبطريقة ما استطاع داود أن ينال لمحة إلى ما وراء ضباب هذا العالم ويجد نفسه في نطاق الحق على الجانب الآخر في مكان السلام والجمال الذي لا يمكن فهمه.

إن ما لدينا ليس هو ما نشتاق إلى اعتناقه. وما نراه ليس هو ما نبحث عنه. ما نسمعه ليس هو الأغنية التي تغنيها قلوبنا.

إن روائـح هـذه الأرض تغرينـا لكنها لا تسـتطيع أن تنقلنا. فما نشـربه لا يطفـئ ظمأنا المتكرر. وما نأكله لا يسـد جوعنا الشـديد طويلًا. لقد زُرعت

بذرة الأبدية بداخلنا، ولا يمكن لأي شيء من هذه الأرض أن يشبعنا حقًا. لقد أُعطينا سخاء الأرض وجمالها فقط ليفتحا شهيتنا على شيء أكبر بكثير.

إننا نصرخ لأجل ما هو أكثر من الواقعي - فنحن نشتاق إلى الباقي والأصيل.

هناك جزء من الأصالة هو إدراك قيمة أصل الشيء. فالأشياء الأصلية هي بداية شيء ما. يمكن أن نجد مثالًا على الشيء الأصلي في العمل الفني الخالص، وليس النسخة أو التزييف. هل تدركين أن هناك شيئًا فريدًا وأصليًا للغاية فيك؟ لابد من أن تكوني صادقة الولاء للشخصية التي صاغك الله لتكوني عليها.

على سبيل المثال، أنا أبغض الجوارب الطويلة، وأراها شريرة. وأتساءل بجدية إن كانت أحد الأسباب وراء الالتهابات الجلدية في منطقة الحوض. ولهذا لا أرتديها. إذا كانت هناك امرأة أخرى ترى أن الجوارب الطويلة صحية ومفيدة، فلها الحرية في هذا. يجب ألا تكف عن ارتداء الجوارب الطويلة بسببي. لكن إذا رأت واحدة ما أن الجوارب الطويلة هي من التقوى، عندها تظهر مسألة التوافق المسيحي. فالجوارب الطويلة ليست من التقوى أو من غير التقوى، فهي في واقعها شيئ ضيق مطاط يلتف حول ساقك. أنا سعيدة لأن هذه المسألة منتهية.

إذا كنت تعتنقين تفردك أو تعيشين حياتك بوصفها تزييفًا مختلطًا من حياة أخريات، فهذا الأمر في الحقيقة يرجع إليك. لكن اعلمي هذا: أن العالم كله يراقبك على أمل أن تكوني أصلية.

أبي السماوي،

آتي إليك في اسم يسوع. أريد أن أكون ماسة، وليس زركونًا. أريد أن أكون معيبة لكن أصيلة. أريد أن أسلك هذه الحياة بثبات في كل الأحوال. أبي، سامحني على الأوقات التي كنت فيها واقعية أو جسدية، عندما جلدت من جرحوني أو أذوني. أختار أن أبارك من يلعنونني وأفعل الخير لمن استغلوني أو أساءوا إلي. آمين

الفصل الثالث عشر

المحاربة باستخدام الحلّيّ

منذ وقت طويل وأنا أحب الأحجار. فقد كنت شغوفة بجمع الصخور في طفولتي. كنت أنا وصديقتي مارسي نفحص أسفل الخلجان ونفرز مساحات كبيرة من الحصا الصغير كلما وجدناه. أتذكر أنني كنت أجلس لساعات طويلة بينما كنا ننتقي الحصا الذي يمكن أن يغطي الطريق الذي أمام جيراني في المستقبل. كنا نبحث في ضوء الشمس في عصر الأيام الصيفية، على أمل أن نجد الخرز الهندي. وكنا نجده. فقد كنا في مهمة لإنقاذ هذه الأطلال المفقودة قبل أن تُغطَّى بطبقة من الأسفلت وتضيع إلى الأبد.

عندما كنت صغيرة، كان السير هدفه اصطياد الكنوز. كنت أفحص الشوارع والأراضي الخلاء لأعثر على الحجارة ورؤوس السهام. كنت أحفر في فنائي وأنخل الأحجار لكي أعثر على الحفريات، والميكة (مادة شبة زجاجية)، والذهب المزيف، والعقيق. كنت أدخر نقودي وأشتري أحجار دموع الأباتشي والعقيق ذي الشريط الوردي في معارض الأحجار الكريمة.

لم يكن سعيي وراء الكنز مقصورًا على الأحجار. ففي أحد الصيفيات، صرفت ساعات وأنا أحفر قدمي في الأعماق الموحلة لبحيرة فريمان. كنت أبحث عن بلح البحر. كنت أعرف أن اللآلئ مخبأة في إحداها. نقلت ضحاياي من الماء إلى دلو دهانات قديم وأقنعت والدي أننا يجب أن نأخذها إلى البيت كحيوانات أليفة. تخيلت نفسي وأنا أطعم هذه الكائنات الوعرة مقدارًا ثابتًا من الرمال، وتعطيني هي في المقابل لؤلؤة رائعة. ولم يمر وقت طويل حتى ماتت كلها. واستطعت بطريقة ما أن أقنع والدي أن يفحص كل واحدة بحثًا عن اللآلئ قبل أن يتخلص من هذه الفوضى كريهة الرائحة. ونظرًا لأنني كنت

أشعر بالذنب. ولم أستطع تحمل الرائحة. فقد راقبت ما يحدث من بعيد. جلست في الشرفة الخلفية، بينما كان والدي يستخدم سكينته البحرية لكي يتأكد من خلو كل واحدة قبل أن يتخلص منها. وأثناء تنظيفه لبلح البحر، أخبرني قصصًا عن المحار والغواصات اليابانيات اللواتي تبحثن عن اللآلئ. تخيلتهن مثل حواري الماء الشجاعات اللواتي يغطسن بلا خوف إلى الأعماق لكي يأتين بالكنوز المخفية إلى السطح. كن يغصن لصالح من لا يستطيعون أن يحبسوا أنفاسهم.

أردت أن أزور عمق المحيط وأستعير جماله. لم أكن مهتمة بالاحتفاظ باللآلئ بقدر ما كنت مهتمة بنشوة الاكتشاف. وبينما كان أبي يتكلم، خبطت السكين في شيء صلب في جسم بلح البحر. لقد كانت لؤلؤة! كانت في حجم عملة معدنية صغيرة - مسطحة وشكلها غير منتظم، لكنها كانت لؤلؤة، وليست أقل من ذلك! افتخرت بنفسي بفرح. كنت أعلم أنه يمكننا العثور على جمال وسط بلح البحر النتن فقط إذا بحثنا جيدًا.

العثور على ما هو نادر وسط ما هو عادي

يبدو أن واحدًا من أبنائي قد ورث اهتمامي بالعثور على ما هو نادر وسط ما هو عادي. سافرنا أنا وجون خارج المدينة لحضور اجتماع مجلس الإدارة السنوي، ثم تلقينا مكالمة تليفونية مليئة بالإثارة من البيت. كانت من أليك، الذي كان عمره آنذاك عشر سنوات، وهو يشرح بحماس شديد كيف أنه استطاع الحصول على ثلاثين دولار. يبدو أنه أثناء غيابنا قام أليك بتنقيب الصخور الموجودة في فنائنا الخلفي، ووضعها في غسالة الأطباق، ثم باعها لجيراننا من وراء منضدة وضعها في نهاية الطريق المؤدي إلى بيتنا. انخفضت درجة الحرارة إلى ما تحت درجة التجمد، وأنا على يقين أن وجود عامل في برد كولورادو القاسي في شهر يناير قد أثار اهتمام جيراننا. استمع شخص طيب باهتمام إلى أليك وهو يشرح الحجر الثمين الذي لديه. فاشتراه الرجل مقابل ثلاثين دولار. شعرت بالذهول، لكن قبل أن أعلق على الموقف سمعت أليك يتنهد في ندم.

«أمي، كان يجب حقًا أن أبيعه مقابل المزيد ... أعتقد أنه كان به ياقوت أزرق بداخله.»

يا لها من موهبة أن يستطيع الإنسان أن يرى شيئًا جميلًا مخفيًا داخل شيء في غاية الخشونة والاعتياد. وأنا أسألك، هل يرانا أبونا السماوي بشكل مختلف عن هذا؟

عندما أغلقت الخط، هززنا أنا وجون رأسينا وضحكنا بأعلى صوتنا. إن أليك لا يتقيد أبدًا بنماذج هذا العالم. فقد كان يبحث عن الجمال في الداخل ولم يكن ليقتنع أنه ليس موجودًا.

مر الوقت، واشترينا لأليك جهازًا لصقل الحجارة كهدية في الكريسماس. كان يتكون من برميل دوار، وحجارة خشنة، ومواد للتلميع، وبعض الحليات لتزيين الحجارة في شكلها النهائي.

لكن لمن لا تعلم، فإن جهاز صقل الصخور هو التزام يستغرق وقتًا ويصدر ضجيجًا. أولًا، تضعين الصخور ومعها مادة تلميع واحدة، وتغمسين فيها الحجر وتتركينه يدور لعدة أسابيع قبل ان تضيفي المادة الثانية الأكثر صفاء، ثم تبدأ العملية مرة أخرى. كانت هناك أوقات كثيرة عندما كنت أجلس بمفردي في المنزل، وأشعر بذعر لحظي ... ما هذه الضوضاء الآتية من البدروم؟ ثم أتذكر ... إنه جهاز صقل الصخور. كنت أتوق إلى انتهاء العملية. وكنت أسأل أليك وجون، لماذا تستغرق كل هذا الوقت؟ لكنهما كانا يؤكدان لي أنه لم يحن الوقت بعد لإطلاق الحجارة.

وأخيرًا جاء اليوم المنتظر. كنا قلقين بشأن المكان الذي يجب أن نتخلص فيه من مادة التلميع، فلا يمكن أن نتخلص منها في المجاري ولا في الفناء. وكان الحل الوحيد هو أن نضعها في كيس مزدوج ونتجه بها مباشرة إلى القمامة. كان هناك الكثير من السرعة والشطف، وبعدها ظهرت الصخور. كانت لامعة وناعمة ولدهشتي أنها كانت أصغر حجمًا من الأحجار التي وضعناها. كانت هناك واحدة بالتحديد لفتت انتباهي. فمنذ أسابيع دخلت

إلى الجهاز وهي قطعة حجر جمشت متربة وتبدو خشنة. والآن أصبحت حصاة أرجوانية صغيرة ولامعة. وعندما قلبتها في يدي لأتحسس كل جوانب نعومتها الباردة، شعرت بالروح القدس يتحدث إليّ:

إن الحجر الذي تمسكين به له نفس المكونات الكيميائية والجزيئية لحجر الجمشت الكريم، لكنه يختلف اختلافًا هائلًا في القيمة. هذا الحجر لا يمكن أن تُصنع منه المجوهرات، لأنه ليس به حواف أو أسطح أو نار. إنه لا يشبه أولادي. هناك من يجتازون في نفس العملية مرارًا وتكرارًا إلى أن تزول حدة أطرافهم مع الاختبار المتكرر. أنا أحبهم وهم لي، لكن كم أتوق إلى أن أمسك من جديد ببريقهم، وأعطيهم الأسطح والخطوط النظيفة المميزة للجواهر وجمال النور المكتسب.

كان هذا حقيقيًا للغاية. فأعظم اختلاف بين الحجر الأرجواني الذي في يدي والجمشت الذي يوضع في خاتم هو في طريقة الإعداد والمعالجة. ووجدت نفسي منذ ذلك الوقت أتأمل في هذه المقارنة.

عطش للنار

هناك شيء مذهل في أي حجر يلتقط النور، مع تقدمي في العمر، أصبحت أفضّل بريق الأحجار الكريمة. ليس لي أن أنقب عن جمالها. فهي مكلفة. ولقد عشت بما يكفي لأن أكتشف أن كل شيء جميل في حياتي وُلد نتيجة عملية النار أو التقطيع الحاد.

كل شيء جميل في حياتي وُلد نتيجة عملية النار

كانت هناك مناطق كثيرة ودروس في حياتي أراد الله فيها أن ينتج جوهرة، وسمحت له بالدخول فقط إلى ديناميكية صقل الصخور. وبدلًا من التسليم، كنت أنتحب وأتذمر من أن الحياة لم تكن عادلة (وكنت أقصد أن الله ليس عادلًا)! كانت هناك أوقات تراجعت فيها عندما دعاني أن أقترب إليه أكثر. وفي أوقات أخرى، كنت أتشبث بعلاقات معينة طلب هو مني الانفصال عنها. في تلك الفترات، كانت هناك همهمة متواصلة من جهاز صقل الصخور في حياتي. كنت أدور وأدور وأنا أقاوم الجمال الذي كان يمكن تحقيقه في لحظة تسليم وطاعة كاملين.

والحقيقة هي أن معظم النساء يحببن الجواهر والمجوهرات. المفترض أن نكون هكذا. وقبل أن تشعرن بالحماس وتبدأن في اقتباس أجزاء من رسالة بطرس الأولى، استمعن إلي بقلبكن. أنا لم أقل إننا يجب أن نشتهي المجوهرات أو نثق في حليها كمقياس دقيق لقيمتنا، بل إن كل ابنة تتمتع بتقدير ممنوح لها من الله لجمال الجواهر. وإلا فلماذا إذًا يخبئ الله كل هذا القدر من الأحجار المتعددة والثمينة داخل الأرض لو لم يقصد لأولاده أن ينقبوا عنها ويستمتعوا بها؟

لكن ما فائدة الحجر بدون الإطار؟

نجد عبر كلمة الله إشارات إلى الأحجار الكريمة. أصدر الله توجيهاته للصناع المهرة أن يصنعوا صدرة مربعة لهارون ويضعوا عليها اثني عشر حجرًا كريمًا لتمثل كل سبط من أسباط إسرائيل.

«ورصّعوا فيها أربعة صفوف حجارة. صف عقيق أحمر وياقوت أصفر وزمرّد. الصف الأول. والصف الثاني بهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض. والصف الثالث عين الهر ويشم وجمست. والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب محاطة بأطواق من ذهب في ترصيعها. والحجارة كانت على أسماء بني إسرائيل اثني عشر على أسمائهم كنقش الخاتم. كل واحد على اسمه للاثني عشر سبطًا.»
(خروج ٣٩: ١٠-١٤)

هذه الحجارة لم تلصق على القماش، بل تم وضع كل منها داخل أطواق ذهب. وهذا التشبيه يعلن أن كل سبط لم يكن فقط كريمًا في عيني الله بل كان متفردًا أيضًا. وأؤمن أننا بما أننا أولاد الله، فإن هذه هي الطريقة التي يختار الله أن يرانا بها. يصف سفر ملاخي التصاق الله بشعبه بهذه الطريقة:

«ويكونون لي قال رب الجنود في اليوم الذي أنا صانع خاصة (جواهر) وأشفق عليهم كما يشفق الإنسان على ابنه الذي يخدمه. فتعودون وتميزون بين الصدّيق والشرير بين من يعبد الله ومن لا يعبده.» (ملاخي ٣: ١٧-١٨)

كيف يجعلنا الله جواهره؟ أؤمن أن هذا يأتي بإعلان النور والنار.

«وأدخل الثلث في النار وأمحصهم كمحص الفضة وأمتحنهم امتحان الذهب. هو يدعو باسمي وأنا أجيبه. أقول هو شعبي وهو يقول الرب إلهي.» (زكريا ١٣ : ٩)

النار تنقينا. فهي تفصل الثمين عن الحقير وتجعل المخفي ظاهرًا. عندما يتم تسخين الفضة لدرجة حرارة عالية تصبح سائلة، ويطفو أي زغل إلى السطح. وعندما تظهر شوائبنا وتتراقص على السطح، يكون هناك قرار لابد من اتخاذه: إما أن نتركها أو ندعها تُزال. إذا اخترنا أن نسمح للزغل أو الشوائب أن تظل في معدن حياتنا، سوف تصبح غير منظورة مرة أخرى بعد أن يبرد الفرن. عادة ما يحدث إعلان النار هذا في خبايا القلب. وغالبًا ما نكون في حالة الصلاة عندما يشير الله إلى هذه الشوائب.

النار تكشف الأصالة

أنا لا أحب حقًا هذه الحقيقة، لكن ها هي على أي حال من الأحوال. تظهر شخصيتكِ الحقيقية عندما تكونين في النار. أريد أن أتخيل أن شخصيتي على التليفزيون هي التمثيل الحقيقي لشخصيتي. أحب النسخة المنقحة مني. أحب الشكل الذي أبدو عليه بعد ساعة من وضع المساحيق وشخص يعرف حقًا كيف يصفف لي شعري. أحب الإضاءة اللطيفة، والمكان الذي يتم التحكم فيه، والجمهور المُصفِّق، لكن ولا واحدة من هذه الأشياء تكشف عيوبي المخفية. فهذه العيوب تظهر عادة عندما تتعرض منطقة ما في حياتي للمقاومة.

تظهر حقيقتك عندما تكونين في النار.

«هأنذا قد نقيتكَ وليس بفضة. اخترتكَ في كور (أتون) المشقة».
(إشعياء ٤٨ : ١٠)

كنت أود أن يعيد الله صياغة هذه العبارة فيقول: «اخترتك في الساونا أو في مركز التجميل». ستكون هذه عبارة لطيفة.

يقول الكتاب المقدس في سفر أستير: «ولما بلغت نوبة فتاة ففتاة

للدخول إلى الملك أحشويروش بعد أن يكون لها حسب سُنَّة النساء اثنا عشر شهرًا، لأنه هكذا كانت تكمل أيام تعطرهنّ». (٢: ١٢). قلت لزوجي إنه يمكن أن تكون له هو أيضًا أستير إذا استطعت أن أمر أنا أيضًا بسنة من الإعدادات الجمالية. لكن للأسف، فإن هويتنا لا تتحدد بمن نحن في مركز التجميل، تمامًا مثل أستير بل تتحدد هويتنا بمن نحن في النار. تم اختبار أستير قبل أن تدخل إلى مركز التجميل هذا الذي استمر لمدة عام، وكانت باستمرار تختار الطاعة. إن النار تكشف عيوبنا بالتأكيد، لكننا إذا سمحنا لها أن تعمل عملها فينا، فسوف تكشف شيئًا جميلًا أيضًا.

في إحدى عطلات نهاية الأسبوع، كان مقررًا لجون أن يتحدث في مؤتمر ما وفي كنيستين في منطقة سان دييجو. أتاح هذا الفرصة لاثنين من أبنائي أن يرافقانا. غادرنا كولورادو سبرينجز باكرًا جدًا في الصباح وطرنا إلى كاليفورنيا، لكن اكتشفنا عندئذ أن غرفتنا في الفندق لن تكون متاحة قبل ست أو ثماني ساعات.

هرع جون إلى اجتماعه، وبقينا نحن نحاول أن نستفيد بالوقت أثناء انتظارنا للغرفة. كانت السماء تمطر، ولذلك كنا نتجول إلى داخل وخارج المتاجر في محاولة للبقاء غير مبللين ولكي نتغلب على الملل. كان أحد المتاجر هو محل للمجوهرات مليء بكل أنواع المجوهرات الفضية المرحة. انتقيت خاتمًا له فص توباز أزرق ولبسته لأجربه على سبيل المرح. وكان مناسبًا لي جدًا. كان يمكن أن أقتنيه بدلًا من خاتم توباز آخر تسببت في خلع الفص منه. أعدته لموظفة البيع وقررت أن أحضر جون مرة أخرى إلى المحل عندما ينتهي من ارتباطات الوعظ لديه لكي أريه له.

عندما انضم إلينا جون بعد ساعات قليلة، سألته إن كان يرغب في أن يشتري لي خاتمًا. فقد كان عيد زواجنا الخامس والعشرين بعد أقل من شهر، وهو حتى لن يكون معي فيه، فسوف يكون في أستراليا. ألم يكن يريدني أن أحصل على شيء مميز أنظر إليه أثناء غيابه؟ (أجل، كنت أستغل الموقف). فوافق على أن يرى الخاتم، وبعد الغداء عدنا جميعنا إلى المتجر.

شـاهدتني صاحبة المتجر قادمة فأخرجت الخاتم. فدخلت ولبسته لكي أريه لجون.

«أترى كيف يبدو مناسبًا؟ يمكنني أن ألبسه بدلًا من الخاتم ذي الفص المفقود ويكون هدية عيد زواجنا».

فسأل جون: «كم يبلغ ثمنه؟»

فأجابته البائعة: «خمسة وأربعون دولار».

فقال جون وهو يعقد الصفقة: «بالتأكيد، سوف نأخذه».

صارعت للحظة مع الشعور بالذعر. خمسة وأربعون دولار؟ ربما لم يكن حقيقيًا من الأساس. لقد بعت هدية عيد زواجي الخامس والعشرين بثمن بخس للغاية!

وبينما كنت أسدد ثمن الخاتم، قرر جون أن يأخذ ابنينا خارجًا.

والآن وقد أصبحت بمفردي مع صاحبة المتجر، قررت أن أسألها عن أصالة الحجر.

فسألتها: «هل هذا توباز أزرق أصيل؟»

فأجابتني قائلة: «لا يوجد شيء اسمه توباز أزرق أصيل».

عندئذ زادت حيرتي أكثر.

فقلت، وأنا أخشى أن أكون قد اشتريت قطعة من الزجاج الأزرق «لكنني رأيته».

فشَرَحَت لي قائلة: «كل أحجار التوباز تكون بنية اللون إلى أن توضع في النار. إذ يخرج لونها في النار».

وشاركتني بكيف أن عرق تنزانيت بُنِّي قد تحول إلى الألوان الزرقاء والأرجوانية الجميلة بعد أن تعرض للبرق. وشرحت كيف أن الأحجار الثمينة تُولَد في النار.

فسألتها مرة أخرى: «إذًا هو ليس زائفًا؟»

فأكدت لي قائلة: «إنه توباز أزرق أصلي كما يجب أن يكون».

النــار لا تكشــف العيــوب فقط، بل تكشــف أيضًا ما هو جميــل. من الذي يتخيل أن الألوان المتفاوتة بين زرقة المياه وزرقة الســماء يمكن أن تخرج من اللون البني؟

جمال في الظلام

منذ سنوات كثيرة، حصلت على قطعة من الجيود الأرجواني. كان السطح الخارجــي معقــدًا وصدئًا. وبالنظر إليــه لا يمكنكِ أن تخمني أبــدًا أنه كان يحوي تشــكيلات كريستالية أرجوانية نقية. لا يوجد شيء في ظاهر الجيود يعطــي ولو لمحة عن الجمال الــذي بالداخل. فالخارج يحكي قصة الحرارة والضغط، بينما يكشــف الداخل عن الجمال الذي ولد من هذه المقابلة مع النار.

تســتخرج معظم الأحجار الكريمة من المناجم. وهذا يعني أنها تشكلت فــي البيئة المخفية من الضغــط قبل أن يتم التنقيب عنهــا وإخراجها إلى النور.

كم أحب مثال الجواهر الجميل الوارد في القصة المسيحية الكلاسيكية أقــدام الأيائل على المرتفعات. في ســياق أحداث القصــة، أُعطيت «الخائفة كثيــرًا» الفرصة أكثر مــن مرة لأن تصنع مذابح للطاعة وتستســلم للراعي. في كل مــرة تُلتَهم فيها ذبيحتها، كانت تجد حجرًا في وســط الرماد. كانت الأحجار تبدو عادية وشــائعة، لكنها كانت تحتفظ بها في حقيبتها كتذكار على الدرس الذي تعلمته. ثم أتى وقت إحباط شــديد للخائفة كثيرًا وشعرت فيــه بالرغبة فــي التخلص مــن الأحجار العاديــة وفكرت كــم كانت حمقاء لاحتفاظهــا بما يبــدو بلا قيمة. لكن بعد ذلك اكتشــفت أن كل واحدة منها كانت جوهرة.

هنــاك جمال نتعلمه من كل موضــع مظلم ووحيد في حياتنا. في أوقات الطاعــة هذه أثناء الألم تكون لنا الفرصة لاختبار أن أبانا الســماوي يكفي ويزيــد. فهــو على اســتعداد أن يُخرِج من مــادة التجارب الخشــنة أغراضًا جميلة.

حتى أجمل الجواهر، مثل نجمة الهند أو ماسة الرجاء، كانت في وقت من الأوقات أجزاء وضيعة من الكربون. ثم تحولت هذه الأحجار التي لا شكل لها بمهارة إلى جواهر جميلة. ولكي يتم هذا، كان عليها أن تتعرض للتقطيع وتحديد الجوانب والصقل. أثناء تقطيع الجوهرة، يمكن فقد كمية كبيرة من الحجر. غالبًا ما يبقى ٢٠٪ فقط من الوزن الأصلي للجوهرة الخام. كل هذا يعتمد على ما يبحث عنه الصائغ. هل يريد جوهرة أصغر بدرجة نقاء أفضل أم يريد جوهرة أكبر بدرجة نقاء أقل؟ عندما تكتمل العملية كلها، سوف يصعب عليكِ أن تصدقي أن هذه الجوهرة الصغيرة المنتظمة اللامعة قد وُلدت من حجر خشن غير متناغم. وهذا يشبه العجائب التي يشتاق الله أن يعملها فينا.

كيف نصبح جواهر

«فرحًا أفرح بالرب. تبتهج نفسي بإلهي، لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص. كساني رداء البر، مثل عريس يتزين بعمامة، ومثل عروس تتزين بحليّها». (إشعياء٦١: ١٠)

العروس تزين نفسها بالجواهر. تقدَّم لنا هذه الحليّ عندما نطيع في أوقات الألم. إنها العملية التي تكشف الجمال وتضع الأحجار الثمينة في إطار مزركش.

ارجعي بذاكرتكِ إلى السنة الماضية. هل حرمتِ نفسكِ من الحليّ الجميلة الباقية لأنكِ كنتِ تخشين من العملية اللازمة للحصول عليها؟ ربما قد تحملتِ العملية لكنكِ كنتِ تتذمرين طوال الطريق، وأصبحتِ تخشين الآن من أن ينتهي بكِ الحال بسلسلة مفاتيح بدلًا من قلادة العنق. أو ربما كانت لديكِ بالفعل مجموعة من الجواهر وأنتِ حتى لا تعرفين هذا.

يخبرنا الكتاب المقدس أن يسوع قد احتمل الصليب من أجل السرور الموضوع أمامه. في تجاربنا، الكبيرة أو الصغيرة، لابد أن نسمح للسرور أن يوضع أمامنا. هل يمكنكِ أن تصدقي أنه مستعد أن يأخذ ألمكِ وإحباطكِ ويجعلهما شيئًا جميلًا. دعونا نصلي معًا.

أبي السماوي،

آتي إليك في اسم يسوع. أسألك بقوة روحك القدوس أن تأخذ الصخور التي في حياتي وتجعلها أشياء جميلة.

سامحني على أية دمدمة وتذمر. أريد أن أخرج من جهاز صقل الصخور. أيها الآب، افعل ما تريد. نقني واخرج لوني الفريد بنارك المقدسة. حدد وجه حياتي وضعني في إطار من اختيارك. اعطني عينين لأرى وعد الجمال والقوة الذي تقدمه في كل عملية وفترة في حياتي. آمين.

الفصل الرابع عشر

المحاربة باستخدام التأثير

«ودبورة امرأة نبية زوجة لفيدوت، هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت. وهي جالسة تحت نخلة دبورة بين الرامة وبيت إيل في جبل أفرايم. وكان بنو إسرائيل يصعدون إليها للقضاء». (قضاة ٤: ٤-٥)

تبدو هذه وظيفة جميلة، وهي وظيفة يمكنني أن استمتع بها - أن أكون نبية تجلس تحت النخلة وتقضي للناس. يمكنني أن أتخيل هذا بوضوح شديد: سوف أعقد المحكمة على وسائد حريرية تحت ظل نخلة فخمة تُسمَّى باسمي. سوف يراني الناس وأنا أتكئ بصبر، بينما يُحضِر شعبي نزاعاتهم أمامي وأعطيهم أنا الحكمة المعطاة من الله. أعتقد أنه مع وجود أربعة أبناء (ثلاثة منهم مراهقون!) فإنني قد نلت إعدادًا مناسبًا لمثل هذا الدور.

كما تشمل سيرتي الذاتية من الخبرة أيضًا المرات الكثيرة التي أصدرت فيها أحكامًا على نزاعات غالبًا لم تكن لي علاقة بها، مثل النزاعات التي تخص أصدقائي أو أقاربي بحسب الجسد. وقد جربت أن أقلل من هذا النشاط منذ أن عرفت أن المعيار الذي نستخدمه للحكم هو المعيار الذي يُحكم به علينا.

أجل، في البداية تخيلت أنه يمكنني بكل تأكيد أن أكون ممسوحة لأن أحتسي عصير الليمون وأصغي بأسلوب ملكي، مدعومة بيقين أن الناس الذين يأتون فعليًا ليس عليهم أن يصغوا إلى تعليماتي فقط بل أيضًا أن يطيعوها. سوف أكون الرئيسة الكبرى، وهو بالتأكيد ليس الحال دائمًا في بيتي.

لكــن بكـل جديــة، فإنني أنا وأخريــات أيضًا ربما تخيلنا تخيلات رومانســية عــن دور دبورة بل وتســاءلنا ماذا ســيحدث لو نلنا الفرصــة لنكون في موضع المســؤولية. عندما درســت أكثر اكتشــفت أن هذا الخيال كان بعيدًا تمامًا عــن واقع دبورة. ففي النهايــة، لا يمكن لأحد أن يكتب التاريخ بمجرد الجلوس والقضاء. أؤمن أن حياة دبورة وظروفها تحمل رســالة عاجلة ونداء اســتيقاظ للنساء في عصرنا.

الحياة بعد «إهود»

كثيرًا ما نقرأ قصص الكتاب المقدس ونحن نعرف النهاية بالفعل، وبالتالي يصعــب علينا أن نغمر أنفســنا حقًا في صراعات أو حقائق الحياة بالنســبة لأبطــال الإيمان هــؤلاء. لقد كانت صراعاتهم في غايــة الواقعية، ومخاوفهم لا تختلــف كثيرًا عن مخاوفنا. كما أن صلواتهم وأحلامهم وآمالهم لأولادهم كانت مشــابهة لنا. دعونا نرجع قبل ذلك بآية أو اثنتين ونكتشف لماذا كانت دبورة في موضع القوة ونوعية السيادة والمناخ الروحي الذي ورثته فعليًا.

«وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب (ما قال الرب عنه إنه خطأ) بعد موت إهود». (قضاة ٤ : ١)

كان إهود قاضيًا ســابقًا لدبورة، وبموته تغير كل شــيء. أولًا، يجب أن نعلم أن إهــود كان في وقته بالتمام. فقد قضى لإســرائيل لثمانين عامًا وبدأ توليه لهــذا المنصب بمواجهــة عنيفة وصدّ للعدو. وفي ظــل قيادته، صدوا موآب، وقتلوا عشرة آلاف رجل مقتدر في هذه العملية. هذه النصرة شجعت أخًا له، وهو شــمجر، فأكمل المحاربة وقتل ســتمائة من الفلسطينيين باستخدام منســاس بقر، يمكن وصفه بالأحرى على أنه عصا لإخافة الحيوانات. ما كان هذا بالضرورة هــو اختيــاري للســلاح، لكنــه يفســر هذه النقطة الرئيســية: عندمــا يكون اللهُ معكِ، فلا يهم حقًا ما هو الموجود في يدكِ ... ما يهم فقط هو أن تستخدميه. وفي زخم هذه النصرة وإعادة تأســيس الحدود والتخم الصحية، اســتراحت الأمة لمــدة ثمانيــة عقود، مما يعني أنه كان هناك من عاشــوا وماتــوا ولم يعرفوا

> **عندما يكون الله معك، فلا يهم حقًا ما هو الموجود في يدك ... ما يهم فقط هو أن تستخدميه.**

الحروب مطلقًا. غالبًا ما يكون هذا هو الوقت الذي نكون فيه أضعف ما يكون؛ عندما يستريح الجميع.

ومع مرور الوقت، نسي الناس الأسباب التي لأجلها استمتعوا بما يقرب من قرن من السلام عندما أحاط بهم الأعداء. ربما نسوا أيضًا ما الذي أوقعهم في المشكلات في المقام الأول. أو ربما ظنوا فقط أن الله لا تهمه الطريقة التي يحيون بها. ربما ظنوا أن زمن تدخل الله قد انقضى، ويمكنهم أن يتولوا القيادة من تلك النقطة. فهم في النهاية شعبه المختار. ألم يكن الله معهم مهما كان الأمر؟ فإذا وقعوا في أية مشكلة، بالتأكيد يمكن لمنساس بقر جيد أن يحلها. ولذلك أكرموا رحيل قاضيهم الصالح إهود بالعودة في الحال تقريبًا إلى ما قال الله عنه إنه خطأ. نقرأ هنا كلمة عاد، مما يعني أنها لم تكن المرة الأولى التي يُفسِد فيها بنو إسرائيل الأمور.

حسنًا، إنني أدرك أنه في مجتمعنا الدبلوماسي والحساس والمتسامح تعد كلمة خطأ كلمة سيئة. فهي تنطوي على أنه ربما يكون هناك صواب، وهو جانب مرعب بالنسبة لمعظمنا لأننا قد قررنا أن نضع كل شيء (بما في ذلك القتل) تحت مظلة حق التفضيل أو القرار الشخصي. فما هو صواب بالنسبة لكِ قد يكون خطأ بالنسبة لي، وما هو خطا بالنسبة لكِ قد يكون صوابًا بالنسبة لي ... لا عجب إذًا أن الكثيرين مشوَّشون. ولكن بالخلاف مع مجتمعنا الحالي، فإن الله كانت لديه أفكار محددة جدًا عمَّا كان خطأ، وقد تجاوب تبعًا لذلك.

«فباعهم الرب بيد يابين ملك كنعان الذي ملك في حاصور. ورئيس جيشه سيسرا، وهو ساكن في حروشة الأمم. فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب، لأنه كان له تسع مئة مركبة من حديد، وهو ضايق بني إسرائيل بشدة، عشرين سنة». (قضاة ٤: ٢-٣)

ردًا على هذه الحالة، سمح الله ليابين، ملك كنعان، أن يهزم شعب الله. لاحظي استخدام كلمة باعهم، وهي كلمة توحي بالسماح. أي أن الله سمح ليابين أن يحصل على هذه النصرة. وكأن هذا الإذلال لم يكن كافيًا، فقد سلم الشعب للقانون النظامي لقائد اسمه سيسرا. لم يكن ذلك القائد قاسيًا

فحسب، بل كان قاسيًا جدًا وله تسعمائة مركبة حربية حديدية. (فجأة بدا استخدام منساس البقر سخيفًا). غرق شعب الله في المصاعب التي تواجههم، فبدأوا يصرخون مرة أخرى للحصول على معونة الله. في الواقع، لكي أكون دقيقة، فقد ظلوا ينوحون لمدة عشرين سنة.

ادخلي يا دبورة

كان هذا هو المناخ القمعي اليائس الذي ورثته دبورة ووجدت نفسها قاضية ونبية فيه - أقل ما يقال عنه إنه كان كئيبًا. ثم إن هناك مسألة لماذا وقع ثقل كل هذا على كتفي امرأة. ربما كان كل رجال القوة والنفوذ قد دُهسوا بالمركبات الحديدية لتسلية القائد سيسرا الملتوي الضار. ربما أراد السخرية من الإسرائيليين بأن لم يسمح لأحد أن يحكمهم سوى امرأة. أو ربما لم يلاحظ أو يعترف بها كقائدة. ففي النهاية، ما الذي يمكن لامرأة جالسة في وسط الخلاء أن تفعله؟ من الواضح أنه يمكنها أن تفعل الكثير.

أجل، اختار الشعب بجهل أن يفعلوا الشر، والآن صاروا يصرخون. ووجدت دبورة نفسها واقفة ما بين مدينتين مكسورتي القلب بدون حتى مبنى تمارس فيه القضاء. لم يكن هناك سوى نخلة، نخلة دبورة. كان هذا هو مكانها وواحة الرجاء الوحيدة من الظلم والقمع على الطريق المترب بين مدينتين. كانت جدران الحماية منهدمة، ولم تعد القرية مزدهرة. لم تكن الأحوال سيئة فقط بالنسبة لإسرائيل، بل كانت سيئة داخل إسرائيل. كان هناك صراع بالداخل وأيضًا قمع وعنف من الخارج. كان هناك شجار وحشي وسط شعب الله.

نعلم أن هذا حقيقي لأن دبورة قضت وقتها تسوي النزاعات بين شعب الله. لم تقض وقتها تتوسط نيابة عن شعب إسرائيل في محاكم كنعان من خلال الشكوى من المظالم أو تشريع حدود خاصة بالعلاقات مع سيسرا. أشك أنها حتى كان لها أي نفوذ في هذه المحاكم. فبصفتها قاضية كانت تصرف وقتها في فحص خلافات شعبها إسرائيل. كانت تسوي النزاعات في محاولة لمنع أولاد الله من أن يلدغوا ويلتهموا ويقاضوا بعضهم البعض.

وبصفتها نبية، فقد كانت هي صوت الله لأولاده العصاة. كانت هي من يصححهم ومن يعزيهم أيضًا. اسم دبورة يعني «نحلة تعطي عسلًا». وأنا على يقين أنها كثيرًا ما شعرت وكأنها وُضِعت في خلية من الاضطراب الطنان بينما كانت تستمع إلى الشكاوى، وفي الوقت نفسه تحاول أن تستمد شيئًا حلوًا وباقيًا من كلمة الله لشعبها. قد يكون عدم الراحة هذا هو كل ما جرؤ بنو إسرائيل أن يرجوه. ففي النهاية، كانوا غير أمناء.

لكن كل هذا كان على وشك أن يتغير؛ فقد أتى اليوم الذي لم تعد فيه قانعة بالجلوس والقضاء بين الخلافات وسط شعبها، ومراقبة الشجار الوحشي اليائس في الوقت الذي يسخر فيه العدو المؤلم القاسي من إلههم وينهب مدنهم. لقد سئمت من صوت النواح واليأس واختارت -بدلًا من هذا- أن ترنم.

تقول ترنيمة دبورة إنه قد أتى يوم قامت فيه واستدعت محاربًا نائمًا اسمه باراق. وعندما فعلت هذا، تركت وراءها وضعها ومكانتها السابقين اللذين ظلت تشغلهما لمدة عشرين عامًا. لا رجوع للوراء. لن تبقى سلبية في انتظار أن يعيقها المزيد من الخلافات والوحشية. لقد نالت ما يكفيها. وتعبت من انتظار حدوث شيء أكثر أثناء التأمل في الخلاف ... لقد حان الوقت لمواجهة العدو. هناك ترجمات أخرى للكتاب المقدس تسبق الكلمات السابقة بكلمة «الآن»، أو «وفي يوم ما» أو «بعد هذا». من المثير دائمًا أن نمتحن عنصر التوقيت هذا. أريد أن أسأل، لماذا الآن؟ لماذا لم يحدث منذ عشرين عامًا؟ ما الذي كانت تنتظره؟

«فأرسلت ودعت باراق بن أبينوعم من قادش نفتالي». (قضاة ٤: ٦)

كان باراق يعيش في إحدى مدن الملجأ التي تدعى قادش. أمر مُشوِّق أن اسمه يعني «البرق». كان الله يستعد لكي يصعق فجأة من مدينة اللاجئين الخائفين.

«وقالت له: ‹ألم يأمر الرب إله إسرائيل: اذهب وازحف إلى جبل تابور، وخذ معك عشرة آلاف رجل من بني نفتالي ومن بني زبولون...؟›» (قضاة ٤: ٦)

كم تدهشني قوة هذا التوجيه. إنه بالتأكيد لا يشبه التوجيهات التي نسمعها، والتي تشبه اقتراحات الصلاة، مثل «لقد كنت أصلي بخصوص هذا الأمر، وأعتقد أنك ربما تريد التفكير في جمع بعض الآلاف من الرجال، وربما يكون جبل تابور موقعًا مناسبًا للجميع». كلا، لقد أبعدت نفسها ورأيها وأي سؤال لديها تمامًا من المعادلة؛ فقد سمعت كلمة الرب، وكانت مسؤوليتها الوحيدة هي أن تنقلها.

عندما يبدأ الله في تغيير الأشياء، يكون هناك إحساس بالعجلة. فهو يبدو أنه يتجاوب مع صلواتنا اليائسة أو صرخاتنا بتحرك مفاجئ من السكون إلى الحركة ويقاطع دوائر يأسنا. إذا كنا حكيمات، فسوف نسمح لهذه العجلة أن تمتد إلى استجاباتنا وطاعتنا لدعوته للتحرك.

يثبت التاريخ أن الحاجة إلى الطاعة الفورية تشجع القادة المخفيين على أن يتقدموا، ويجمعوا المحاربين المُحبَطين، ويؤهلوهم بتأكيد نصرة الله. لقد حفزت رسالة دبورة باراق. شعر الشعب الحماس. سوف يحارب الله عنهم مرة أخرى ويهزم أعداءهم كما في القديم! لقد وعد الله أنه إذا جمع باراق هذا الجمع وقادهم، سوف يفعل الله الباقي.

«فأجذب إليكَ، إلى نهر قيشون سيسرا رئيس جيش يابين بمركباته وجمهوره وأدفعه ليدكَ». (قضاة ٤ : ٧)

يبدو هذا وكأنه صفقة مضمونة. سوف يُدفَع سيسرا وجيشه وكل مركباته المخيفة إلى باراق. لقد آن الأوان للقساة والمقتدرين أن يستسلموا أمام الضعفاء والمقهورين. قد تظنين أن باراق سوف يتشجع بكل هذا، لكنه تردد. لماذا؟ كان أمر الله ووعده يحفزاه بما فيه الكفاية لأن يتجاوب معهما، لكن ليس بما فيه الكفاية لكي يحركه للعمل. كان خائفًا؛ فإن العشرين سنة التي قضاها كلاجئ كان لها تأثيرها عليه، وحتى بالعشرة آلاف رجل لن يستطيع أن يواجه سيسرا ما لم تذهب دبورة معه. فذهب إلى دبورة بهذا الرد:

«إن ذهبتِ معي أذهب، وإن لم تذهبي معي فلا أذهب». (قضاة ٤ : ٨)

لنتراجع خطوة ونتأمل في رد فعله. بالطبع يوضح لنا هذا الكثير عن المناخ الذي كان سائدًا في ذلك الوقت. فها هو رجل منهزم ومُحبَط، وقد نسي اسمه. إن الرجل الذي له اسم يعني «البرق» يجب ألا يخاف من أي شيء أو أي شخص. يجب أن يكون مستعدًا وجاهزًا ليضرب العدو. أتخيل أن دبورة سمعت الله وهو يقول العبارة بهذا الشكل:

يا برق، إن الرب إله إسرائيل يأمرك: اذهب واجمع عشرة آلاف رجل!
(قضاة ٤: ٩)

هذه العبارة تحمل شعورًا مختلفًا تمامًا. يصعب أن نتخيل البرق وهو يظن أنه بحاجة إلى النحلة التي تعطي عسلًا لكي ترافقه. بل إن ما هو أكثر من طلبه منها أن تذهب معه، هو أنه رفض أن يذهب بدونها. لقد كان في الواقع يهدد بأن يعصى أمر حاكمته الأرضية وحاكمه السماوي إذا لم ترافقه. وهذا يبين لنا كم كان الرجال مُحبَطين في ذلك الوقت.

«فقالت: ‹إني أذهب معك، غير أنه لا يكون لك فخر في الطريق التي أنت سائر فيها. لأن الرب يبيع سيسرا بيد امرأة›. فقامت دبورة وذهبت مع باراق إلى قادش». (قضاة ٤: ٩)

وافقت دبورة أن تذهب معه، لكنها أوضحت أنه حتى قبل أن تبدأ المعركة، سوف يخسر شرف النصرة الشخصي لصالح امرأة. كم أحب استخدام دبورة لسلطانها وتأثيرها لكي تنمي الطاعة داخل باراق. لم تحاول أن تستخدم منصبها كقاضية، أو تلعب «بورقة الله» التي معها كنبية وتوبخه على رفضه. لكنها أعارته قوتها.

كل القادة الحقيقيين -من الرجال والنساء- يجب أن يقدموا قوتهم بدلًا من أن يستخدموا منصبهم. عندما يرتعب الأطفال، أحيانًا يكون كل ما يحتاجون إليه هو شخص يوصِّلهم لغرفتهم. الأمر لا يتعلق دائمًا بفعل الشيء بمفردكِ، لكنه دائمًا يتعلق بفعل

كل القادة الحقيقيين، من الرجال والنساء، يجب أن يقدموا قوتهم بدلاً من أن يستخدموا منصبهم.

الأشياء. إذا لم تقرأي هذه القصة حتى نهايتها من قبل، فربما تظنين أن دبورة كانت تشير إلى أن الفضل في هزيمة سيسرا سيرجع إليها. لكنها لم تكن تعني هذا. فهناك امرأة أخرى سرعان ما ستظهر في المشهد، وهي ياعيل، وهي التي سوف تنهي المهمة.

نزع مخالب العدو

قامت دبورة ورافقت باراق إلى قادش، حيث دعيا عشرة آلاف رجل من نفتالي وزبولون. وأثناء حدوث كل هذا، كان هناك جاسوس يُدعَى حابر يخطر سيسرا باجتماعهما.

«وأخبروا سيسرا بأنه قد صعد باراق بن أبينوعم إلى جبل تابور».
(قضاة ٤: ١٢)

تخيلي الرعب الذي من المؤكَّد أن الإسرائيليين قد شعروا به في البداية: لا يمكن أن يحدث هذا. لقد اكتشف العدو ما كنا سنفعله، وقد خرج بكامل قوته لكي يسحقنا! لكنني أحب الطريقة التي يعمل بها الله. ظن سيسرا أنه كان في طريقه إلى إخماد ثورة، لكنه واجه سقوطه. وما ظن أنه مخابرات سرية، كان في الحقيقة هو الطُعم الذي قدمه له الله، أي أن الله كان يستخدم النميمة لكي يجذب العدو إلى الهزيمة. كانت دبورة قد رأت هذا بالفعل في الروح، وبدلًا من أن تشعر بالخوف، فقد عرفت أن جيش العدو كان حاضرًا ومستعدًا - مما يعني شيئًا واحدًا فقط، وهو أن الوقت قد جاء!

«فقالت دبورة لباراق: ‹قم، لأن هذا هو اليوم الذي دفع فيه الرب سيسرا ليدكَ. ألم يخرج الرب قدامك؟› فنزل باراق من جبل تابور ووراءه عشرة آلاف رجل».
(قضاة ٤: ١٤)

كان باراق ورجاله مُحاصَرين على جبل تابور، وأعلنت دبورة قائلة: «لقد أفسح الله الطريق لك بالفعل». وأنا أتساءل: «هل يمكن أن يكون هذا هو تجاوبي لو كنت مكانها؟» أخشى أن كلماتي كانت ستعكس ما أراه واقعيًا: «لا يمكن أن يكون هذا! إننا مُحاصَرون، ولا يوجد مفر!» بدلًا مما وعد به الله: «أنا أدفعهم

ليـدك». ربما كانت قدرة دبـورة على أن ترى ما وراء الظروف هي السـبب الذي جعل باراق يقدِّر رفقتها له. لأنه عندما تنادي النساء ذوات الرؤية النبوية -أمثال دبورة- يقوم الأمراء. انظري ما حدث:

«فأزعج الرب سيسرا وكل المركبات وكل الجيش بحد السيف أمام باراق. فنزل سيسرا عن المركبة وهرب على رجليه». (قضاة ٤: ١٥)

كـم أحب هـذا! إنه يقول إنه بمجرد اقتراب باراق، اختبر سيسـرا وجيشـه، بل وحتـى المركبات الحديدية المخيفة، فوضى مطلقـة. لم يكن على بني إسرائيل سوى أن يستلوا سيوفهم، وينهزم العدو ويضيع في حيرة. بدا سيسرا وكأنه يهرب، بينما كان في الحقيقة يواجه موته في خيمة أحد حلفائه.

طارد باراق ورجاله مركبات سيسرا وجيشه حتى حروشة الأمم. وبسيوفهم قتلـوا كل رجال سيسـرا، لم يُترَك واحد منهم على قيـد الحياة. وتقدم باراق والعشـرة آلاف رجل معه من مجرد الاقتراب إلى الأعداء إلى الاشتباك معهم والنصرة عليهم، ثم مطاردتهم دون ارتباك.

«وأما سيسرا فهرب على رجليه إلى خيمة ياعيل امرأة حابر القيني، لأنه كان صلح بين يابين ملك حاصور وبيت حابر القيني». (قضاة ٤: ١٧)

ركض سيسـرا إلى خيمة حليفه حابر القينـي. كان حابر -بطريقة ما- قد نجح في عقد صلح مع الملك يابين، بالرغم من أنه كان يفترض به ألا يفعل هذا، لأن حابر كان من نسـل يثرون، حمي موسى. أظن أن حابر كان لازال خارج المدينـة، لأنه كان قد فتـن لتوه على باراق وكان يبحث عـن مكان بعيد آمن حتى تنتهي الحرب. ركض سيسـرا إلى خيمة الحلفاء، ظنًا منه أنه سـوف يجـد الأمان فيها. لكن عندما يبدأ الله في قلـب الموائد، لا يوجد مكان آمن للعدو.

«فخرجت ياعيل لاستقبال سيسرا وقالت له: ‹مِل يا سيدي، مل إليَّ. لا تخف›. فمال إليها إلى الخيمة وغطته باللحاف». (قضاة ٤: ١٨)

خرجت ياعيل لاستقباله. وهذا يجعلني أفكر أنها قد سمعت صوت قضاء الله القريب وبدأت تترقب حلول لحظتها. دعته أن يدخل وغطته بلحاف. وهذا يذكرنا براحاب الزانية في سفر يشوع. فقد أبدلت ولاءها عندما خبأت الجاسوسين. لكن ياعيل لم تكن تخبئ جواسيس، بل كانت تخبئ عدو الله وكانت تعلم هذا. كان عطشانًا وطلب منها ماء، لكنها أعطته لبنًا بدلًا من هذا. لماذا؟ كانت تريد أن تجعله ينعس وينام. فشرب وطلب منها أن تحرس باب الخيمة وتقول لأي شخص يسأل عنه إنه ليس موجودًا. فوافقت. لكن فقط إلى أن راح في سبات عميق من الإرهاق الشديد.

«فأخذت ياعيل امرأة حابر وَتَد الخيمة وجعلت المِيتَدة في يدها، وَقَارت إليه وضربت الوتد في صدغه فنفذ إلى الأرض، وهو مُتثقِّل في النوم ومتعب، فمات».
(قضاة ٤ : ٢١)

يا لها من طريقة دموية للاغتيال! وهذا أقل ما يمكن أن يقال. لكن هناك درسًا لكل منا في مطرقة ياعيل ووتدها. سوف يستخدم الله دائمًا ما في أيدينا. وسوف يمسح ما كنا أمناء حقًا في استخدامه.

تذكري أن داود لم يَرِد أن يحارب مرتديًا سلاح شاول لأنه كان عليه أن يجربه أولًا أو يثبت جدواه. عند مواجهة العدو، فليس هذا هو وقت تجربة تكنيك جديد أو طريقة جديدة. بل استخدمي ما وجدته يدكِ حقيقيًا وقويًا. ما الذي في يدكِ؟

«وإذا بباراق يطارد سيسرا، فخرجت ياعيل لاستقباله وقالت له: ‹تعالَ فأريكَ الرجل الذي أنت طالبه›. فجاء إليها وإذا سيسرا ساقط ميتًا والوتد في صدغه».
(قضاة ٤ : ٢٢)

كم أحب توقيت الله! في تلك اللحظة كان باراق يمر بخيمة ياعيل. كم كانت الظروف ستختلف لو لم تكن ياعيل قد قتلت سيسرا بالفعل! ففي حرارة تلك اللحظة، ربما كانت قد خسرت حياتها بسبب مساعدة عدو إسرائيل وإخفائه. لكن بدلًا من أن يتم إعدامها، تم تمجيدها. خرجت ياعيل مرة أخرى لتقابل باراق وأرته باتضاع، العدو -الذي كان يبحث عنه- ميتًا على الأرض.

«فأذل الله في ذلك اليوم يابين ملك كنعان أمام بني إسرائيل». (قضاة ٤ : ٢٣)

ماذا؟ إنهم حتى لم يقابلوا يابين في أرض المعركة في ذلك اليوم. لكن الله قابله. لقد كان هذا هو اليوم الذي انحدر فيه يابين من موقعه المرتفع وبدأ انتقال السلطة. هل ترين هذا؟ لقد هُزم يابين أولًا في عيون الإسرائيليين، ثم في وقت لاحق أهلكوه بالتمام.

«وأخذت يد بني إسرائيل تتزايد وتقسو على يابين ملك كنعان حتى قرضوا يابين ملك كنعان». (قضاة ٤ : ٢٤)

هذه هي قصتها؛ هذه هي ترنيمتها

تُكسب المعارك في نطاق الروح قبل أن تُكمل في النطاق الطبيعي بوقت طويل. يجب أن تسمحي لله أن يسويها أثناء وجودكِ على ركبتيكِ، قبل أن تنالي القوة لتقفي أمام العدو. يجب أن تري العدو مهزومًا قبل أن تحصلي على القوة اللازمة للفوز بالمعركة. عندما أدرك شعب إسرائيل أن الله يحارب عنهم مرة أخرى، لم يعودوا يرون عدوهم على أنه مخيف وكلي القوة.

أحب هذا المثل لأنه يشتمل على قصة وترنيمة؛ تقدم لنا القصة التفاصيل وتسجيلًا لما حدث على الأرض، أما الترنيمة فتعطينا لمحة عما حدث في السماويات.

كمسيحيات العهد الجديد، فإننا نادرًا ما نحارب كما علَّم الله بني إسرائيل أن يحاربوا، ولهذا، فإن النظر على نطاق الروح يُعدُّ أمرًا أساسيًا.

«فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات».
(أفسس ٦ : ١٢)

هذه النسخة بالتأكيد ليست أقل دموية من طريقة وتد الخيمة والميتدة.

ترنيمة دبورة

«خُذِل الحكَّامُ في إسرائيل.
خُذِلوا حتى قمتُ أنا دبورة.
قمت أمًّا في إسرائيل ...
استيقظي، استيقظي يا دبورة!
استيقظي، استيقظي وتكلمي بنشيد!
قم يا باراق
واسب سبيكَ، يا ابن ابينوعم!» (قضاة ٥: ٧، ١٢)

ما الذي نراه يحدث هنا؟ لم يكن هناك محاربون. فقامت أم؟ هل يستعد الله ليفعل الشيء نفسه اليوم؟

لاحظي هذه الديناميكية: النساء يعبدن ويسبحن بينما يشترك الرجال في المعركة. أريدكِ أن تلاحظي ذكر اسم أبي باراق. هذا يؤكد مرة أخرى على أهمية الميراث ومكافحة أبنائنا لما لم نواجهه نحن.

«في أيام ياعيل، استراحت الطرق،
وعابرو السبل ساروا في مسالك معوَجَّة.
خُذِل الحكَّامُ في إسرائيل.
خُذِلوا حتى قمتُ أنا دبورة.
قمت أمًّا في إسرائيل ...
من السماوات حاربوا.
الكواكب من حُبُكها حاربت سيسرا.
نهر قيشون جرفهم.
نهر وقائع نهر قيشون.
دوسي يا نفسي بعزٍّ. (قضاة ٥: ٦-٧، ٢٠-٢١)

كان اختيار ياعيل بأن تستخدم ببساطة ما كان في يدها هو ما ميزها بشدة، لدرجة أنهم استخدموا اسمها ليصفوا تلك الحقبة الزمنية. فهمت هذه المرأة أن العدو عندما يأتي إلى بيتكِ، فيجب أن تقتليه بأية وسيلة متاحة لديكِ.

ما هذا الذي في يدكِ إذًا؟

سوف يبدأ الله دائمًا بما في يدكِ، حتى إذا بدا غير مهم. أول مرة نسمع فيها هذا السؤال، كان الله فيها يتحدث إلى موسى، لكن حكمة هذا السؤال تمتد إلينا نحن اليوم. تقابل موسى مع الله في العليقة المشتعلة، وبعد أن قدم قائمة الأسباب التي لأجلها يرى أنه غير مناسب للمهمة، رد الله بهذا السؤال:

«فقال له الرب: ‹ما هذه في يدك؟› فقال: ‹عصا›». (خروج ٤: ٢)

لابد أن أتساءل: «هل ظن موسى أن العصا كانت شيئًا عاديًا، ولم يكن متأكدًا من أنها سوف تتجاوز بلاط فرعون؟» ففي النهاية، هذه العصا في حقيقتها هي عود خشبي محسَّن، ولابد أن موسى رأى أنه لا يوجد شيء غير عادي بصفة خاصة فيها. بالطبع، هذا صحيح، فإنه لا يوجد أي شيء غير عادي في أي منا، حتى يبدأ الله في أن يمسح ما في يدنا. انظري إلى هذه الأمثلة:

- أبيجايل كان لديها نصيبها من الوليمة واستطاعت به أن تهدِّئ غضب مجموعة من الرجال كانوا ينوون القتل.
- ياعيل كان لديها ميتدة ووتد وقتلت بهما رئيس جيش الأعداء.
- شمشون كان لديه لحي حمار وقتل به ألف رجل.
- راعوث كان معها حنطة ملتقَطة من الحقل.
- صموئيل كان لديه دهن المسحة ليعلن به أن الصبي الراعي ملك.
- داود كان معه مقلاع وحجارة قتل بها البطل الفلسطيني المقتدر.
- المرأة التي لا نعرف اسمها في البرج وتحت الحصار كان لديها حجر رحى.
- ولد صغير لا نعرف اسمه كان لديه خمس خبزات وسمكتين.
- الابنة المنكسرة كان لديها صندوق مرمري مليء بالطيب دهنت به يسوع.

لماذا ننشغل دائمًا بالبحث عمَّا هو غير طبيعي بينما يطلب الله ببساطة ما في أيدينا؟ أرجو أن تفهمي أن العادي يصير عظيمًا عندما يمسحه الله. قدِّمي ما وضعه الله في يدكِ.

إن عبارة «ما هذه في يدك» تعني أي شيء تحت رعايتكِ أو سلطانكِ. قد يكون هذا مالًا أو ممتلكات. قد يكون مواهب وقدرات. ما تحجبينه أو ترفضين أن تعطيه من يدكِ غالبًا ما يكون هو الإعلان عمَّا يسكن داخل قلبكِ. لقد كان هذا هو كلمة الله المتجسدة في حياتي. أدت صرختي إلى الحرية إلى ولادة الكتب التي تعلن صلاح الله وقوته. فقد نقلت في كل كتاب من كتبي ما فعله الله. في كتاب «خارج السيطرة وأحب ذلك!» «Out of Control and Loving It!» شاركت بالكيفية حررني بها الله لكي أواجه مخاوفي حتى أكون بلا خوف. وفي «المقياس الحقيقي للمرأة» «The true Measure of a woman»، كتبت عن كيف أعلن لي الأشياء التي لها قيمة حقيقية. في «وزنكِ لا يحدد من أنتِ» «You Are Not What you Weigh»، احتفلت بتحرري من اضطراب في الأكل. في «اغضبي لكن لا تفسدي الأمر!» «Be Angry But Don't Blow It!» شاركت بكيف تعلمت بصورة بناءة كيف أتحكم في موضوعات الغضب. في «وضعت قبلة على جبين البنات وجعلتهن يبكين» «Kissed the Girls and Made Them Cry»، استطعت أن أحول ندمي الجنسي إلى تمكين لبنات الله. قد لا يكون لديَّ وتد، لكن لديَّ حاسوب شخصي. وبهذا السلاح، أكتب ما أعرفه وأشارك بحقيقة تغيير الإنجيل لحياتي. لماذا يُعدُّ مهمًا أن نعلم ما في أيدينا؟

العادي يصير عظيمًا عندما يمسحه الله.

«بمد يدك للشفاء، ولتُجرَ آيات وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع».
(أعمال ٤: ٣٠)

كيف يتحقق هذا؟ عندما نطلق ما في أيدينا، يطلق هو ما في يده.

أبي السماوي،

آتي إليك في اسم يسوع. اكشف لي عمَّا في يدي. أريد أن أرى شفاءك وقوتك العظيمة للتحرير مُعلَنةً من خلال حياتي ومن خلال ما لي تأثير عليه. أيها الآب، ابدأ في أن تمسح مناطق حياتي التي تجسدت فيها كلمتك. لتدع هذا التعبير يظهر من خلال أية وسيلة تريدها. سوف أكتب، سوف أتكلم، سوف أرنم، سوف أعطي، سوف أبدع، سوف أخدم، سوف أكون وكيلة حكيمة على حياتي. أيقظ قلب الأم في داخلي. اعطني -كما أعطيت ياعيل- فهم قوة اللحظة. أريد أن أُحدِث اختلافًا في عالمي وفي حياة الآخرين. اظهر لي قوة ما في يدي حتى يمكنني أن أكون حلًّا لا مشكلة أبدًا، وامسحه لكي يساعدني على أن أحارب بما أمتلكه. آمين.

الفصل الخامس عشر

قوة اللحظة

بما أنكِ اخترتِ أن تخدمي الله الحي، فإن مفهوم اللحظة أو الآن سوف يكون أكثر أهمية بالنسبة لكِ. استيقظتُ ذلك الصباح وسمعتُ هذا في روحي: «إن ماضيكِ ومستقبلكِ يتقاطعان في هذه اللحظة التي تسمى الآن». ماذا يعني هذا؟ بالنسبة لي، يتحدث هذا عن الأهمية المطلقة لأن نزن اختياراتنا وكلماتنا.

إن الاختيارات التي نختارها الآن يمكن أن تكون مشتقة من مشورة ماضينا. ربما تكو ن مشورة الخوف: «لا تفعلي هذا ... آخر مرة فعلتِ فيها هذا فشلتِ .. آخر مرة فعلتِ فيها هذا جُرحتِ ... لا تخاطري مرة أخرى». أو مشورة الكبرياء: «إنكِ موهوبة للغاية، أنتِ لا تحتاجين حتى إلى سؤال الله عن هذا الأمر ... فكل ما تصنعينه ينجح. لماذا تطلبين الله الآن؟ هذا سيبطئ من حركتكِ». أو ربما تكون مشورة مستقاة من أمانة الله: «إنه لم يخذلكِ أبدًا. فما الذي يجعلكِ تشكين فيه الآن؟»

أيًا كان المثال الذي تتبعينه، فهناك شيء يقيني واحد، وهو أن الاختيارات التي نختارها الآن -سواء كانت جيدة أم رديئة- تؤثر تأثيرًا هائلًا على مستقبلنا. يمكننا فعليًا أن نختار اليوم بإرادتنا ألا نسمح لماضينا أن يُملي علينا اختياراتنا، لكن لا توجد طريقة نوقف بها اختياراتنا الحالية من أن تؤثر على مستقبلنا. وبهذا، ونظرًا لأننا على عتبة اختيارات، ما الذي يجب أن نفعله لكي نغتنم اللحظة؟

اختيارات كثيرة جدًا، وقت قليل جدًا

«والقادر أن يفعل فوق كل شيء، أكثر جدًا مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا». (أفسس ٣: ٢٠)

علـيَّ أن أعتـرف أن الزمن المضارع فـي الآية السـابقة كان يحبطني حقًا. أتذكر في بداية حياتي المسـيحية، أن كل قصـة في الكتاب المقدس كانت حية وممكنة بالنسبة لي. فلم يعد الله بعيدًا وغير مهتم، ولم يعد يراقبني من عرشـه المرتفع في السـماء، منتظرًا أن أفشل. بل كان متداخلًا عن قرب معي على مسـتوى شـخصي للغاية، وكان يشـجعني على النصرة. وبينما كنـت أجول عبر العهد القديم، رأيت أنه لم يكن هناك شـك في حضور الله أو تداخله مع أولاده شـعب إسرائيل. فقد زعزع الجبل ورافقهم عبر البرية في صورة السـحاب نهـارًا وعمود النار ليلًا. أطعمهم المن والسـلوى. كانت أذنه منتبهة لهم، لدرجة أنه كان يسـمع حتى الهمسـات والدمدمة والشكوى. لقد سـمع النميمة والتشـكك الخفي في استقامة موسى، وإذا حدث تمرد، كانت الأرض تنفتح وتبتلع المسـيئين أو يتفشـى البـرص ويلصق بهم، مما يمثل تحذيرًا للآخرين.

والآن، أصبح هذا الإله -الذي يشـمل الكل- يحبنـي بصفتي خاصته! بدأت أدعـوه إلى مختلـف مجالات حياتي، وتمسـكت بحالة اليقظـة في أفعالي اليوميـة. وبينما كنت أسـير في حرم الجامعة، كنـت أصلي في صمت لأجل النـاس الذين أمـر عليهم. كنـت أجلس وحدي علـى مقاعد حـرم الجامعة وأتساءل حقًا إن كان بإمكاني أن أجعل هذه الجبال «تنتقل». لم أرد أن أتسبب فـي كارثة، لذلك كنت أصلي لأجل «اهتزاز طفيف». كنت أريد علامة تثبت أن الله كان يقبـل صلاتي ومحرقـات إيماني. كنت أتوقع تمامًـا أن أعود إلى بيت الطالبات وأسـمع أنه حدث زلزال خفيف في جبـال كاتالينا. لاحظي أنني لم أكن أريد أية تلفيات في المكان، بل ظننت فقط أنه سيساعدني حقًا إذا ظهر الله وأظهر قوته. (هذا لم يحدث).

كنـت أمر بالنـاس الذين في المقاعد المتحركة وأسـأل الله إن كان ينبغي أن أقول لهم: «أتريـدون أن تبرأوا؟» وفي كل مرة كانت تظهر بداخلي معضلة. كنـت أعرف وأؤمن أن الله كان شـافيًا حقيقيًا؛ فالكتـاب المقدس كله -من أولـه إلى آخره- يعلن أنه هكذا. لكن، ماذا إذا لم يحدث شـيء؟ هل سـأجلب العـار عليه إذا أيقظت رجاءهم وبعد ذلـك تحطم من خيبة الأمل؟ هل كانت القضيـة هـي أنا؟ هـل كان هناك عدم إيمـان، أو نقص في الإيمـان أو الصلاة

والصوم؟ كنت أعرف أن الله كلي القدرة. لهذا فلم تكن المشكلة في قدرته على الإطلاق. وإذ نفحص العهد القديم، نرى أنه لا مجال للتشكك في قوة الله أو عجائبه المُرهَبة.

«يمينكَ يا رب مُعتزَّة بالقدرة. يمينكَ يا رب تُحطِّم العدو. وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك. تُرسِل سخطك فيأكلهم كالقش، وبريح أنفك تراكمت المياه. انتصبت المجاري كرابية. تجمَّدت اللجج في قلب البحر».
(خروج ١٥: ٦-٨)

«من مثلكَ بين الآلهة يا رب؟ من مثلكَ معتزًّا في القداسة، مخوفًا بالتسابيح، صانعًا عجائب؟ تمد يمينك فتبتلعهم الأرض. تُرشِد برأفتك الشعب الذي فديته. تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك». (خروج ١٥: ١١-١٣)

لابد أن هناك شيئًا آخر، شيئًا أكبر. لماذا لا يظهر سوى القليل من قوته بصفة يومية؟ كنت أحب ما فعله في العهد القديم، لكن ماذا عن الآن؟

عندما كنت أنظر للأمام وألمح المستقبل من خلال النافذة الموجودة في سفر الرؤيا، لم يكن هناك شك أيضًا في من هو الرئيس والغالب والشخص الذي يجلس على العرش!

«وبعد هذا سمعتُ صوتًا عظيمًا من جمع كثير في السماء قائلًا: ‹هللويا! الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا›». (رؤيا ١٩: ١)

كل هذا رائع ... لكن ماذا عن الآن؟ حتى عندما يصمت الله، تعلن الخليقة كلها عجائبه العظيمة. حتى لو كان كل ما فعله في حياتي هو أن يخلصني من الحفرة، فهو يستحق كل المجد والكرامة والقدرة. لكن قلبي يصرخ في وسط صلاحه لكي أرى قوته. أريد أن أرى يده تمتد في زماننا الحاضر. أؤمن أن الله يطلب من نسائه أن يصرخن ويطلبن المزيد.

أؤمن أن الله يطلب من نسائه أن يصرخن ويطلبن المزيد.

أرني القوة

«والقادر أن يفعل فوق كل شيء، أكثر جدًا مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا». (أفسس ٣: ٢٠)

هذا إعلان في العهد الجديد عن رغبة الله. فأين إذًا ما هو «أكثر جدًا مما نطلب أو نفتكر»؟ يمكننا أن نجد لمحةً عن إجابتنا في الجزء التالي من الآية. إنه يستطيع أن يفعل هذا كله «بحسب القوة التي تعمل فينا». لقد وضع لنفسه حدودًا هي أن يعمل من خلال نقصنا وجهلنا. إذا رضينا بالوضع القائم والطريقة التي تبدو عليها الأشياء، فلن يكون هناك سبب للصلاة كما هو موضَّح في (أفسس ٣: ٢٠).

أنتِ تعلمين ما أعنيه، فالصلوات أمر مخيف إلى حد ما، وخارج نطاق سيطرتنا بالتمام. لكن إذا كنا لا نرضى بما لدينا الآن، فنحن إذًا بحاجة إلى أن نصرخ ونطلب شيئًا أكبر.

أريد أن أشاركِ بمثال على هذا المفهوم من حياتي الخاصة. بعد إصدار كتاب «وضعت قبلة على جبين البنات وجعلتهن يبكين» «Kissed the Girls and Made Them Cry»، كنت جالسة في شرفتي أستمع إلى موسيقى تعبدية وأستدفئ بصلاح الله. كنت قد تلقيت للتو سلسلة أخرى من المكالمات التليفونية المُحبِطة إلى حد ما، وكنت أتساءل: «ما الذي جعلني -وأنا امرأة محاطة بالرجال- أحاول الكتابة عن موضوع الطهارة الجنسية للبنات؟»

والغريب أنني لم أتعرض من قبل لمثل هذا الهجوم على كل الجبهات مثلما تعرضت له عند إصدار هذه الرسالة. تبدل الأصدقاء، وانتشرت النميمة، وشعرت وكأنني أركض في دوائر، وأشرح موقفي أو أدافع عنه أو عن عائلتي أو عن نفسي. كنت أشعر بالاستغلال الشديد، وسوء الفهم، والأحكام الخاطئة، وتشويه الصورة، وبالتالي، فإنني في تلك اللحظة وأنا في الشرفة، كنت أشعر بالأسى الشديد على نفسي.

كنت أنتقد كل شيء، وأشك في نفسي، وبدأ الإحباط يسود عليَّ. كنت

أعلم أنه عليَّ أن أنظم حياتي من جديد حتى يمكنني أن أعيش يومًا آخر. كنت أريد بشدة أن أسمع كلمة تشجيع من السماء. لكن بدلًا من هذا سُئِلتُ هذا السؤال: «يا ليزا، ما الذي سوف تدعينني أفعله في اجتماعاتكِ؟»

شعرت بالمفاجأة وبعض الحيرة فأجبت: «يا رب يمكنك أن تفعل ما تريد أن تفعله في اجتماعاتي».

فسمعت هذه الكلمات بوضوح: «أريد أن ألمس بناتي وأشفيهن من الأمراض التناسلية».

حسنًا، كان هذا مفاجئًا لقد ذهبت إلى الله لكي يعزيني، لكنه واجهني بهذا المستحيل! تخيلت -في حماقتي- نفسي وأنا على المنبر، أدعو الحاضرات أن يتقدمن للأمام أو يشكلن صفوفًا للصلاة لأمراض معينة. لكني كنت أعرف بطريقة ما أن هذا لم يكن هو ما في فكر الله. لذلك سألته: «يا رب، كيف سيبدو ذلك؟»

اخبريهن أنني حاضر لأشفيهن. اخبريهن أنني أحبهن وأشتاق إلى أن أشفيهن وأزيل عنهن العار. اطلقي كلمتي للشفاء، وسوف أفعل أنا الباقي.

ثم أعطاني كلمةً لهن:

«باركي يا نفسي الرب، وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب، ولا تنسي كل حسناته. الذي يغفر جميع ذنوبكِ. الذي يشفي كل أمراضكِ. الذي يفدي من الحفرة حياتكِ. الذي يكللكِ بالرحمة والرأفة. الذي يشبع بالخير عمركِ، فيتجدد مثل النسر شبابكِ». (مزمور ١٠٣: ١-٥)

عندما نظرت إلى هذا الجزء الكتابي، أدركت أنه كان مناسبًا للغاية لهذا النوع من الشفاء. فهو يبدأ بأمر للكيان الداخلي أن يسبح اسم الله القدوس، ثم يحث نفوسنا على أن تسبحه ولا تنسى كل حسناته. إن الله الآب لا يغفر لنا في المسيح كل خطايانا فقط، بل يشتاق أيضًا أن يشفي كل أمراضنا.

يا له من أمر غريب أن لا تكون لدينا مشكلة في أن نصدق أنه لا توجد خطية أعظم من رحمة الله. لكننا نختنق من مسألة الشفاء. إننا نعلن قدرته على أن يغفر بالتمام. لكن غالبًا ما نفشل في أن نذكر رغبته في أن يشفي. وإذا ذكرنا رغبته في الشفاء، فنميل إلى تحديدها بالأمراض البسيطة أو العيوب البريئة.

في منطقة الأمراض التناسلية، يلعب موضوع الزرع والحصاد دورًا. ولذلك نبدأ في استخدام منطقنا. فنحن نؤمن خطأ على مستوى اللاشعور أن النساء أو الفتيات اللواتي أُصِبن بأمراض تناسلية ينلن عقاب ما فعلن. لكن في الحقيقة، هل تنال أي منا حقًا عقاب ما تفعله؟ كلنا نستحق الدينونة، وبدلًا من ذلك ننال الرحمة. إذا اتفقنا مع هذا المنطق، فيجب ألا تنال أية واحدة منا أي شيء من الله لأنه لا توجد فينا من تستحق.

إن الله سخي في استرداده لنا. فهو لا يفدي حياتنا من الحفرة فقط، بل إنه أيضًا يكللنا بالرحمة والرأفة، ويشبع بالخير عمرنا، ويجدد شبابنا! كيف يمكن أن يوجد كل هذا الصلاح في آن واحد؟

لا يمكنه أن يفعل الأمر بدوننا

والآن سوف أشاركِ بشيء ليس حسنًا للغاية. لقد ترددت في هذا الوعد ولم أتحرك به على الفور في حاضر حياتي. في ذلك اليوم في الشرفة، تكلم يسوع إليَّ بصفة شخصية، وشاركني برغبته في أن يشفي بناته في اجتماعاتي. وأما أنا فقد حولت الأمر كله إلى نفسي. تفاعلت بالفعل مع الكلمة، لكن بدلًا من أن أرفع عينيَّ من فوضى هجوم العدو، بقيت دنيوية ومترددة.

ماذا إذا لم يشفيهن؟

حسنًا، ماذا إذا شفاهن؟

لست فخورة بأن أقول لكِ هذا، لكن صلاتي الحارة هي أن تتعلمي

مــن أخطائي، وعدم طاعتــي، وعدم إيماني. مر الوقــت، وبكّتني الروح القدس لأنني في الحقيقة كنت أقاوم استجابة صلواتي، وبدأت أطلق كلمة محبته وشــفائه في اجتماعاتي. والكلمات التالية هي اختبار تلقيته:

ليزا،
لقد صليتِ لشفاء الأمراض التناسلية للنساء بين الحاضرات - كان هذا ينطبق عليَّ. وبالرغم من أنني شعرت حرفيًا بقوة الله تتحرك داخلي، وأردت بشدة أن أقبل هذا الشفاء، إلا أن ذهني ظل يقول لي إنني -واقعيًا- لم أكن صالحة بما يكفي لنوال معجزة من الله، وأن هذا لم يكن واقعيًا لي. قضيت الأسبوعين التاليين في الصلاة لأجل هذا الأمر بينما كان الصراع شديدًا في قلبي وفي فكري. وتذكرت كلمات مريم التي قلتها: «ليكن لي كقولك». فرددتها مرات ومرات إلى أن استطاع قلبي -من خلال الطاعة ومحبة يسوع- أن يتغلب على حصن إبليس. وهذه هي الدورة الشهرية الأولى التي أختبرها منذ ثلاث وعشرين سنة دون ظهور القوباء.

ظلت هذه السيدة لمدة ثلاث وعشرين سنة تعاني من ألم جلدي مخزٍ شــهريًا. أؤمن أن الله كان يريد أن يشــفيها طوال الوقــت. ماذا لو ظللت صامتــة مرة أخرى في ذلك اليوم؟ هل كانت ســتظل تتألــم؟ ربما. وماذا عنــكِ؟ من هو، أو ما هــو الذي تنتظرين إطلاقه عندمــا تتكلمين بكلمة الله؟ كما ترين، فإن الأمر لا يتعلق بنا، لكن الله يختار أن يقوم بعمله من خلالنا.

«فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟» (رومية ١٠ : ١٤)

أعلــم أن هذا الجزء الكتابي يشــير إلى رســالة الخلاص، لكن لا تنســي أن الله هو الذي ربط الغفران بالشــفاء. هل نكف عن الكرازة بالخلاص لأنه ليس الجميع يخلصون؟ هل نكف عن أن ندعوه المُخلِّص؟ إطلاقًا! إذًا يجب أن نظل ندعوه الشــافي والمحرر أيضًا. لقد رأينا قوة الغفران والشــفاء هذه في حياة يسوع؛ فقد سأل الجمع هذا السؤال:

«أيما أيسر، أن يقال: مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال: قم وامشِ؟ ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا. حينئذٍ قال للمفلوج: ‹قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك›». (متى ٩: ٥-٦)

تكلم يسوع بهذا الشفاء كابن الإنسان، وهذا مفتاح بالنسبة لنا. لو كان قد تكلم به كابن الله، لكانت لنا فرصة للشك في اشتراكنا في هذا النوع من التعامل مع الناس.

يتفق كل المسيحيين على أن لنا حق وامتياز أن نغفر للآخرين، كما أن لنا حق وامتياز أن نعلن غفران الله للخطايا. هل هذا صحيح؟ لا يوجد فينا من يشك في أننا قد ائتُمننا على خدمة المصالحة. قال يسوع: «أيما أيسر؟» بمعنى «الأمران متماثلان بالنسبة لي!» يمكنه أن يفعل الاثنين!

بصفتنا بنات الله، فإن لنا امتياز مشاركة الآخرين لا بقوة يسوع للغفران فقط، بل يجب أن نشاركهم بقدرته على الشفاء أيضًا. أرجو أن تفهمي أنه لن يرضى جميع من يسمعون قوة الله للغفران بأن يقبلوا غفرانه، لكننا مع ذلك لابد أن نشارك بالإنجيل. ويجب ألا يختلف الشفاء عن هذا.

لقد حان الوقت!

«ولما فرغت الخمر، قالت أم يسوع له: ‹ليس لهم خمر›. قال لها يسوع: ‹ما لي ولكِ يا امرأة؟ لم تأتِ ساعتي بعد›. قالت أمه للخدام: ‹مهما قال لكم فافعلوه›». (يوحنا ٢: ٣-٥)

شيء جيد أن الله لم يفكر فيَّ أبدًا لأكون أم يسوع. فقد كنت سأفعل كل شيء خطأ. فكري في هذا ... كان يسوع في حوالي الثلاثين من عمره عندما فرغت الخمر في العرس. ربما كنت سأضع يدي على خصري وأصيح: «يا يسوع، لقد قضيت ثلاثين سنةً من الفضيحة والتساؤلات! إذا لم يكن الآن هو الوقت، فمتى سيحين وقتك؟ إنني أمك، وقد تعبت يا ابني من الانتظار ... لقد حان الوقت!»

عندما تقول الأم إن الوقت قد حان ... يكون الوقت قد حان.

لكن مريم لم تفعل هذا، بل التفتت فقط إلى الخدام في العرس وقالت: «مهما قال لكم فافعلوه». وتركت الأمر عند هذه النقطة. لماذا كانت واثقة بهذا الشكل؟ قد يكون هذا لأنه عندما تقول الأم إن الوقت قد حان ... يكون الوقت قد حان.

أظن أنني لم أفهم التوقيت حقًا إلا بعد أن أصبحت أمًا. قبل أن ألد ابني الأول، كان لديَّ انطباع خاطئ وهو أنني أتحكم بشكل ما في ديناميكية الوقت. فحصت تقويم شهر يونيو وانتقيت بعض التواريخ المناسبة لولادته ورفعتها كخيارات في الصلاة: «يا رب، أنا فعلًا أحتاج أن ألد هذا الطفل بعد هذا التاريخ، لكن ليس أبعد من ذلك التاريخ».

شعرت أن النصف الأخير من الأسبوع سيكون أفضل؛ لأن زوجي سيكون موجودًا ليساعدني في عطلة نهاية الأسبوع. لكن حدث خطأ ما، فقد انقضت التواريخ التي اخترتها وكنت لازلت حبلى في أعقابها.

فات الموعد المحدد للولادة، وكنت على وشك الانفجار. بدأت علامات التمدد تظهر على جلدي (والتي ظننتها في البداية ديدان) بينما كان جسدي يتشكل في محاولة للحفاظ على الجنين النامي بداخلي وعلى ضلوعي كل في مكانه. بدأت أصبح نكدية أيضًا. فتعليقات مثل: «ألا زلتِ حبلى؟» والتي كنت أتفاعل معها في الأسبوع السابق بابتسامة وتفسير، أصبحت أتعامل معها بعداء واضح. كان جون يتراجع ويبعدني عن أي تواصل شخصي مع المجهول. كنت قنبلة موقوتة على وشك الانفجار.

أخيرًا، بعد أن فات موعد ولادتي بأسبوعين، أعلن الطبيب أن حالتي تستدعي تحريض الولادة. تحدد لي موعد الذهاب في الصباح التالي، وذهبت وأنا بكامل زينتي، وأظافري في أفضل صورة لها، وكنت أرتدي المجوهرات. واضح أنني لم أكن أعلم أي شيء عما ينتظرني. نظر الأصدقاء إلى صوري من المستشفى وضحكوا. وبعد اثنتي عشرة ساعة من المخاض المُستَحَث،

صرت محطمة. أنجبت طفلي، لكني أُصِبت بنزيف، ولازمت الفراش لمدة أسبوعين.

عندما أنجبت ابني الثاني، كانت القصة مختلفة. لم أعلم أنني في المخاض إلا بالقرب من النهاية تقريبًا، لأنني كنت أنتظر نوعية التقلصات الحادة التي اختبرتها في المخاض المُستحَث. استطعت بالكاد أن أصل إلى المستشفى. عندما اندفعت إلى قسم الولادة، كنت يائسة. أنهيت إجراءات الدخول وشرحت احتياجي العاجل. قالوا لي إن كل غرف الفحص مشغولة. وأجبتهم قائلة: «أنا لا أحتاج إلى فحص ... أحتاج إلى من يولِّدني!»
أدت حدة كلماتي إلى أن نظرت الممرضة في أوراق دخولي ثم سألتني: «هل هذا هو طفلكِ الأول؟»
أجبت: «كلا، إنه طفلي الثاني!»

وبهذا الإعلان، تغير كل شيء. بدأ الجميع يتحركون. لماذا؟ لأنه عندما تقول الأم إن الوقت قد حان ... يكون الوقت قد حان.

لقد حان وقتكِ، وليس دوركِ

من خلال إنجابي لأولادي تعلمت هذا الدرس الثمين: ليست للأمهات سيطرة على الوقت، لكنهن يعرفن متى يحين الوقت. ظلت عبارة: «لقد حان وقتكِ!» تتحرك في روحي. لاحظي أنني لم أقل: «لقد حان دوركِ». عندما يحين دور شخص ما، يجب على كل من سواه أن يستريح ويراقبه وهو يأخذ موقع المركز. لكن عندما يحين الوقت، يشترك الجميع!

كثيرًا جدًا، عندما يبدأ الله في تحريك شعبه، وندرك أنه يستعد لعمل شيء رائع، نبدأ -عن جهل- في المناورة لشغل منصب ما، مثل تلاميذ يسوع. لقد أعلن لهم أنه قد حان الوقت، وكل ما أرادوه هو أن يعرفوا من هو الأهم بينهم. وفي صراعهم على المنصب، فاتتهم النقطة التي كان يريد توصيلها لهم وتشتتوا في الوقت الذي كان عليهم فيه أن يتخذوا مواقعهم.

طوال عشرين عامًا من الخبرة في الخدمة، أُتيحت لي فرص كثيرة لأرى

مفهوم «لقد حان دوري» عاملًا. سمعت رجالًا يقولون: «أيتها النساء، اجلسن. لم يحن دوركن!» ورأيت الشباب يهزون رؤوسهم أمام الشيوخ ويقولون: «أنتم لا تفهمون الأمر كله! لا يمكننا أن ننتظر حتى يحين دورنا». وسمعت الجيل الأكبر يقول للأصغر: «لم يحن دوركم بعد. عودوا للجلوس!» إننا نخلط باستمرار بين مصطلحي «الدور» و«الوقت». لكن في الأيام الأخيرة، لن يكون الأمر هكذا.

«يقول الله: ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلامًا». (أعمال ٢: ١٧)

في الأيام الأخيرة، سوف يشمل الأمر الجميع، لأنهم يعلمون أنه قد حان الوقت لكل بشر. سوف يتنبأ البنون والبنات، ويرى الشباب رؤى، ويحلم الشيوخ أحلامًا.

أثناء سفرياتي، قادني الله إلى أن أعلن أكثر من مرة: «لقد حان الوقت!» لكن حان الوقت لماذا؟ لكي نعثر على الإجابة، دعونا نعود مرة أخرى إلى العرس.

لقد حان الوقت لنا أن نكون صادقات ونقول إن الخمر قد فرغ لدينا. لقد حان الوقت لنا أن نكف عن أن نسمي الماء خمرًا ونرضى بإطفاء الظمأ في الوقت الذي يريدنا فيه الله أن نحصل على المزيد. لقد حان الوقت لنا أن نتمسك بالشخص الذي له القدرة على تحويل الماء إلى خمر بدلًا من أن تجادل إحدانا الأخرى عن سبب نفاد الخمر. لقد حان الوقت لنا أن نترك وراءنا النزاعات اللاهوتية حول ما إذا كان بإمكان الله أن يحول مياهنا إلى خمره. لابد أن نُشرِك الله من خلال أن نكون صادقات ونقول: «يا يسوع، لقد فرغت الخمر». بعدها جهزي كل شيء. يجب أن يُقال للخدام: «مهما قال لكم فافعلوه».

أؤمن أن يسوع يحبنا أن نصل إلى نهاية إنعاش هذه الأرض فنطلب إنعاشه هو لهذه الأرض. لقد حان الوقت لوعد (أفسس ٣: ٢٠) أن يتحقق.

دعونا نرى يسوع في العرس:

«وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك، حسب تطهير اليهود، يسع كل واحد مِطرين أو ثلاثة. قال لهم يسوع: ‹املأوا الأجران ماءً›. فملأوها إلى فوق. ثم قال لهم: ‹استقوا الآن وقدِّموا إلى رئيس المتكإ›. فقدَّموا. فلما ذاق رئيس المتكإ الماء المتحوِّل خمرًا، ولم يكن يعلم من أين هي، لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا، دعا رئيس المتكإ العريس وقال له: ‹كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولًا، ومتى سكروا فحينئذ الدون. أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن!› هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل، وأظهر مجده، فآمن به تلاميذه». (يوحنا ٢ : ٦-١١)

هل يمكنكِ أن تؤمني حقًّا بأن الله قد أبقى الأفضل للآن؟ أعلم أنه يصعب علينا غالبًا أن نفكر بهذه الطريقة مع كل ما يحدث من حولنا، لكنني اخترت أن أستمر أصرخ للحصول على ما هو أكثر مما رأيناه ... ماذا عنكِ؟ إن النساء يرتبطن بالله عن قرب في مسألة التوقيت هذه. هل يمكن أن يكون هذا تحفيز من الله لنطلب شيئًا أكبر؟ يا يسوع، ماذا عن الآن؟

أبي السماوي،

أؤمن أنك أبقيت الأفضل للآن، وأريد أن أكون جزءًا من هذا. أحتاج بشدة إلى تدخلك في كل منطقة في حياتي. لقد سئمت من شرب المياه وتسميتها خمرًا. تعبت من الذهاب للولادة وكل ما أناله هو الفحص فقط. سامحني لأنني خفت وتراجعت عن وعودك. أعطني الآن عطية الإيمان لكي أؤمن بك وأقبلك كالشافي. أنا آسفة على أنني انتظرت أن يخبرني شخص ما أنه قد حان دوري، بينما كنت أنت طوال الوقت تهمس لي «لقد حان الوقت». امسحني الآن بكلمتك وبمواعيدك. آمين.

الفصل السادس عشر

هناك من يراقبكِ!

هناك شيء ما يثير الأعصاب عند معرفة أنكِ مراقبة. ومع أنه لا يوجد منا من تتخيل أنه يمكننا الهروب دائمًا من العيون المراقبة للآخرين، إلا أننا كثيرًا ما نعيش غير واعين بأن حياتنا مكشوفة على نطاق واسع، أكثر حتى مما يمكن أن يتخيله معظم البشر المصابين بجنون الارتياب. لا يمكنني حتى أن أحصي عدد المرات التي كنت فيها أقفز وأرنم في إشارات المرور، ثم نظرت ووجدت الدهشة على وجوه السائقين الذين بجواري. لكنني لست أشير إلى المراقبين العاديين من السيارات المجاورة. بل إن هذه الجموع أكبر بكثير ولها قصد أكبر من مراقبتك ومراقبتي.

هناك أوقات نعلم فيها بدون أدنى شك أننا لسنا موضع مراقبة فحسب، بل تبدو حياتنا وكأنها على الشاشة وربما نتعرض للجرح أو الإدانة. ربما وجدنا أنفسنا في هذا الموقف نتيجة الاشتراك في عمل فني أو مسابقة رياضية. ربما كنا في هذا الموقف في فصل الخطابة أو عند القيام بعرض تقديمي في العمل. كانت عيون الحكام أو المدرسين أو العملاء علينا، تراقبنا. جلسوا هناك، وضموا أذرعهم، وتحدّونا أن نبهرهم. ولكي نحصل على درجة الامتياز، أو على الوظيفة، أو لكي نفوز بالجائزة، يجب أن نفعل شيئًا فريدًا يجعلنا نتميز ونستحق لقب التميز أو التفوق بين أقراننا.

في الحقيقة كان هناك موقف كنت أبغضه أكثر من غيره. فأثناء تدريبات السباحة كنت أذوب من مجرد إعلان أنه حان دوري: «المتشاركات في سباق الفراشة بطول خمسين ياردة يتقدمن لأماكنهن.» كنت أركض إلى دورة المياه، نتيجة انفعالي الشديد. لم أكن أريد الفوز، بل كنت أريد فقط أن

ينتهي السباق. كنت إذا طُلب مني أن ألقي خطبة، أصاب بالعصبية فأفقد رباطة جأشي، وأنسى المحتويات، وأفقد تركيزي. أما فيما يتعلق بالعروض الفنية، فنادرًا ما كنت أشترك في أي شيء يمكن أن يضعني في المقدمة وفي المركز. كنت أخشى من أي جمهور يزيد على فردين.

الحقيقة هي أنني حتى الآن أواجه صعوبة في التعامل مع المواقف التي أشعر فيها بالمنافسة. زوجي جون لا ينزعج من هذا التوتر، لكنني أنا إذا تواجدت وسط تجمع من الناس الذين يبدأون في إعداد أنفسهم للحصول على موقع القوة، فإني أفضل ان أعرّفهم أنني لا أمثل تهديدًا بالنسبة لهم، وكأني أنحني وأقول: «ما رأيك إن قلت فقط 'أنت الفائز'؟»

هناك نوع غير مريح آخر من المواقف الناقدة الرقابية. وهذا الموقف لا يتعلق بالمنافسة أو العروض الفنية، لأنك تخسرين فيه قبل ان تبدأيه. وهو التوتر الموجود في البيئة التي حُكم عليك فيها بالفعل بأنك مذنبة أو ناقصة. في هذه الحالة وفي أغلب الأحيان، لا نخيّب أمل من يتوقعون فشلنا.

انتظار أن يفشل شخص ما – أو يكسب

تكفي هذه الجوانب السلبية للمراقبة. فهناك وجه إيجابي للمراقبة. يوجد تشويق في أن يراقبك أحد لأنك تبلين بلاءً حسنًا. أحب أن أشاهد أولادي في المناسبات الرياضية. وأصيح كثيرًا «أحسنت!» ويتصرف أولادي إما بضيق طفيف أو يتظاهرون أنهم لا يعرفونني أو يسمعونني، مما يجعلني أصيح بصوت أعلى. ثم في نهاية المباراة، يهنئون اللاعبين الآخرين، ويبدأون في خجل في إعادة الاتصال بأمهم التي تسبب لهم الإحراج. لكن في السيارة يتغير كل شيء. «هل شاهدتيني وأنا أحرز الهدف؟» «هل رأيت هذه التمريرة؟» يصبحون في غاية الإثارة، ويريدون أن يتأكدوا من أنني لم يفتني شيء.

في أوقات أخرى، قد نكون أنا وجون في وسط شيء ما ويقاطعنا أحد أبنائنا وهو يصرخ طالبًا انتباهنا من على منصته النطاطة: «راقبا هذه الحركة!» يدعونا أبناؤنا للخروج كي نحتفل احتفالًا جماعيًا بما أجادو عمله في الخفاء. عندما كنا أصغر، كنا نسمعهم ينادوننا بحماس بعد انتهائهم من تركيب

تحفة بمكعبات اللعب، أو تنظيف غرفتهم جيدًا، أو الانتهاء من مشروع مدرسي شاق.

«أمي، أبي، انظرا إلى هذا!» كانت هذه هي الصيحة المليئة بالنصرة والفرحة الواضحة بإنجازاتهم. كنا نضحك ونصفق بأيدينا أو نشجعهم بطريقة أخرى. في كل هذا كنا نشاركهم فرحتهم، عالمين أننا قد كسرنا حاجزًا آخر في طريق الوصول إلى مستوى جديد من الثقة. وكلما زاد تشجيعنا، زادت رغبتهم في أن يتباهوا أمامنا. لو تجاهلنا صنع هذه الصلة والاحتفال ببعض الانتصارات معهم، كانت أصواتهم ستخبو وكنا سنكتشف أنهم يحتفلون بانتصاراتهم في عزلة. ولو فشلنا في تشجيعهم أو انتقدنا المحاولات التي قدموها، كانوا سينكمشون في الإحباط أمام أعيننا. بالتأكيد هناك فرق بين أن يتوقع منا الآخرون أن نفشل أو يتوقعوا منا أن نفوز.

واحد من أبنائي حساس بصورة خاصة لهذا التفاعل. وقد رأيت معه نجاحات كثيرة بطريقة: «سوف أعود إلى غرفتك بعد خمس عشرة دقيقة، وأنا أعلم أنك ستقوم بعمل عظيم!» أكثر من طريقة: «سوف أعود بعد خمس عشرة دقيقة، ويجدر بك أن تكون قد انتهيت من هذا!» الطريقة الأولى تشجع على الإبداع والمكافأة نتيجة توجه الطاعة، بينما الأخرى تهدد بالتأديب والعواقب. أعترف أنني بطبيعتي أحب هذه الطريقة أيضًا. إذ يمكنني أن أتوقف عن كل شيء إذا لم يكن لدى من يراقبونني توقع مليء بالأمل بنجاحي. لكن المراقبة التي نختبرها كلنا فيها ما هو أكثر بكثير من الرجاء. فيها الرهبة والتعجب.

«لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله. إذ أخضعت الخليقة للبطل. ليس طوعًا بل من أجل الذي أخضعها. على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضًا ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله». (رومية ٨: ١٩-٢١)

هذه مراقبة من نوع آخر. هذه المرة، ليس الناس فقط هم الذين يراقبون، بل كل شيء - حتى الأشياء التي لم نكن نعرف أن لها عيونًا تنتظر بتوقع ظهور الحرية والمجد المخفيين حتى يستعلنا من خلال أولاد الله الأحباء. في هذه

إن الجمهور المحيط بنا مليء بالتوقع المفرح.

المراقبة لا نُوزَن تحت الفحص الناقد من الخليقة أو على مسرح أرضي يتحدانا فيه كل كائن حي، وكل عنصر أرضي كي نبهرهم بأعمالنا وأمورنا البشرية. فنحن لسنا جزءًا من نوع من المنافسة لا يفوز فيها سوى أفضل المتسابقين. كما أنه لا يوجد بها مناخ التلهف المرهق ... بل إن الجمهور المحيط بنا مليء بالتوقع المفرح.

تخيلي القوة والفرح اللذين يمكن أن ينتقلا لكل منا إذا أدركنا فقط هذا الحق! إننا مغلفات بحماس الأرض وملئها وهي تحدق فينا بتوجه الحدس التوقعي.

والخليقة لا يهمها حتى احتمال الفشل. فقد فشلنا من قبل بالفعل. فبما أننا نسل آدم وذريته، فإننا كنا موجودين وفي الحسبان عندما تغيرت الخليقة وأُخضعت لسيادة هذا البطل. أتساءل هل لهثت الخليقة في رعب من جرأتنا الطائشة عندما فكرت المرأة والرجل في تحقيق المساواة مع الله، متجاهلين بهذا وصيته الواحدة؟

هل ارتعدت الخليقة عندما بدا ظل الموت البارد يمتد فوق دفء الجنة؟ هل ذُرفت الدموع عندما طردت المرأة والرجل من محضر الله؟ هل ضجت النباتات بين نفسها عندما شاهدت هذا وتساءلت ماذا سيحدث الآن بعد طرد من كانا يحرسانها ويحفظانها وانفصلا عن غناهما؟ هل ارتجفت الأشجار عندما اختبأ آدم وحواء بينها؟ هل تكسرت أغصانها لأول مرة عندما دفعها الرجل والمرأة وهما يغادران الجنة؟ هل انحنى العشب تحت أقدامهما، واكتشف بعدها أنه لن يعود يطلع مستقيمًا على الفور؟ كم استغرقت عملية الموت والدمار قبل أن تظهر آثارهما على الخليقة؟ هل كان الأمر تدريجيًا للغاية لدرجة أنه انقضت قرون قبل أن يظهر السقوط؟

نعلم أن الرجل والمرأة شعرا بآثار السقوط المدمرة على الفور. وإذ غادر آدم وحواء الجنة أصبحا مظللين بالظلمة والخزي والموت. كانا يشاهدان في عجز المحاربة والخيانة والغيرة والقتل وهي تدخل وتسود على حياة

أبنائهما. لقد أثرت اختيارات آدم وحواء على كل شيء. وبالرغم من أنهما عاشا مئات السنين بعد السقوط، إلا أن سيادة الموت كانت قد بدأت.

خطيتنا في مقابل هبات الله

«لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم الذي هو مثال الآتي. ولكن ليس كالخطية هكذا أيضًا الهبة. لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيرًا نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين». (رومية ٥: ١٤-١٥)

عندما اختار يسوع أن يبذل حياته، تبدل كل شيء وبدأ الكل يتغير من جديد. وكما استغرق ظهور الآثار الملموسة للموت على الخليقة والبشرية وقتًا، بالرغم من أنها بدأت عملها على الفور، هكذا كان الحال معنا. فلمدة ألفي عام، ظل الموت يفك قبضته، وسوف يتغير كل هذا بأسرع مما نتصور. كم أحب هذه الحقيقة: «لكن ليس كالخطية هكذا أيضًا الهبة.» لقد جلبت خطية الواحد الموت للكثيرين، لكن اعلمي هذا: أن هبة الله دائمًا ما تكون أقوى من خطيتنا.

«وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية. لأن الحكم من واحد للدينونة. وأما الهبة فمن جرى خطايا كثيرة للتبرير. لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيرًا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح». (رومية ٥: ١٦-١٧)

لم نعد نعيش في ظل تعدي آدم بل في ظل مُلك بر يسوع المسيح. لم تعد الخليقة تنظر إلينا بازدراء وتشكك، بل تنظر الخليقة إلينا برجاء وبفهم أن إنهاء سيادة الموت قد تم. لقد مضى الترتيب الأول، وها هو وعد الترتيب الجديد يمتد أمامنا.

«لأن التي تُرى وقتية وأما التي لا تُرى فأبدية». (٢كورنثوس ٤: ١٨)

قد يملك الموت في نطاق المنظور، لكن يسوع يملك في نطاق الأبدي.

لقد تحررنا حقًا وتبررنا، بالرغم من أن الاسترداد الكامل لم يتحقق بعد. هل يمكن أن يكون الزمن نفسه قد خُلق ليسلط الضوء على هذه الرحلة؟ أيًا كان الأمر، فإن نهاية الزمن الذي نعرفه تقترب سريعًا. وسوف تحدث المبادلة العظيمة. وعندها يسود ما لا يُرى على ما يُرى، ويحل غير المائت محل المائت، ويُبتلَع الموت نفسه إلى غلبة. ويُستبدل خزي الإنسان بمجد الله أمام كل الخليقة، ونُرفع إلى السماويات لنكون مثله. عندما يحدث هذا الإطلاق، سوف نفهم ما هو الإعلان المجيد وحقيقة التغيير «في المسيح». عندها فقط سوف يتم رد الرجل والمرأة والمخلوقات وكل الخليقة إلى الحرية والمجد الأصليين.

«لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يومًا فيومًا. لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبديًا. ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى بل إلى التي لا تُرى. لأن التي تُرى وقتية وأما التي لا تُرى فأبدية». (٢كورنثوس ٤: ١٦-١٨)

حتى الآن، تحبس الخليقة أنفاسها في توقع بهيج بنصرتنا المطلقة والكاملة فيه. إن كل الخليقة تصرخ إلينا بصوتها الفريد قائلة: «يا أبناء آدم ويا بنات حواء، هل نسيتم ما فعله الله؟ ألا تعلمون الثمن الذي دُفع؟ لم تعودوا أوصياء على العار، فأنتم أولاد الله. لا تنظروا إلى ما هو كائن. ألا ترون ما سيفعله الله؟» في كل مكان ننظر إليه، تُصدِر الخليقة دعوتها الرائعة والمثابِرة: «يا أبناء وبنات آدم وحواء، كفوا عن العيش لأجل ما يُهلك وما يأتي بالإحباط. كفوا عن النظر إلى ما ترونه الآن ... فهناك المزيد!»

إن الخليقة تفهم شيئًا غاب عن نظرنا: لم تعد هناك إمكانية للفشل، لأن الأمر لا يتعلق بنا ... بل يتعلق به.

يجب أن نتكلم بلغة الله

«فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب آمنت لذلك تكلمت. نحن أيضًا نؤمن ولذلك نتكلم أيضًا. عالمين أن الذي أقام الرب يسوع سيقيمنا نحن أيضًا بيسوع ويحضرنا معكم». (٢كورنثوس ٤: ١٣-١٤)

يجب أن نقبل مرة أخرى روح الإيمان التي تتحدث إلى غير المنظور والذي لم يتحقق بعد، بدلًا من الموت الحالي الواقعي للغاية. يجب علينا بصفتنا أولاد الله أن نتكلم بلغة الرجاء والقوة الخاصة به.

«وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا تُرى». (عبرانيين ١١: ١)

لاحظي كيف يرتبط الإيمان بزمن المضارع كبرهان وضمان على أنه لازال غير منظور في هذا النطاق المؤقت لما نراه ونسمعه.

كثيرًا ما سمعت هذا السؤال من شخص أو آخر: ما الذي ستفعلينه أو تجربينه أو تحلمين به إذا علمتِ أنكِ لا يمكنكِ أن تفشلي؟ هذا سؤال مدهش ومثير للتفكير، سؤال يدعونا أن نتجاوز الحدود في تفكيرنا. لكن مع كل خيالاتنا، تظل هناك عقدة، وهي أن البشر يفشلون. هذه الحقيقة واضحة وضوح الشمس لكل من يرى، وتتكرر باستمرار في التاريخ. لكن الفداء هو جواب الله على فشل البشرية.

قد ندعو الآخرين من حولنا أن يراقبونا إذا كنا على يقين أننا لن نفشل، لكن من الذي ندعوه ليراقبنا عندما نكون على يقين أننا سوف نفشل؟ إن الله لا يسألنا ما الذي سنفعله إذا كنا لا نفشل. فقد أكل آدم وحواء الثمرة في الخفاء، ظنًا منهما أن هذا سوف يضمن لهما النجاح الكامل. لن يسلك الله هذا الطريق مرة أخرى، فلا توجد جنة سرية هذه المرة. لكنه يستعد لكي يفاجئنا ويفعل ما لا يمكن أن يحققه سواه؛ فهو الذي لا يفشل. هذا هو السبب الذي جعل الله يشجع الخليقة كلها على أن تراقب ما هو عتيد أن يحدث. لقد حدث السقوط في السر في الجنة، لكن التجديد الهائل سوف يحدث على مرأى من الجميع. كل الخليقة، بكل مخلوقاتها، سوف تصير جديدة بالتمام. لن تخضع لعملية تحسين فقط، بل سوف تتحول بالتمام. حتى السموات سوف تُستبدَل إذ تمضي السموات القديمة.

«ثم رأيت سماء جديدة وأرضًا جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا والبحر لا يوجد فيما بعد». (رؤيا ٢١: ١)

منذ البداية، بينما كان الإنسان يتجه بسرعة نحو الهلاك، كانت لدى الله خطة لأن يصنع كل شيء جديدًا. في سفر الرؤيا وحده يعلن الله هذا الحق الرائع أربع مرات.

«أنا هو الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء». (رؤيا ١ : ٨)

لم تكن نهاية القصة محل شك أبدًا. فهي لم تتوقف أبدًا علينا أو على إنجازاتنا ... بل كانت دائمًا تتوقف عليه هو. وبصفتنا أبناء وبنات آدم، فإننا ننظر إلى العالم من حولنا أو ننظر إلى أنفسنا ولا يمكننا أن نفهم معنى الحياة التي لم تعرف الفشل أبدًا، تلك الحياة المقتدِرة والتي بلا عيب أو ضعف. إن الحياة التي ليس لها بداية ولا نهاية لا يستطيع فكرنا البشري أن يدركها. إن الشخص الذي يمتلك الإجابة قبل حتى أن يكون هناك سؤال يتحدى كل تفكير بشري طبيعي لدينا. هذا الشخص الذي لا يضاهيه أو يعادله آخر سوف يغيرنا بالتمام لكي نعلن مجده.

«فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا». (رومية ٨ : ١٨)

لا تراقبنا الخليقة وهي تضم ذراعيها وتتحدانا أن نبهرها. بل إنها في الواقع تومئ برأسها بالموافقة وترفع صوتها في وحدة وتقول: «هيا، أيتها الابنة! حاربي بلا خوف في المعركة التي لا يمكن لسواك أن يفوز بها. واستخدمي مرة أخرى الأسلحة التي عهد الله بها إليكِ لرعايتك بقوة. إننا نراقبك أنت بالذات. فاقبلي القوة لكي ...»

تستري الآخرين بالمحبة.
ترفعيهم بالكرامة.
تمكّنيهم بالحكمة.
تشجعيهم بالرؤية.
تستردي أحلامهم بالطهارة.

تستعيدي قوتهم بالفرح.
تحرريهم بحق الله.
تعطيهم مستقبلًا وميراثًا.
تبهريهم بالجمال.
تلهميهم بروعة الله.
تحفزيهم بالقداسة والشغف.

رداء المنشفة

أريد أن أترك معك هذا الخليط من الصور من طفولتي ورجاء للمستقبل. ها أنا في حلم مليء بإشراق الشمس، والضحك، وذكريات الطفولة. لا أرتدي سوى سروال قصير، وأجري عارية الصدر وحافية القدم في دفء صيف مضى منذ زمن بعيد. كانت تتدلى ورائي مصدر قوتي، وهي رداء لجسمي. كان يدفعني تحت الممرات الدوارة المرقطة بأشعة الشمس في الوادي الضيق، ويدفعني إلى أقصى حدود السرعات الأرضية بينما كنت أسابق الطريق المستقيم المكون من الممرات الجانبية البيضاء الساخنة.

في الواقع، كان هذا الرداء هو منشفة يد أو منشفة سباحة صغيرة ثبتتها حول عنقي واحدة من أمهات الأولاد الذين كنت ألعب معهم. عندما كنت أجري بالسرعة الكافية، كان الرداء يطير ورائي عند المنحنيات. ولسبب ما، لم أكن أريده أن يلمس ظهري إلا عندما أتوقف. ربما كنت أخشى من أن يعني هذا أن أفقد جزءًا من قوته. لأن كل طفل يعرف أن الرداء لا يمنح القوة حقًا ما لم يكن طائرًا خلفك. وبدون أن ترفعه الريح، فلن يكون سوى أداة للتغطية.

استيقظت بابتسامة إذ جذبني ضوء النهار بلطف من حلمي. أتذكر جيدًا الرداء والأولاد. كما أتذكر اليوم الذي قالوا لي فيه إنه لم يعد بإمكاني أن أكون جزءًا من هذه المجموعة من المحاربين ذوي الرداء. لماذا؟ لأنني ببساطة كنت فتاة.

كان الجو حارًا بالخارج، وكنت قد خلعت قميصي استعدادًا لوضع المنشفة.

وقفت باستقامة وانتصاب بجانب أعز أصدقائي، فيل وستيورات، ووقتها سألتني إحدى الأمهات سؤالًا. ألم أكن كبيرة على خلع قميصي هكذا؟

أرجو أن تلاحظي أنني متأكدة أن عمري لم يكن يبلغ السابعة بعد، وكل صدورنا كانت تبدو متشابهة تمامًا. شعرت ببعض الحيرة. اقترحت علي أن ألبس قميصي مرة أخرى. فنظرت إلى قميصي المليء بالعرق، والملقى مثل الخيمة على عشب الصيف الكثيف. كان الصيف السابق مختلفًا ... لم تكن هناك أسئلة إذ كنا نحن الثلاثة نلتزم بطقوس خلع القمصان بإهمال جريء يجعلنا نشبه أهل القبائل.

شعرت بالصراع. صحيح أنني كنت فتاة، لكنني لم أكن فتاة رقيقة. لم أكن أخشى الضرب أو التوبيخ، وكنت أقفز إلى الخلجان الموحلة بدون تردد. كنت أقبل كل التحديات وأتحمل الذهاب إلى مسكن المومياوات (مستودع خرساني كنا نتخيله على أنه مقبرة مصرية قديمة) دون أن أخاف. كيف يمكن لأحد أن يتشكك في استحقاقي للمنشفة؟ ألم أكن في تلك اللحظة في الخارج بدلًا من أن أكون مرتاحة داخل أماكن مكيفة الهواء، ألعب بدمية باربي؟ لم يكن هذا صحيحًا!

عرفت بطريقة ما أنني إذا لبست القميص، فلن أستطيع أن أخلعه مرة أخرى.

شعرت الأم بترددي، فاقترحت أن أرتدي الرداء فوق القميص. فتبادلنا نحن الثلاثة نظرات الشك. فلن يكون الأمر مماثلًا، وكلنا نعلم هذا.

كيف سأشعر بدفء الشمس، والريح، والقوة؟

كنت مغمومة، لكن شعرت أنه ليس أمامي خيار آخر، فلبست القميص.

بعد هذا التبديل الأول للملابس، تأثر دوري بجدية في وسط هذا الثلاثي. فلم يعد لي أن أختار دور سوبرمان، أو باتمان، أو روبين. الدور الوحيد الذي كنت

أحصل عليه هو دور المرأة القطة، لأنه في النهاية أصبح واضحًا وضوح الشمس أنني ... فتاة.

لم أعد أركض مع الصبيان، بل صاروا يهربون مني.

من المحارِبة ذات الرداء إلى المرأة القطة

بدون أن أقصد على الإطلاق، فقد غيّرتُ جهتي وأصبحت الآن عدوًا. كان واضح أن دور المرأة القطة هي أن توقع بالرجال الطيبين وتخدشهم. وأثناء هروبهم، كنتُ أعترض بشدة قائلة: «عودوا، عودوا، لن أخدشكم!»

لكنهم لم يريدوا أن يسمعوني. فقد سبق السيف العذل وقلّت اختياراتي. كنت إما أن ألعب بالدمية باربي أو ألعب دور المرأة القطة.

حتى في ذلك الوقت، شعرت بالمحدودية في الأدوار المقدمة. كم منكن أدركن أنه لابد أن يكون هناك المزيد. هل تفهمن أن العالم كثيرًا جدًا ما يقسم نفسه إلى معسكر ألعاب الأولاد أو خادشات الرجال؟ (المرأة الموهوبة حقًا يمكن أن ينتهي بها الأمر أن تلعب الدورين.)

في الواقع، إن الاحتمالية الواقعية الوحيدة أو المصدر الوحيد لشيء أصيل مختلف وأكبر هو النساء المسيحيات. إنهن بنات الوعد ، نسل سارة غير الخائفات، من يوقظن العالم وينهضن في سعيهن نحو المزيد. هؤلاء الأمهات في إسرائيل، والأخوات المشتعلات، الصغيرات والكبيرات، تتحررن من الصور والحماقات التي تمطرهن وتحدّهن، وترفعن عيونهن. لقد نلن لمحة عن المدينة التي في الفجر، ويعرفن أنهن لن يتحررن إلا عندما يملك الحق عاليًا. وهن مثلكِ جائعات لشيء أكبر مما رأينه. وهن على استعداد أن يدفعن الثمن للتخلي عن كابوس هذا العالم والدخول إلى الحلم.

بينما كنت أكتب، فاجأني أحد أبنائي بالدخول عبر الباب، ووجنتاه متوردتان من ذلك اليوم الخريفي العاصف. كان عليه رداء. كان رداؤه أكبر من ردائي آنذاك، فرداؤه يتكون من ملاءة ناعمة مزدوجة مربوطة حول عنقه. ظل يقفز

على المنصة النطاطة وشعر بالريح وهي ترفع رداءه مثل الشراع. وفي حماسه، أتى لكي يريني حليته. إنه يجعلني ابتسم ... أجل، لقد حان الوقت لارتداء شيء في حياتنا يمكنه أن يمسك برياح الروح حتى يمكننا أن نُدفع لما هو أكثر من أية قوة ذاتية لدينا.

نشر رداءه وفرد ذراعيه على اتساعهما، مثل النسر الذي يفرد جناحيه وقال: «أمي، إنني أحجب الضوء عن النافذة حتى يمكنك أن تكتبي.»

ابتسمت وشكرته. ثم شاركني بأمنيته أن ينضم إليه أخوه سريعًا في سباقه للريح عندما يعود من المدرسة. وبما أنني أم نموذجية، فقد أشرت إلى اقتراح أن ما يجب عليهما فعله حقًا هو أن ينظفا غرفتهما، التي وجدتها مرعبة للغاية عندما مررت بها في وقت مبكر من اليوم.

لم يتراجع ابني نتيجة اقتراحي، بل رد علي بحماس قائلًا: «لكن يا أمي، الريح لن تدوم!»

يا لحقائق الطفولة البسيطة. لقد عرف وفهم أن الحجرات التي تملؤها الفوضى موجودة في كل حين ... أما الريح فلن تدوم. ولازال حتى الآن منتظرًا عند البوابة الخلفية عودة أخيه، والملاءات في يده.

افردي رداءك

أنت أيضاً لديك ريح تهب. ودائمًا ما يمكن الإمساك بها في اللحظة. افردي رداءك وأعيدي التمسك بنصيبك مما سرقته الحية منك. إنها تبغض كونك قد اكتشفتِ أن الله يريدك أن تتصلي بمصدر بعيد جدًا عن المحدوديات والقيود الأرضية.

ها قد عاد الأخ إلى البيت، وحتى الآن يضحك ولداي ويقفزان ويقلبان أحدهما الآخر على المنصة النطاطة. والأردية التي يرتديانها كبيرة جدًا لدرجة أنهما يتشابكان فيها. فهذه الأردية أكبر بكثير جدًا من المنشفة

الصغيرة التافهة التي كنت أتخيل انها تجعلني أطير. إذ يبلغ حجم ملاءاتهما أكثر من عشرة أضعاف المنشفة وتكاد تحيط بهما بالكامل بينما يقفزان نحو السماء، وها هما يضحكان ويصرخان. لكن أليس هذا ما يجب أن يحدث؟

يجب على كل جيل أن يسير في حرية أوفر وأكبر من الجيل السابق له. يجب أن نوسع شراعاتنا ونتيح لريح روح الله مساحات أكبر لتربط بين ما يريد الله أن يفعله في كل جيل.

صلاتي الحارة هي أن تحولي عينيك نحو مثل هذا الرجاء. ربما يكون هناك الآن منشفة وجه مربوطة في ظهر ياقتك. اسمحي للروح القدس أن يستبدل هذه القطعة الصغيرة من القماش الوبري بقطعة أكبر. أعتقد أنه قد أعد لك رداء فضفاضًا شفافًا. اسمحي للروح القدس أن يزيل كل ستارة من الخجل ويغطيك بستارة أخرى تناسب أكثر ما ستكونين عليه.

لقد اقترب رفع النقاب. ويوجد سر واشتياق آخر داخل بنات العلي. هناك صوت ظل يهمس إلي لمدة سنوات، يحثني أن أستمر في الصلاة:

اصرخي لأجل رفع النقاب عن بنتي. يجب أن تستعلن، وتُطلق، وتتحرر حتى تستجيب ويستجاب لها.

أرى بعيني ذهني مرة أخرى عمود الحجر القائم المغلف بطبقات من القماش. في كل عام تزال طبقة ويتكشف مقدار أكبر من الشكل. في البداية كانت الستائر الخارجية مثل الفخ المرسوم، لكن مع إزالة كل طبقة، يصبح القماش أكثر سلاسة وجمالًا. والآن أيضًا يمكنني أن أرى الخطوط المحددة للشكل والتي تشوهت منذ عدة سنوات. أنظر وأعلم بدون شك أنها ستكون جميلة. كما ألمحك في شكلها. هل ترين ذلك؟ ليبدأ رفع النقاب.

أبي السماوي،

آتي أمامك في اسم يسوع الغالي. أطلب أن تنيرني مشورة وحكمة الروح القدس أثناء الصلاة.

أيها الآب، أؤمن أنك خلقتني كحل وليس كمشكلة. وأنا أقبل الامتياز الفريد والشرف اللذين يصاحبان طبيعتي الأنثوية. امسحني لا لأحارب المعارك التي دعيتُ خصيصًا لكي أحاربها فقط، بل أرني معنى أن أكون امرأة. أريد أن أكون الابنة التي يراقبها هذا العالم وينتظرها. أريد أن تطلق الحكمة والحق في عالمي وفي نطاق تأثيري. أريد أن أقيم الآخرين وأمنحهم الكرامة التي لا يمكن سوى لامرأة أن تمنحها. أريد أن أحارب بما في يدي. أريد أن أرى شراب الشفاء ينسكب.

ارفع النقاب عن قصدك لي كابنة لله. أطلقني من أية سلاسل أو قيود. قل لي إنني كلي جميلة، وسوف أصغي. أنا على استعداد أن أكون المرأة التي تحارب حقًا كامرأة - بالحكمة والقوة والكرامة. ليت نور كلمتك يطرد أية ظلمة يمكن أن تغريني أن أبتعد عن سبيل الحياة أو أن آخذ مكان الرجال أو أن أرغب في المساواة مع الله. إنني أبتهج بنصيبي ودوري المتفردين والثمينين. ليأتِ ملكوتك، ولتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على أرضي. آمين.

الحواشي

الفصل الأول: أنتِ تحاربين مثل النساء

1. New Unger's Bible Dictionary, s.v. enmity

الفصل الثالث: لكنني لست رجلاً

1. J. R. R. Tolkien, The Return of the King New York: Houghton Mifflin: 2nd Reprint edition (March 1, 1988)

الفصل الرابع: العثور على المركز

1. Webster's Encyclopedic Unabridged Dictionary of the English Language, s.v. male

2. المرجع السابق s.v. female.

3. المرجع السابق s.v. nuclei.

4. المرجع السابق s.v. feminine.

5. المرجع السابق s.v. woman.

6. المرجع السابق s.v. grace.

الفصل السادس: متى تَضرِب النساء؟

1. C. S. Lewis, The Lion, the Witch and the Wardrobe New York: Harper Collins; Reprint edition (July 8, 1994)

2. المرجع السابق

3. المرجع السابق

رأيك يهمنا

إذا كان لديك تعليق أو تأثرت بهذا الكتاب، اكتب تعليقك على موقعنا الإلكتروني:

www.ptwegypt.com

أو ارسل لنا E-mail على:
ptw@ptwegypt.com

من الذي قال إنه أمر سيئ أن ...

تحاربي كامرأة؟

لقد تسببت الصور المُشوَّهة الحالية للأدوار بين الجنسين في خلق تشويش حول الكيفية التي يجب على المرأة بها أن تُعرِّف نفسها. كيف يمكن للمرأة أن ترضى عن كونها أنثى بينما يُملي عليها المجتمع باستمرار ما يمكن وما يجب أن تكون عليه؟ كيف يمكنكِ التمييز بين أفكار الله الحقيقية تجاه النساء وبين أفكار الناس؟

في كتاب «**تحاربي كامرأة**»، تناشدنا ليزا أن نتمسك بالاختلافات بين الجنسين بدلاً من أن نحاول إزالتها. في الحقيقة، تُعتَبر المُحارَبة مثل النساء إهانة شائعة بين الرجال؛ إذ تنطوي على الضعف. لكن ليزا تدعو النساء -بدلاً من ذلك- إلى أن يبتهجن بما خلقهن الله عليه فإن أنوثتهن -في الحقيقة- هي أعظم قوة لهن. وبدلاً من أن يحاولن اتباع النموذج الذكوري -الذي لا يناسبهن- يجب عليهن أن يتعلمن القوة التي عيَّنها الله لهن ويتركن بصمتهن الفريدة التي تشتد إليها حاجة المجتمع والعالم والكنيسة.

في كتاب «**تحاربي كامرأة**»، سوف تكتشفين كيف تعتنقين وتعبِّرين بالكامل عن الأنوثة التي صممها الله - والتي يقدِّرها تقديرًا كبيرًا - بداخلكِ. ففي تعلُّم المُحارَبة كامرأة، تكمن إمكانيات المرأة الحقيقية وإشباعها الحقيقي.

تقود **ليزا بيفير** مع زوجها جون بيفير مؤسسة Messenger International، وهي خدمة متعددة الأوجه تشمل تلمذة الشباب، والخدمة بين السجون والمدينة الداخلية، والكرازة بالكلمة. تظهر ليزا كثيرًا على شبكة TBN التليفزيونية وغيرها من البرامج المذاعة دوليًا. ويُبث برنامج "The Messenger" التليفزيوني الأسبوعي لليزا وجون على قناة GOD في المملكة المتحدة، وقناتي Christian Channel و Expo Channel في أستراليا، وعلى تليفزيون Shine TV في نيوزيلندة، وقناة CNL الفضائية في الاتحاد السوفيتي سابقا، وفي الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا، وأوروبا.

Prepare The Way
Translators & Publishers